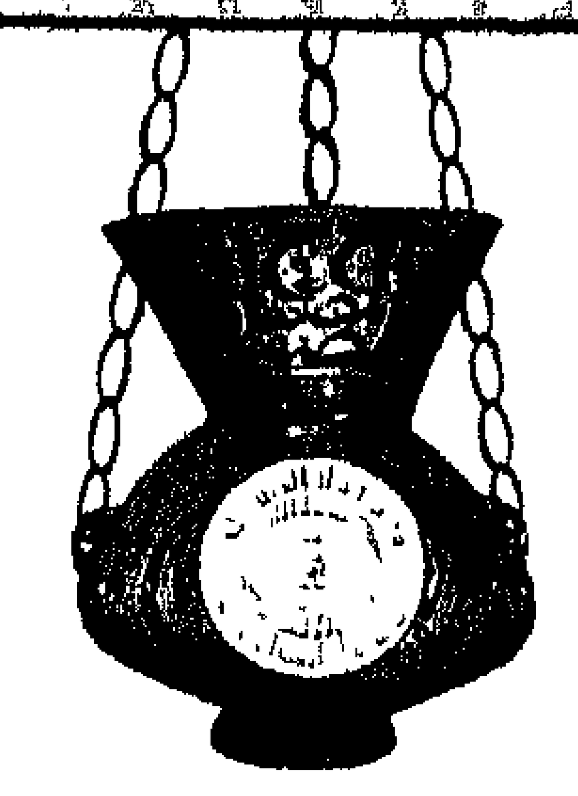

التوحيد
التوحيد الخالص
والاعتقاد السليم
صفات الأفعال
عند السلف الصالح
ومضات من سيرة
المصطفى المختار
انحرافات الصوفية بين الماضي والحاضر
أنصار السنة تدين التفجيرات التي تستهدف أمن مصر
مجلة إسلامية ثقافية شهرية تصدر عن جماعة أنصار السنة المحمدية
العدد ٤٠٠ السنة الرابعة والثلاثون. ربيع الآخر. الثمن ١٥٠ قرشا

بسم الله الرحمن الرحيم

رئيس مجلس الإدارة د. جمال المراكبي



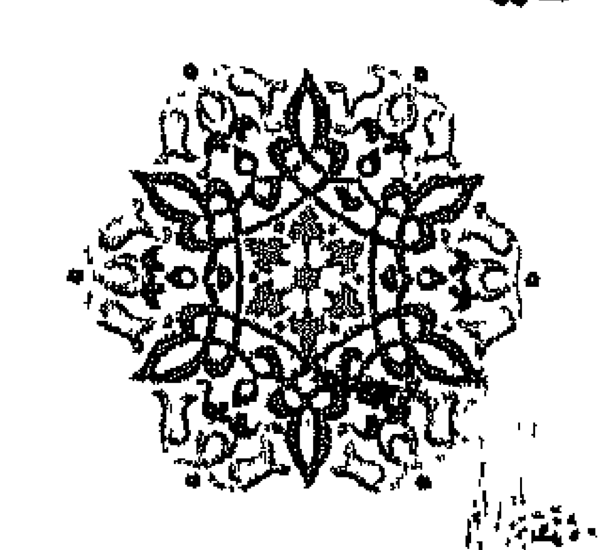


إسلامية . ثقافية . شهرية

السنة الرابعة والثلاثون
العدد ٤٠٠ . ربيع الآخر ١٤٢٦هـ
الثمن ١٥٠ قرشًا

المشرف العام
د. عبد الله شاكر

اللجنة العلمية
د. عبد العظيم بدوي
زكريا حسيني
جمال عبد الرحمن
معاوية محمد هيكل



السلام عليكم

لا: للإفساد في الأرض وترويع الآمنين

إن كان الذي فعل هذه الأحداث يراها جهادًا وقربة إلى الله، فإن الله تعالى قال: ﴿ وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلاَ تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لاَ يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴾، وكل القتلى والجرحى في الحادث مسلمين وغير مسلمين لم يكونوا مقاتلين، فقد قاتل الجاني في غير ميدان، فهو بذلك من المعتدين. والله لا يحب المعتدين، ولن يتقبل منهم اعتداءهم.

وإن كان الذي فعل ذلك انتقامًا وتشفيًا فقد ظلم الأبرياء، وقد حرَّم الله الظلم، والله لا يهدي القوم الظالمين.

وكيف سيواجه ثأرهم يوم القيامة حينما يقول أحدهم: يا رب؛ سل هذا فيم قتلني؟

وإن كان الذي فعل ذلك إفسادًا وفوضى فإن الله لا يحب الفساد ولا يصلح عمل المفسدين.

وإن كان الذي فعل ذلك من غير المسلمين لزعزعة استقرار مصرنا الآمنة، فالله ينبهنا بقوله: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ ﴾.

حفظ الله مصرنا ووقاها الفتن ما ظهر منها وما بطن ... آمين.

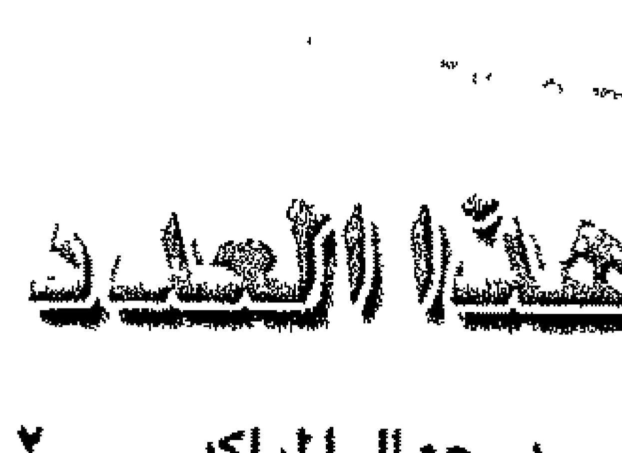
التحرير

التحرير / ٨ شارع قوله - عابدين القاهرة
ت: ٣٩٣٦٥١٧ - فاكس: ٣٩٣٠٦٦٢
قسم التوزيع والاشتراكات ت: ٣٩١٥٤٥٦

البريد الإلكتروني
المجلة Mgtawheed@hotmail.com
رئيس التحرير Gshatem@hotmail.com
التوزيع والاشتراكات Ashterakat@hotmail.com
موقع المجلة على الإنترنت www.altawhed.com
موقع المركز العام www.ELsonna.com

مطابع الأهرام التجارية - قليوب - مصر

رئيس التحرير **جمال سعد حاتم** مدير التحرير الفني **حسين عطا القراط**



صاحبة الامتياز

جماعة أنصار السنة المحمدية

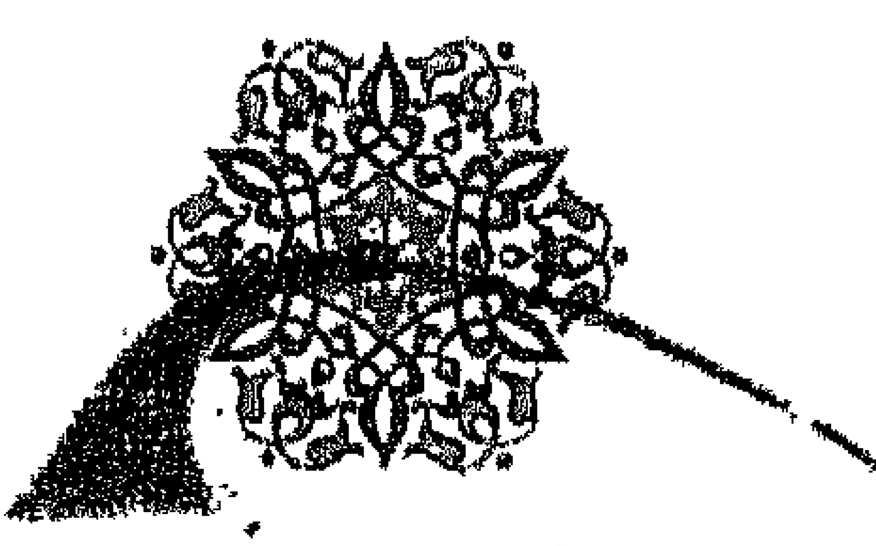
ثمن النسخة

مصر ١٥٠ قرشاً ، السعودية ٦ ريالات ، الإمارات ٦ دراهم ، الكويت ٥٠٠ فلس، المغرب دولار أمريكي، الأردن ٥٠٠ فلس، قطر ٦ ريالات، عمان نصف ريال عماني، أمريكا ٢ دولار، أوروبا ٢ يورو.

الاشتراك السنوي:

١- في الداخل ٢٠ جنيهاً (بحوالة بريدية داخلية باسم مجلة التوحيد ـ على مكتب بريد عابدين).

٢ ـ في الخارج ٢٠ دولاراً أو ٧٥ ريالا سعوديا أو ما يعادلها. ترسل القيمة بسويفت أو بحوالة بنكية أو شيك على بنك فيصل الاسلامي ـ فرع القاهرة ـ باسم مجلة التوحيد ـ انصار السنة (حساب رقم / ١٩١٥٩٠).



في هذا العدد

التوزيع الداخلي
مؤسسة الأهرام
وفروع أنصار السنة المحمدية

المركز العام : القاهرة ـ ٨ شارع قوله ـ عابدين
هاتف : ٣٩١٥٥٧٦ ـ ٣٩١٥٤٥٦

افتتاحية العدد

كتب الشيعة ترد غلوهم في آل البيت

إعداد

الرئيس العام

د. جمال المراكبي

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه وسلم، أما بعد:

فإن محبة النبي ﷺ من الإيمان لأنها فرع عن محبة المؤمن لربه وخالقه ومولاه، فالله سبحانه وتعالى هو الذي كرمه وشرفه واصطفاه فجعله خاتمًا للنبيين، وإمامًا للمرسلين، وأرسله للناس كافةً بشيرًا ونذيرًا، وحباه الشفاعة العظمى والمقام المحمود، فأضحى أكثر الأنبياء تابعًا يوم القيامة وسيد ولد آدم ولا فخر.

وطاعة النبي ﷺ من لوازم محبته، وكذلك تعظيم النبي ﷺ وتوقيره، وتعظيم سنته وهديه، ونصرة دينه، والدعوة إلى منهاجه.

ومن لوازم محبته ﷺ محبة أصحابه وأنصاره ومحبة أهل بيته وقرابته ومودتهم.

قال تعالى: ﴿قُلْ لاَ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلاَّ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾ [الشورى:٢٣].

والمعنى لا أطلب منكم أجرًا على هذا البلاغ وهذه الهداية إلا أن توادوني لقرابتي منكم ولا تتعرضوا لي بالأذى والتكذيب، والمعنى الآخر: لا أسألكم أجرًا إلا أن تحبوا أهل بيتي وقرابتي، وهذا المعنى وإن لم يكن ظاهر الآية إلا أنه دلت عليه نصوص كثيرة مثل قول الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [الأحزاب:٣٣].

وقول النبي ﷺ: «أذكركم الله في أهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي» [مسلم] وقوله ﷺ: «إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي، أحدهما أعظم من الآخر، كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض، وعترتي أهل بيتي ولن يتفرقا حتى يردا على الحوض، فانظروا كيف تخلفوني فيهما».

[رواه الترمذي: وهو في صحيح الجامع الصغير ٢٤٥٨]

وهم الآل الذين أمرنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن نُصلّي عليهم حين نصلي عليه فنقول في صلاتنا: اللهم صل على محمد وعلى آله محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم في العالمين إنك حميد مجيد».

أهل البيت

من هم أهل البيت؟ ورد في اللسان: أهل الرجل عشيرته وذوو قرباه، والجمع أهلون وأهال.

وأهل الرجل: زوجه، وتأهل يعني تزوج

وأهل القرآن حفظته والعاملون به.

وأهل المذهب من يدين به.

وأهل الإسلام من يدين به.
وأهل البيت سكانه.
وأهل الرجل أخص الناس به.
وأهل بيت النبي ﷺ أزواجه وبناته وصهره.
وقيل: نساء النبي ﷺ والرجال الذين هم آله، وآل الرجل أهله، أصلها أهل، ثم أبدلت الهاء همزة فصارت أأل، فلما توالت الهمزتان أبدلوا الثانية ألفًا. [لسان العرب جـ١ ص١٦٣-١٦٤، ومفردات الراغب ص٢٩]

والعترة هم الأهل والرهط، قال أبو بكر في أساري بدر: يا رسول الله عترتك وأصلك وقومك، تجاوز عنهم يستنقذهم الله بك من النار.

ويتبين من هذه المعاني اللغوية أن أهل بيت النبي ﷺ هم أزواجه وذريته وقرابته من بني هاشم ممن حُرم الصدقة بعده، وقد اتفق أهل السنة والجماعة على ذلك، مع اختلافهم فيمن تحرم عليهم الصدقة، وقد وقع في صحيح مسلم من حديث زيد بن أرقم أنه قال: أهل بيته الذين حُرموا الصدقة بعده.

قيل: ومن هم يا زيد؟

قال: هم آل علي وآل جعفر وآل عقيل وآل عباس.

ويرى الشيعة على اختلاف مذاهبهم أن أهل البيت هم أصحاب الكساء علي وفاطمة والحسن والحسين لأن النبي ﷺ أدخلهم في كساء وقال: اللهم هؤلاء أهل بيتي وخاصتي أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرًا.

ولأن النبي ﷺ لما نزلت آية المباهلة مع نصارى نجران ﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾ [آل عمران:٦١].

أخرج عليًا وفاطمة والحسن والحسين ليباهل بهم نصارى نجران الذين يمارون في بشرية المسيح عيسى بن مريم عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام.

ويزعم الشيعة أن هذا التخصيص يخرج أزواج النبي ﷺ وسائر بني هاشم من مسمى أهل البيت، مع أن الخطاب في سورة الأحزاب موجه من أوله إلى آخره إلى نساء النبي ﷺ.

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ إِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا (٢٨) وَإِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالدَّارَ الْآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنْكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا (٢٩) يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ مَنْ يَأْتِ مِنْكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ يُضَاعَفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا (٣٠) وَمَنْ يَقْنُتْ مِنْكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ وَتَعْمَلْ صَالِحًا نُؤْتِهَا أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا (٣١) يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا (٣٢) وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا (٣٣) وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا﴾.

[الأحزاب:٢٨-٣٨]

فنساء النبي ﷺ أولى الناس بقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ ومعهن باقي الذرية الطاهرة وسائر بني هاشم.

والعجب أن الشيعة وإن اتفقوا على أن أهل البيت هم علي وفاطمة والحسن والحسين دون ما سواهم، نراهم يختلفون على أشخاص الأئمة منهم اختلافًا عظيمًا ويطعنون على ذرية فاطمة من غير الأئمة، ولهذا يطعن الإمامية على أبناء الحسن بن علي، ولا يرونهم أهلا للإمامة، ويطعن الزيدية على الإمامية الاثنى عشرية ويرون إمامة زيد بن علي، ويطعن الإسماعيلية على إمامة جعفر الصادق ويرون إمامة إسماعيل.

موقف السلف من آل بيت النبي ﷺ

يعرف السلف الصالح من أصحاب رسول الله ﷺ حقوق آل بيت النبوة، فيحبونهم ويعظمونهم لقد كان صديق الأمة يقول: ارقبوا محمدًا في أهل بيته ويقول: والذي نفسي بيده لقرابة رسول الله ﷺ أحب إلى أن أصل من قرابتي.

وأهل السنة متفقون على حب آل بيت رسول الله ﷺ ومودتهم، ومعرفة حقهم وفضلهم وعلو مكانتهم ومن كان من أهل البيت من صحابة رسول الله ﷺ فإنهم يحبونه لإيمانه وتقواه، ولصحبته إياه، ولقرابته منه ﷺ، ومن لم يكن منهم صحابيًا فإنهم يحبونه لإيمانه وتقواه، ولقربه من رسول الله ﷺ، ويرون أن شرف النسب تابع لشرف الإيمان، ومن جمع الله له بينهما فقد جمع له بين الحسنيين.

فأهل السنة هم أسعد الناس بتنفيذ وصية النبي ﷺ في أهل بيته حيث قال: «أذكركم الله في

أهل بيتي» لأنهم يحبونهم جميعا ويتولونهم وينزلونهم منازلهم التي يستحقونها بالعدل والإنصاف بخلاف غيرهم من الروافض.

موقف الروافض من أهل البيت

يزعم الروافض أنهم شيعة علي بن أبي طالب رضي الله عنه وآل بيت النبي ﷺ، وأنهم أولى الناس بهم، ويزعمون أن أصحاب النبي ﷺ قد جحدوا حق آل البيت وغصبوهم، واستحلوا دماءهم، وسأنقل لك أخي القارئ هذه العبارة من كتاب حقوق آل البيت لبعض غلاتهم حيث يقول:

«ولكن سيدي يا رسول الله يا نبي الرحمة والهدى، أي مودة قدمت إليك بعد رحلتك الشريفة؟

إنها المودة التي أبعدوا بها وصيك وخليفتك عن مقامه وعن منصبه الذي أراده الله له، وأردته له. إنها المودة التي كسروا بها ضلع عزيزتك الزهراء، وأسقطوا جنينها، وأحرقوا بابها، ولطموا خدها وسودوا متونها، واقتادوا وصيك وأخيك علي بن أبي طالب عليه السلام، وهو الكرار عند منازعة الأبطال. نعم هي المودة التي دسوا فيها السم بسبطك الحسن عليه السلام، والمودة التي أدت لحز رأس سيد الشهداء من الوريد إلى الوريد، واقتياد بناتك سبايا أمام البغاة.

بلى سيدي يا رسول الله إنهم ما أرادوا المودة ولا القربى وإنما أرادوا إبراز البغضاء والحنقاء، ولا عجب وقد أبانوا ذلك عند احتضارك سيدي يا رسول الله بقولهم والعياذ بالله إنه يهجر، وحاشاك من الهجر والنقص وقد مدحك الله تعالى في كتابه في محكم التنزيل ﴿وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى﴾.

نعم هي الحقيقة عزيزي خذها هديت إلى الحق حتى يُفرج الله عن بقية الله الأعظم الحجة بن الحسن المهدي، أرواحنا لتراب مقدمه الفداء، وجعلنا الله من أنصاره وأعوانه ليثأر لله ولأهل بيت رسول الله ﷺ وآله ويقيم الحق ويدحض الباطل إن الباطل كان زهوقا». انتهى.

ولا أدري هل سيثأر هذا المنتظر من أبي بكر وعمر ومن المبشرين بالجنة، أم سيثأر من أهل السنة الذين لا يتبعون هذا الباطل.

ويكفي لرد هذا الغلو أن نذكر كلام بعض أئمة آل البيت في الغلاة، ومن كتب الشيعة أنفسهم قال جعفر الصادق: لعن الله عبد الله سبأ، إنه ادعى الربوبية في أمير المؤمنين، وكان والله أمير المؤمنين عبدًا طائعا لله. الويل لمن كذب علينا.

وإن قومًا يقولون فينا ما لا نقوله في أنفسنا، نبرأ إلى الله منهم، نبرأ إلى الله منهم.

[مودة آل البيت ص٣٥، وعزاه إلى رجال الكشي ص١٠٦]

وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: سيهلك فيّ صنفان، محب مفرط يذهب به الحب إلى غير الحق، ومبغض مفرط يذهب به البغض إلى غير الحق، وخير الناس فيَّ حالا النمط الأوسط فالزموه. [نهج البلاغة خطبة ١٢٧ - السنة لابن أبي عاصم]

وقال الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم لرجل ممن يغلو في آل البيت: ويحكم أحبونا لله، فإن أطعنا الله فأحبونا، وإن عصينا الله فأبغضونا.

فقال الرجل: إنكم ذو قرابة من رسول الله ﷺ وأنتم أهل بيته.

فقال: ويحكم لو كان الله نافعًا بقرابة من رسول الله ﷺ بغير عمل بطاعته لنفع بذلك من هو أقرب إليه منا أباه وأمه.

والله إني لأخاف أن يضاعف الله للعاصي منا العذاب ضعفين. ووالله إني لأرجو أن يؤتى المحسن منا أجره مرتين.

لقد أساء آباؤنا وأمهاتنا إن كان ما تقولون من دين الله حقا ثم لم يخبرونا به ولم يطلعونا عليه ولم يرغبونا فيه، فنحن والله أقرب منهم قرابة منكم وأوجب عليهم حقا، وأحق بأن يرغبوا فيه منكم ولو كان الأمر كما تقولون إن الله ورسوله اختار عليا لهذا الأمر وللقيام على الناس بعده، إن كان علي لأعظم الناس في ذلك خطيئة وجرمًا، إذ ترك أمر رسول الله ﷺ أن يقوم فيه كما أمره ويعذر فيه إلى الناس.

فقال الرافضي: ألم يَقل رسول الله ﷺ: من كنت مولاه فعلي مولاه؟

قال: أما والله لو أن رسول الله ﷺ يعني بذلك الإمرة والسلطان والقيام على الناس لأفصح لهم بذلك كما أفصح لهم بالصلاة والزكاة وصيام رمضان وحج البيت، ولقال لهم: أيها الناس هذا ولي أمركم من بعدي فاسمعوا له وأطيعوا فما كان من وراء هذا، فإن أنصح الناس كان للمسلمين رسول الله ﷺ.

اللهم إنا نشهدك أننا نحب آل بيت رسول الله ﷺ كما أوصانا الحبيب المصطفى، فاجعل حبنا لآل بيت رسولك الكريم حبًا خالصًا مطهرًا بعيدًا عمن يتوهمون حبهم ويستحلون دماءهم.

وآخر دعونا أن الحمد لله رب العالمين.

كلمة التحرير

انحرافات الصوفية بين الماضي والحاضر



إعداد
رئيس التحرير
جمال سعد حاتم

الحمد لله وكفى والصلاة والسلام على نبينا المصطفى وبعد:

فقد تابعنا التصريحات التي صدرت عن الإدارة الأمريكية والتي أعلنت خلالها بأنها ليس لديها مانع من الحوار مع الجماعات الإسلامية في مصر أو ما يطلق عليه تيار الإسلاميين وقد كان مؤتمر الصوفية الأخير مؤشرًا لأنهم يركبون الموجه مع من يأخذون الضوء الأخضر منهم. ومصر مهما كانت الأيادي الآثمة التي تحاول النيل منها سيحميها الله بالإسلام وبالعقيدة الصحيحة وليس بالعقائد الفاسدة التي ننتهز تلك الفرصة لنعرِّج على بعضها حتى يعرف الناس عقيدتهم وذلك نقلا عن المنشور في جريدة الأنباء الدولية في عددها الصادر بتاريخ ٢٦ إبريل ٢٠٠٥م.

البداية تعود إلى قبيلة في الجاهلية

مع ظهور الإسلام في شبه الجزيرة العربية حاول بعض الأشخاص الإنسحاب من حياة المجتمع الإسلامي من أجل ممارسة نوع من الزهد ولقد أطلق على هؤلاء الناس لفظ الصوفيين، وبما أن الإسلام يقوم أساسا على كتاب الله وسنة رسوله فإن هؤلاء المتصوفين كرسوا وقتهم وخصصوا حياتهم للقراءة وتفسير القرآن وقد أدى هذا بالطبع إلى ظهور بعض الممارسات والاعتقادات ومن هنا صار التصوف يعني الالتزام بطريق في الحياة يمكنهم من الوصول إلي علاقة مع الله.

ورغم أن المتصوفة قد اتبعوا طريقا خاصا إلا أنهم التزموا في بدايتهم بالشريعة الإسلامية ثم سرعان ما ذهبوا أبعد من ذلك من أجل تفسيرات روحانية شطحت بهم عن صحيح الدين.

وعندما انتقل مركز الخلافة الإسلامية إلى بغداد عام ٧٤٩م بدأ الدين الإسلامي يدخل عليه شيء من المعتقدات اليونانية والفارسية وفي هذه المرحلة حدث تطور في الأفكار الصوفية وظهر التباعد ما بين الفقهاء الأربعة وشيوخ الطرق الصوفية.

ولقد اختلف العلماء وانقسموا شيعا وأحزابا حول أصل هذه الكلمة «الصوفية» فمنهم من قال: إن الصوفية اسم مشتق من الصوف بوصفه اللبسة التي تغلب على هؤلاء الناس وأنه اسم قديم وجد حتى قبل قدوم الإسلام.

وذكر البعض أن الكلمة كانت معروفة وشائعة لتدل على الزهاد السالكين في أوائل القرن الثاني للهجرة «الثامن الميلادي» وهو ما أكده شيخ الإسلام ابن تيمية.

وأول من حمل اسم «صوفي» هو أبو هاشم الكوفي الذي ولد في الكوفة وأمضى معظم حياته في الشام وتوفى عام ١٦٠هـ وأول من حدد نظريات التصوف وشرحها هو ذو النون المصري تلميذ الإمام مالك وأول من بوبها ونشرها هو الجنيد البغدادي.

وتعددت الأقاويل في البحث عن أصل الكلمة واشتقاقها فمنهم من قال: إن الكلمة جاءت من هؤلاء الذين يجلسون في الصف الأول بين المسلمين وآخرون ينسبون الكلمة إلى بني صوفة وهي قبيلة كانت تخدم الكعبة في الجاهلية وهناك من يرى أن الكلمة ترجع إلى صوفة القفا وهي خصلة الشعر في القفا والبعض يراها مشتقة من الصفا.

ولابن الجوزي تفسير آخر عن نشأة التصوف يقول فيه: كانت

النسبة في زمن رسول اله ﷺ إلى الإيمان والإسلام فيقال مسلم ومؤمن ثم حدث اسم زاهد وعابد ثم نشأ أقوام تعلقوا بالزهد والتعبد فتخلوا عن الدنيا وانقطعوا إلى العبادة واتخذوا في ذلك طريقة تفردوا بها وأخلاقا تخلقوا بها ورأوا أن أول من انفرد بخدمة الله تعالى عند بيته الحرام رجل يقال له صوفة واسمه الغوث بن مر فانتسبوا إليه لمشابهتهم إياه في الانقطاع إلى الله فسموا بالصوفية!!

ويرى المتخصصون في الصوفية أن بداية تطور الفكر الصوفي كانت طبيعية، فقد ظهر أولا تيار يحاول مواجهة إقبال الناس على الدنيا بعد زمن الفتوحات الكبرى وانشغال كثير من المسلمين عما كان عليه رسول الله ﷺ وأصحابه، فبدأ تيار ينادي بالزهد وظهرت جماعات يسمون الفقراء وأخرى تسمى البكائين وثالثة تسمى المحبين وأشهرهم رابعة العدوية.. ثم ظهر أقوام من الصوفية تكلموا عن الجوع والفقر والوساوس والخطرات.. ثم بدأ يظهر على الساحة تيار يقسم الدين إلى ظاهر وباطن ويستغرق في الحديث عن الروحانيات وأحوال القلوب.. والصلة بالله حتى وصلوا إلى ظاهرة الشطح وهي التي لابد لكل صوفي أن يمر بها من خلال ٤ مراحل: هي الوجد، ويقصد به كشف حالة بين العبد وربه وظهور ما يجد في باطنه على ظاهره.. ثم مرحلة الغلبة عندما يزيد الوجد ويغلب صاحبه الصوفي ولا يكون مميزا لما يستقبله، ثم مرحلة السكر وهي المرحلة التي يغيب فيها الصوفي عن تمييز الأشياء ويغيب عن نفسه ليدخل في المرحلة الرابعة الشطح وهي من زلات المحققين ومحاولة لوصف ما لا يوصف ولا يؤاخذ صاحبه عليه حتى لو تكلم في ذات الله!!

ولعل أبا اليزيد طيفور بن عيسى الملقب بـ «البسطامي» يعد من أشهر الذين شطحوا إذ يقول: غبت عن الله ثلاثين سنة فكانت غيبتي عنه ذكري إياه فلما خنست عنه وجدته في كل حال حتى كأنه أنا .. ألهذه الدرجة يكون الشطح؟.. نعم هكذا هو الحال عند الصوفية.

اقتبسوها من أحبار اليهود وعلم الجفر

يعد الذكر من أركان التصوف، غير أن هناك خلافا واضحا بين أهل السنة والجماعة وبين الصوفية حول مفهوم الذكر، فهو عند أهل السنة والجماعة قراءة القرآن أثناء الليل وأطراف النهار ومجالس العلم لدراسة القرآن وتفاسيره وعلوم الحديث.. وكذا من صلوات النوافل والأذكار الواردة عن رسول الله في الكتب الصحاح والاستغفار من الذنوب والمعاصي وغير ذلك مما هو معروف من الذكر الصحيح وفق هدي رسول الله.

والصوفية يوافقون على ما سبق ويزيدون عليه ما يعرف باسم الذكر المجرد أو الذكر المفرد وهو الذكر الذي تقوم عليه الحضرات حيث يذكرون الله قياما أو قعودا مع التمايل بحركات تناسب كل اسم من الأسماء التي يذكر بها الشيخ ربه.

والغريب أن كل طريقة اختار شيخها مجموعة من أسماء الله الحسنى ليتميز بها عن بقية الطرق. فالطريقة الخلوتية مثلا لهم سبعة أسماء وهي:

١ ـ لا إله إلا الله. ٢ ـ الله. ٣ ـ هو. ٤ ـ حق. ٥ ـ حي. ٦ ـ قيوم. ٧ ـ قهار.

ولقد بحث المتخصصون من علماء الفقه الإسلامي وآداب الدعاء والذكر عن أدلة وجود مثل هذا النوع من الحضرات منسوبا لرسول الله ﷺ، فلم يجدوا غير حديث واحد منسوب للنبي ذكره الإمام أحمد في مسنده وثبت ضعفه بشدة وأنكره أهل علم الحديث. وأخطر ما في الذكر عند الصوفية

اتخذ الصوفية طريقة للذكر، أدخلت بعض الأسماء الغريبة واعتبرتها من أسماء الله الحسنى مثل ثابت وظهير وزكي يرددونها بتكرار يتراوح ما بين ٣٧ إلى ٩٠٣ مرة عند الذكر ليتحصل الذاكر على مراتب الزهد والتصوف.

هو اعتماده على علم الجفر وهو علم يرجع في أصله إلى سحرة بني إسرائيل وكهنتهم وقد استخدمه اليهود المعاصرون لظهور الإسلام ليحسبوا مدة مُلك الإسلام ومتى سيزول وهو علم يقوم على أن كل حرف عربي يقابله رقم حسابي بطريقة «أبجد هوز حطي كلمن» فالألف يعادلها رقم ١ والباء رقم وهكذا.. وعن طريق هذا العلم وهو من أشهر علوم الباطنية عند الشيعة وانتقل للصوفية.

انخرط أهل التصوف في الذكر بالعدد والحساب ليخرج الذكر عن معناه إلى عملية حسابية وضع أساسها اليهود واتبعتها الشيعة وروج لها الصوفية ومشايخهم. وأخطر ما في هذه الطريقة أنها أدخلت بعض الأسماء الغريبة واعتبرتها من أسماء الله الحسنى مثل: ثابت أو ظهير، وزكي.. وهي أسماء يرددها الصوفيون بتكرار يتراوح ما بين ٣٧ - ٩٠٣ مرة عند الذكر ليتحصل على مراتب الزهد والتصوف.. وهذا ما لم يرد عن رسول الله ولا حتى صحابته الكرام. ولقد اقتبس الصوفية علوم الحرف التي أحدثها اليهود وكانوا يستخدمونها في زمن النبي ﷺ ومن هذه العلوم علم الجفر وحساب الجمل والسحر والتنجيم وغيرها من العلوم التي استعان بها أحبار اليهود وهي لا تخرج عن كونها استغاثة بالجن ونوع من الحيل ومهارة السحر ويستعمل الصوفيون هذه العلوم في فك المربوط ومعالجة السحر وهو ما يؤكد علاقتهم بعالم الجن والسحرة.

ولذلك لا تتعجب أن تجد أحد مشايخهم يكتب بعض الحروف والأرقام على طبق ثم يغسله بالماء ويسقي المريض أو المسحور هذا الماء ويوهمون الناس ببركته وقدرته على الشفاء!!

ولا يخفى على أحد كيف أن الطرق الصوفية ابتدعت أذكارا بذاتها وأورادا خاصة تخالف ما كان يذكر به رسول الله ربه عز وجل.

بل ويخالفه مخالفة صريحة بزعم أنها أقرب السبل للترقي نحو الوصول إلى السر الأعظم!!

من الأضرحة والقبور إلى مذابح عاشوراء

هل هناك علاقة بين الصوفية والشيعة؟! سؤال قد يبدو للوهلة الأولى في غير محله.. لكن المتتبع للفكر الصوفي سيرى بوضوح كيف تأثرت الصوفية بالشيعة.

فالعلاقة بين أقطاب الصوفية وأئمة الشيعة والباطنية تظهر جليا في أول شروط الإمام عندهم وهو أن يكون من آل البيت، وأغلب الطرق الصوفية ينتهي نسب مشايخها كما - يزعمون - لعلي بن أبي طالب وكذلك الأمر عند الشيعة والباطنية.

فمثلا.. الشاذلي والرفاعي والبدوي والدسوقي والجيلاني وغيرهم يزعمون انتهاء نسبهم لآل البيت حتى يتحصلوا على القدسية والهالة التي يحيطون أنفسهم بها.

والدكتور عبد الفتاح بركة أحد أهم العلماء البارزين في دراسة الصوفية والشيعة يؤكد العلاقة الوثيقة بين التصوف والتشيع ويقول: يغلب على الظن أن هناك تأثرًا في الطرق الصوفية ببعض أفكار الشيعة التي تجعل من الأئمة مركز الدنيا والدين وأمان أهل الأرض وهذا ما روج له أئمة الصوفية باعتبارهم هؤلاء الذين اختصهم الله بتلك المكانة.

لا عجب أن يهتم مشايخ الصوفية وهم أحياء ببناء أضرحتهم بأنفسهم وذلك حتى يضمنوا مناسك للعبادة عند قبورهم بعد الموت

الأضرحة.. والقبور

كما أطلقت الشيعة اسم «الأعتاب» على المقابر، أطلقت الصوفية اسم «الأضرحة» عليها أو «المقام» والزائر لهذه الأضرحة عند الصوفية سيجد صورة مصغرة لما يحدث عند مقامات الأئمة في النجف الأشرف وكربلاء والكاظمية في العراق.. فالشيعي إذا دخل إلى أعتاب أي إمام يبادر بالسجود على الأعتاب وإذا سألته عن سر سجوده يقول لك:

نحن أولى بالسجود من بني إسرائيل حيث أمرهم الله تعالى قائلا:

﴿وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ نَغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ..﴾ [البقرة:٥٨] ثم يقول لك: هل القرية أشرف من مقام الأئمة؟!

وكذلك الأمر عند الصوفي عندما يقبل ويتبرك بالضريح يقول لك: نحن أحق من مجنون ليلى الذي قبل الجدار.

وهناك تشابه واضح أيضا بين الشيعة والصوفية في الاحتفال بيوم عاشوراء وهو العاشر من المحرم الذي صامه الرسول عندما قدم إلى المدينة وعلم أن اليهود يصومونه لنجاة موسى من فرعون فقال النبي:

نحن أحق بموسى منكم، فصامه وأمر بصيامه وقال أنه سيصوم في العام التالي التاسع والعاشر مخالفا لليهود ولكنه قبض ﷺ في العام التالي..

وقد زاد من اهتمام ذلك اليوم عند الشيعة قتل الإمام الحسين فيه ولا يخفى على أحد ما يقوم به الشيعة في ذلك اليوم من كل عام من مسيرات دموية يعاقبون أنفسهم ويضربون أجسادهم بالجنازير حتى تسيل دماؤهم.

وفي الطريقة الرفاعية نجد أن شيخهم يأمر أتباعه بالخلوة سبعة أيام حزنا على الحسين يصومون فيها ولا ينامون ولا يعاشرون النساء ولا يأكلون من كل ذي روح وألا يتكلم طوال هذه السبع.

وللأضرحة عند الصوفية مكانة لا تضاهيها مكانة أخرى ولم لا وهي تمثل بمن دُفن فيها مركزا لإدارة الكون كما سيوضح في موضوع آخر من هذا الملف.

لقد حول الصوفية الهدف من زيارة القوبر فبدلا من الزيارة للعبرة والعظة وتذكر الآخرة عبدوها من دون الله وطافوا حولها وزخرفوها وشيدوها.

لقد قلب الصوفية الهدف من زيارة القبور رأسا على عقب فبدلا من الزيارة للاعتبار وتذكر الموت تجد الضريح وقد أحيط بسياج من ذهب وفضة وأضيئ بألوان من السراج الحديثة ومرتفعا عن الأرض - تعمدا لمخالفة أمر النبي - ويطوف الناس حوله ويقبلونه وبدلا من الدعاء للميت يطلبون الدعاء منه.

ولذلك فلا عجب أن يهتم مشايخ الصوفية وهم أحياء ببناء أضرحتهم والإشراف عليها بأنفسهم حتى يضمنوا تحولهم إلى مناسك للعبادة بعد الموت!!

وياليت الأمر وقف عند هذا الحد في القبور والأضرحة.. بل إن هنالك تخصصا لكل صاحب ضريح فهناك ضريح الشيخ عز الرجال بطنطا.. ومشهور عنه شفاء الأمراض وخاصة أمراض الأطفال وهو بالمناسبة رجل مغربي يقام له مولد كل عام على غرار مولد السيد البدوي.

وهناك ضريح على الحامولي ومشهور عنه زواج العانس ولذلك تردد النساء الزائرات قولهن: «سيدي يا حامولي جوزني وأنا أجيب لك شمعة طولي». هل نعلق على هذه التخاريف والتي تناقض أصل الإسلام؟!

اعترف بأن إبليس شيخه وأستاذه

نكمل في العدد القادم إن شاء الله.

هذا بيان للناس

إعداد/ د. عبد العظيم بدوي

إن الأمن والأمان من أجلّ نعم الله تبارك وتعالى، امتنّ الله بها على قريش في أكثر من آية، قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا وَيُتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَكْفُرُونَ﴾ [العنكبوت:٦٧].وقال تعالى: ﴿أَوَلَمْ نُمَكِّنْ لَهُمْ حَرَمًا آمِنًا يُجْبَى إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ رِزْقًا مِنْ لَدُنَّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ﴾ [القصص:٥٧].

فالأمن والأمان من أجلّ نعم الله تبارك وتعالى على العباد، فيها يجد الإنسان نفسه، ويؤدي وظيفته، ويغدو ويروح آمنا مطمئنا، ومن هنا امتنّ الله على قريش بنعمة الأمن أمرهم أن يعبدوه شكرا عليها، فقال تعالى: ﴿لإِيلاَفِ قُرَيْشٍ (١) إِيلاَفِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ (٢) فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ (٣) الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ﴾ [قريش:١-٤].

وفي هذه الآيات إشارة لطيفة إلى أنه في حال الأمن يتمكن الناس من عبادة الله تعالى، ولكن في حال الخوف والقلق لا يتمكنون من عبادة الله تعالى، وإذا أدّوها لم يؤدوها على وجهها المشروع أصلا، وإنما يستخدمون الرخص التي رخص الله لهم فيها في حال الخوف والقلق، ومن هنا كانت صلاة الخوف تختلف في حقيقتها عن الصلاة في حال الأمن، يوضح ذلك قوله تعالى: ﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلاَةِ الْوُسْطَى وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ (٢٣٨) فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالاً أَوْ رُكْبَانًا فَإِذَا أَمِنْتُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة:٢٣٨].

فلما كذبت قريش رسولها، وعصت أمر ربها، ولم يشكروه على ما أنعم به عليهم من نعمة الأمن بدّل الله أمنهم خوفا، وشبعهم جوعا، كما قال تعالى: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ (١١٢) وَلَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ وَهُمْ ظَالِمُونَ﴾ [النحل:١١٢-١١٣].

ولما بدّل الله حال قريش من الأمن إلى الخوف، بدّل حال الفئة المؤمنة من الخوف إلى الأمن، وحقّق لهم وعده الذي وعدهموه في قوله: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا﴾ [النور:٥٥].

وامتنّ الله على هذه الفئة المؤمنة بما حباها من نعمة الأمن، فقال سبحانه: ﴿وَاذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الأَرْضِ تَخَافُونَ أَنْ يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ فَآوَاكُمْ وَأَيَّدَكُمْ بِنَصْرِهِ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [الأنفال:٢٦].

ومن أجل المحافظة على هذه النعمة أمر الله ورسوله بالصبر على ولاة الأمر

وعدم الخروج عليهم، لما يترتب على الخروج عليهم من إزالة الأمن والأمان، وحلول الفوضى والقلق والاضطراب، الذي تسلب فيه الأموال، وتنتهك فيه الأعراض، وتزهق فيه الأرواح.

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إنها ستكون بعدي أثرة وأمور تنكرونها. قالوا: يا رسول الله، كيف تأمر من أدرك ذلك منا؟ قال: تؤدون الحق الذي عليكم، وتسألون الله الذي لكم» [متفق عليه]. وعن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «من كره من أميره شيئا فليصبر، فإنه من خرج من السلطان شبرا مات ميتة جاهلية» [متفق عليه].

وأسعد الناس بهذه النصوص أهل السنة والجماعة، الذين يدينون لله تعالى بالسمع والطاعة للأمراء، والدعاء لهم، وعدم الخروج عليهم، كما قال الإمام الطحاوي - رحمه الله -: «ولا نرى الخروج على أئمتنا وولاة أمورنا وإن جاروا، ولا ندعو عليهم، ولا ننزع يدا من طاعتهم، ونرى طاعتهم من طاعة الله عز وجل فريضة، ما لم يأمروا بمعصية، وندعو لهم بالصلاح والمعافاة».

ويدخل في طاعة الأمراء احترام أهل الذمة، المواطنين أو الوافدين، لأن لهم عهد أمان من الأمراء، بصيانة دمائهم وأموالهم، فلا يجوز سلب أموالهم، فضلا عن إزهاق أرواحهم، فقد جاءت الأحاديث تتوعد من فعل ذلك.

عن صفوان بن سليم رحمه الله عن عِدّة من أبناء أصحاب رسول الله ﷺ، أن رسول الله ﷺ قال: «ألا من ظلم معاهدًا، أو انتقصه، أو كلفه فوق طاقته، أو أخذ منه شيئا بغير طيب نفس، فأنا حجيجه يوم القيامة». [صحيح أبي داود:٢٦٢٦]

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «من قتل معاهدا لم يَرُحْ رائحة الجنة، وإن ريحها ليوجد من مسيرة أربعين عامًا». [رواه البخاري]

فتبين من ذلك أن هذه الحوادث الأخيرة التي وقعت في البلاد، واستهدف منفذوها قتل السيّاح الأجانب، تبين من ذلك أن هذه الأعمال مخالفة للشريعة، ولا يقرّها الإسلام والمسلمون أبدا.

كيف وآثارها تتعدى إلى المسلمين الأبرياء، والله تعالى يقول: ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا﴾ [النساء:٩٣].

وثالثا: هذا الذي يفجّر هذه التفجيرات فيقتل نفسه أولا قبل غيره، وقتل النفس حرام، والنبي ﷺ يقول: «من تردى من جبل فقتل نفسه، فهو في نار جهنم يتردى فيها خالدا مخلدًا فيها أبدا، ومن تحسّى سما فقتل نفسه، فسمّه في يده يتحسّاه في نار جهنم، خالدا مخلدا فيها أبدا، ومن قتل نفسه بحديدة، فحديدته في يده، يتوجّأ بها في بطنه في نار جهنم خالدًا مخلدا فيها أبدا». [متفق عليه]

لكل هذا، تستنكر أنصار السنة المحمدية هذه الحوادث، وتدعو الشباب إلى الإقبال على طلب العلم، الذي ينوّر لهم الطريق، وأن يحرصوا على مجالس العلماء الربانيين الذي يفقهونهم في الدّين، ويعلمونهم الحلال والحرام، ويأمرونهم بالمعروف وينهونهم عن المنكر.

وأخيرا: نهمس في أذن كل شاب: إياك والحماسة، وإياك والاندفاع، كيف تقتل نفسك ترجو بذلك الجنة، والجنة حرام علي من قتل نفسه، أو قتل نفسًا بغير حق.

هذا بيان للناس وهدى وموعظة للمتقين.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

السُّبل المثلى لإصلاح البيوت

إعداد
زكريا حسيني

الحمد لله رب العالمين، الرحمن الرحيم مالك يوم الدين والصلاة والسلام على خاتم النبيين ورحمة الله للعالمين نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين. وبعد:

عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: لم أزل حريصًا على أن أسأل عمر رضي الله عنه عن المرأتين من أزواج النبي ﷺ اللتين قال الله لهما: ﴿ إِن تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا ﴾ حتى حجَّ وحججتُ معه، وعدل وعدلت معه بإداوة، فتبرز ثم جاء فسكبت على يديه منها فتوضأ، فقلت له: يا أمير المؤمنين، من المرأتان من أزواج النبي ﷺ اللتان قال الله تعالى لهما: «إن تتوبا إلى الله فقد صغت قلوبكما»؟ فقال: واعجبًا لك يا ابن عباس، هما عائشة وحفصة، ثم استقبل عمر الحديث يسوقه، فقال: كنت أنا وجار لي من الأنصار في بني أمية بن زيد وهم من عوالي المدينة، وكنا نتناوب النزول على رسول الله ﷺ فينزل يومًا وأنزل يومًا، فإذا نزلت جئته بما حدث من خبر ذلك اليوم من الوحي أو غيره، وإذا نزل فعل مثل ذلك، وكنا معشر قريش نغلب النساء، فلما قدمنا على الأنصار إذا قوم تغلبهم نساؤهم فطفق نساؤنا يأخذن من أدب نساء الأنصار، فصخبت على امرأتي فراجعتني، فأنكرت أن تراجعني. قالت: ولم تنكر أن أراجعك؟ فوالله إن أزواج النبي ﷺ ليراجعنه وإنَّ إحداهن لتهجره اليوم حتى الليل، فأفزعني ذلك فقلت لها: قد خاب من فعل ذلك منهن ثم جمعت عليَّ ثيابي فنزلت فدخلت على حفصة فقلت لها: أيْ حفصة، أتغاضب إحداكن النبي ﷺ اليوم حتى الليل؟ قالت: نعم، فقلت: قد خبتِ وخسرتِ، أفتأمنين أن يغضب الله لغضب رسول الله ﷺ فتهلكي؟ لا تستكثري النبي ﷺ ولا تراجعيه في شيء ولا تهجريه، وسليني ما بدا لكِ، ولا يغرنك أن كانت جارتك أوضأ منك وأحب إلى النبي ﷺ- يريد عائشة- قال عمر: وكنا قد تحدثنا أن غسان تُنْعِلُ الخيل لغزونا، فنزل صاحبي الأنصاري يوم نوبته. فرجع إلينا عشاءً فضرب بابي ضربًا شديدًا وقال: أَثَمَّ هو؟ ففزعت فخرجت إليه، فقال: قد حدث اليوم أمر عظيم، قلت ما هو؟ أجاء غسان؟ قال: لا، بل أعظم من ذلك وأهول، طلق النبي ﷺ نساءه، فقلت: خابت حفصة وخسرت، وقد كنت أظن هذا يوشك أن يكون، فجمعت عليَّ ثيابي فصليت صلاة الفجر مع النبي ﷺ فدخل النبي ﷺ مشربة له فاعتزل فيها، ودخلت على حفصة فإذا هي تبكي، فقلت: ما يبكيك؟ ألم أكن حذرتك هذا؟ أطلقكن النبي ﷺ؟ قالت: لا أدري، ها هو ذا معتزل في المشربة، فخرجت فجئت إلى المنبر فإذا حوله رهط يبكي بعضهم فجلست معهم قليلاً، ثم غلبني ما أجد فجئت المشربة التي فيها النبي ﷺ فقلت لغلام له أسود: استأذن لعمر، فدخل الغلام فكلم النبي ﷺ ثم رجع فقال: كلمت النبي ﷺ وذكرتك له فَصَمَتَ، فانصرفت حتى جلست مع الرهط الذين عند المنبر. ثم غلبني ما أجد فجئت فقلت للغلام- فذكر مثله، فجلست مع الرهط الذين عند المنبر. ثم غلبني ما أجد فجئت- فذكر مثله- فلما وليت منصرفًا فإذا الغلام يدعوني فقال: قد أذن لك النبي ﷺ، فدخلت على النبي ﷺ فإذا هو مضطجع على رمال حصير ليست بينه وبينه فراش قد أثر الرمال بجنبه متكئًا على وسادة من أَدَم حشوها ليف، فسلمت عليه ثم قلت: وأنا قائم: يا رسول الله أطلقت نساءك؟ فرفع إليَّ بصره فقال: لا. فقلت: الله أكبر. ثم قلت وأنا قائم استأنس: يا رسول الله لو رأيتني وكنا معشر قريش نغلب النساء فلما قدمنا المدينة إذا قوم تغلبهم نساؤهم فتبسم النبي ﷺ، ثم قلت: يا رسول الله لو رأيتني ودخلت على حفصة فقلت لها: لا يغرنك أن كانت جارتك أوضأ منك وأحب إلى النبي ﷺ، يريد عائشة، فتبسم النبي ﷺ تبسمة أخرى، فجلست حين رأيته تبسم فرفعت بصري في بيته فو الله ما رأيت في بيته شيئًا يرد البصر غير أهبة ثلاث، فقلت: يا رسول الله ادع الله فليوسع على أمتك

فإن فارس والروم قد وُسع عليهم وأعطوا الدنيا وهم لا يعبدون الله، فجلس النبي ﷺ وكان متكئًا فقال: أوَ في هذا أنت يا ابن الخطاب؟ إن أولئك قوم قد عجلوا طيباتهم في الحياة الدنيا، فقلت يا رسول الله استغفر لي. فاعتزل النبي ﷺ نساءه من أجل ذلك الحديث حين أفشته حفصة إلى عائشة تسعًا وعشرين ليلة، وكان قد قال: ما أنا بداخل عليهن شهرًا من شدة موجدته عليهن حين عاتبه الله عز وجل، فلما مضت تسع وعشرون ليلة دخل على عائشة فبدأ بها، فقالت له عائشة: يا رسول الله إنك قد أقسمت أن لا تدخل علينا شهرًا، وإنما أصبحت من تسع وعشرين ليلة أعدها عدًا، فقال النبي ﷺ: الشهر تسع وعشرون وكان ذلك الشهر تسعًا وعشرين ليلة. قالت عائشة: ثم أنزل الله تعالى آية التخيير فبدأ بي أول امرأة من نسائه فاخترته، ثم خير نساءه كلهن فقلن مثل ما قالت عائشة. آهـ

هذا الحديث أخرجه البخاري في عشرة مواضع من صحيحه موضع في كتاب العلم باب التناوب في العلم، وفي كتاب المظالم موضع في باب الغرفة المشرفة وغير المشرفة وثلاثة مواضع في كتاب التفسير في تفسير سورة التحريم باب تبتغي مرضاة أزواجك، وباب وإذ أسر النبي إلى بعض أزواجه حديثًا، وباب: إن تتوبا إلى الله فقد صغت قلوبكما، وفي كتاب النكاح في موضعين في باب موعظة الرجل ابنته لحال زوجها، وفي باب حب الرجل بعض نسائه أفضل من بعض، وفي موضع من كتاب اللباس باب: ما كان النبي ﷺ يجوز من اللباس والبسط، وفي موضعين من كتاب أخبار الآحاد باب في إجازة خبر الواحد الصدوق في الأذان والصلاة والصوم والأحكام، وفي باب قوله تعالى: ﴿لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ﴾، كما أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب الطلاق باب في الإيلاء واعتزال النساء وتخييرهن، وأخرجه الترمذي في التفسير والنسائي في الصيام.

شرح الحديث

قول ابن عباس رضي الله عنهما: «لم أزل حريصًا على أن أسأل عمر»، وفي رواية قال: «مكثت سنة أريد أن أسأل عمر». فيه حرص ابن عباس على تحصيل العلم، وعلو الإسناد.

وقوله رضي الله عنه: «حتى حج وحججت معه». وفي رواية: «فما أستطيع أن أسأله هيبة له حتى خرج حاجًا». قال الحافظ: وعند ابن مردويه: «أردت أن أسأل عمر فكنت أهابه حتى حججنا معه، فلما قضينا حجنا قال: مرحبًا يا ابن عم رسول الله، ما حاجتك؟

وقوله: «وعدل»: أي عدل عن الطريق إلى مكان يستطيع أن يقضي حاجته فيه دون أن يراه أحد. وقوله: «وعدلت معه بإداوة فتبرز» أي: قضى حاجته، والإداوة: إناء صغير من جلد.

قوله: «فقلت له يا أمير المؤمنين من المرأتان» في رواية عبيد بن حنين في كتاب التفسير: «فوقفت له حتى فرغ ثم سرت معه فقلت: يا أمير المؤمنين من اللتان تظاهرتا على النبي ﷺ من أزواجه؟ قال: تلك حفصة وعائشة، فقلت: والله إن كنت لأريد أن أسألك عن هذا منذ سنة فما أستطيع هيبةً لك: قال: فلا تفعل، ما ظننت أن عندي من علم فاسألني، فإن كان لي علم خبرتك به».

وقوله تعالى: ﴿إِن تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾ أي: قال الله تعالى لهما: إن تتوبا من التعاون على رسول الله ﷺ، ومعنى تظاهرهما أنهما تعاونتا على رسول الله ﷺ حتى حرَّم على نفسه ما حرَّم.

قول عمر رضي الله عنه: «واعجبًا لك يا ابن عباس»، تعجب عمر من ابن عباس يسأل عن هذا مع شهرته في العلم وخاصة بالتفسير وكيف خفي عليه مع عظمته في نفس عمر وتقدمه في العلم على غيره، أو تعجب من حرصه على طلب فنون التفسير حتى معرفة المبهم، وقيل: تعجب عمر من ابن عباس دليل على أنه كره ما سأله عنه وقد جزم بذلك الزهري كما في رواية مسلم عنه.

قوله: «عائشة وحفصة». وفي رواية: «حفصة وأم سلمة» والأولى هي الأكثر والأشهر.

قوله: «ثم استقبل عمر الحديث يسوقه». أي يسوق القصة التي كانت سبب نزول الآية.

قوله: «كنت أنا وجار لي من الأنصار» هذا الجار هو عتبان بن مالك كما قال الحافظ: أفاده ابن القسطلاني، لكن لم يذكر دليله، ثم جزم ابن حجر أن هذا الجار هو أوس بن خولي بن عبد الله بن الحارث الأنصاري، كما جاء في رواية عن عائشة عند ابن سعد. ثم قال: وهذا هو المعتمد.

وقوله: نغلب نساءنا أي نحكم عليهن ولا يحكمن علينا بخلاف الأنصار، فكانوا بالعكس من ذلك، وفي رواية: «كنا ونحن بمكة لا يكلم أحد امرأته إلا إذا كانت له حاجة قضي منها حاجته»، وفي رواية أخرى: «ما نعد للنساء أمرًا». وفي ثالثة: «كنا لا نعتد بالنساء ولا ندخلهن في أمورنا».

قوله: «فطفق» فعل ناقص من أخوات «كاد» ومعناه أخذ أو جعل، أي أنهن أخذن في تعلم ذلك.

قوله: «من أدب نساء الأنصار» أي من طريقتهن، وفي رواية: «من أرب» وهو العقل، وفي رواية أخرى «يتعلمن من نسائهم». وفي ثالثة: «فلما قدمنا المدينة تزوجنا من نساء الأنصار فجعلن يكلمننا ويراجعننا».

قوله: «فصخبت» وفي رواية: فسخبت بالسين

وهما بمعنى والمقصود الزجر من الغضب، وفي رواية «فصحت» من الصياح وهو رفع الصوت.

قوله: «فأنكرت أن تراجعني» أي تراودني في القول وتناظرني فيه وتناقشني، وفي رواية: «فقلت لها: وما تكلفك في أمر أريده؟ فقالت لي: عجبًا لك يا ابن الخطاب، ما تريد أن تراجع». ووقع في رواية أخرى: «فلما جاء الإسلام وذكرهن الله رأينا لهن بذلك حقًا علينا من غير أن ندخلهن في شيء من أمورنا، وكان بيني وبين امرأتي كلام فأغلظت لي»، وفي رواية: «فقمت إليها بقضيب فضربتها به، فقالت: يا عجبًا لك يا ابن الخطاب».

قوله: «تنكر أن أراجعك، فوالله إن أزواج النبي ﷺ يراجعنه، وإن إحداهن لتهجره اليوم حتى الليل»: وفي رواية قالت: تقول لي هذا وابنتك تؤذي رسول الله ﷺ، وفي رواية الطيالسي: «فقلت: متى كنت تدخلين في أمورنا؟ فقالت: يا ابن الخطاب، ما يستطيع أحد أن يكلمك وابنتك تكلم رسول الله ﷺ حتى يظل غضبان».

قوله: «فقلت لها قد خاب» كذا في أكثر الروايات، وجاء في رواية عقيل: «فقلت: قد جاءت من فعلت ذلك بعظيم» وهو الصواب في هذه الرواية التي فيها «بعظيم» وأما غيرها فالصحيح «خاب» بدليل عطف خسر عليه.

قوله: «ثم جمعت عليَّ ثيابي» أبي لبستها جميعها.

قوله: «أفتأمنين أن يغضب الله لغضب رسول الله ﷺ فتهلكي». بنصب تهلكي بأن مضمرة بعد فاء السببية في سياق الاستفهام، وفي رواية قال: «فقلت: تعلمين أني أحذرك عقوبة الله وغضب رسوله».

قوله: «لا تستكثري النبي ﷺ» أي لا تطلبي منه الكثير، و«سليني ما بدا لك». أي ظهر لك.

قوله: «جارتك» أي ضرتك، وعائشة كانت جارتها على الحقيقة، ويمكن حمل اللفظ على المعنيين، والعرب يطلق على الضرة جارة، وكان ابن سيرين يكره تسميتها ضرة، ويقول: إنها لا تضر ولا تنفع ولا تذهب من رزق الأخرى بشيء وإنما هي جارة، وقال القرطبي: اختار عمر تسميتها جارة أدبًا منه أن يضاف لفظ الضرر إلى أحد من أمهات المؤمنين.

وقوله في الرواية التي في التفسير من رواية عبيد بن حنين: «قال: ثم خرجت حتى دخلت على أم سلمة لقرابتي منها فكلمتها، فقالت أم سلمة: عجبًا لك يا ابن الخطاب دخلت في كل شيء، حتى تبتغي أن تدخل بين رسول الله ﷺ وأزواجه، فأخذتني والله أخذًا كسرتني عن بعض ما كنت أجد فخرجت من عندها». فقوله: «كسرتني» أي: أخذتني بلسانها أخذًا دفعني عن مقصدي وكلامي، وفي رواية لابن سعد: فقالت أم سلمة: إي والله إنا لنكلمه، فإن تحمل ذلك فهو أولى به، وإن نهانا عنه كان أطوع عندنا منك. قال عمر: فندمت على كلامي لهن. وقد أخرج المصنف في تفسير سورة البقرة من حديث أنس عن عمر قال: «وافقت الله في ثلاث» الحديث، وفيه: وبلغني معاتبة النبي ﷺ بعض نسائه فدخلت عليهن فقلت: لئن انتهيتن أو ليبدلن الله رسوله خيرًا منكن، حتى أتيت إحدى نسائه فقالت: يا عمر، أما في رسول الله ما يعظ نساءه حتى تعظهن أنت؟ وهذه المرأة قيل هي زينب بنت جحش وقيل أم سلمة.

قوله: «خابت حفصة وخسرت» خصها بالذكر لكونها ابنته وقد كان قريب عهد بتحذيرها ذلك. ووقع في رواية: «فقلت: رغم أنف حفصة وعائشة». وكأنه خصهما بالذكر لكونهما كانتا السبب في ذلك.

قوله: «فنكست منصرفًا» أي رجعت إلى ورائي منصرفًا.

قوله: «فإذا هو مضطجع على رمال حصير». الحصير المرمول هو المنسوج، وفي رواية: «على رَمْل» أي رمل حصير، وفي رواية أخرى «على رمال سرير»، ووقع في رواية: «على حصير وقد أثر الحصير في جنبه»، وكأن السرير نسج كما ينسج الحصير وليس بينه وبين جنب رسول الله ﷺ فرش فأثر السرير بنسيجه في جنب رسول الله ﷺ.

قوله: «فقلت وأنا قائم: أطلقت نساءك؟ فرفع إليَّ بصره، فقال: لا، فقلت: الله أكبر»، لما جزم الأنصاري لعمر بأن النبي ﷺ طلق نساءه واستفسر عمر من النبي ﷺ عن ذلك فلم يجد له حقيقة كبر تعجبًا من نقل الأنصاري أوكبَّر حامدًا الله تعالى على عدم وقوع الطلاق، وفي حديث أم سلمة عند ابن سعد: «فكبر عمر تكبيرة سمعناها ونحن في بيوتنا فعلمنا أن عمر سأله: أطلقت نساءك؟ فقال: لا، فكبر حتى جاءنا الخبر بعد».

قوله: «غير أَهَبَةٍ ثلاث» جمع إهاب وهو الجلد قبل أن يدبغ، وقيل هو الجلد دبغ أو لم يدبغ.

قوله: «ادع الله فليوسع على أمتك». وفي رواية: «فبكيت، فقال: وما يبكيك؟ فقال: يا رسول الله، إن كسرى وقيصر فيما هما فيه وأنت رسول الله». وفي رواية ثالثة: «فابتدرت عيناني فقال: ما يبكيك يا ابن الخطاب؟ فقلت: وما لي لا أبكي وهذا الحصير قد أثر في جنبك، وهذه خزانتك لا أرى فيها إلا ما أرى وذاك قيصر وكسرى في الثمار والأنهار، وأنت رسول الله وصفوته».

قوله: «فجلس وكان متكئًا فقال: «أو في هذا أنت يا ابن الخطاب؟» وفي رواية: أوفي شك أنت يا ابن الخطاب؟» ومعناه أتشك في أن التوسع في الآخرة خير من

التوسع في الدنيا؟
قوله: «إن أولئك قوم قد عجلوا طيباتهم في الحياة الدنيا». وفي رواية: «ألا ترضى أن تكون لهم الدنيا ولنا الآخرة؟»
قوله: «فقلت: يا رسول الله، استغفر لي» أي عما بدر مني في هذا.
قوله: «فاعتزل النبي ﷺ نساءه من أجل ذلك الحديث الذي أفشته حفصة إلى عائشة»، وكان قال ﷺ: ما أنا بداخل عليهن شهرًا من شدة موجدته عليهن، حين عاتبه الله، من شدة موجدته أي من شدة غضبه.
والعتاب الذي عوتب به ﷺ هو قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ ﴾ الآيات.
وقد اختلف في الذي حرم على نفسه وعوتب عليه على أقوال: منها أنه العسل الذي كان يأكله عند حفصة، ومنها أنه جاريته مارية القبطية، ومنها أن زينب رضي الله عنها لم ترض بنصيبها الذي أرسله إليها النبي ﷺ من هدية أهديت إليه، أو من ذبيحة ذبحها، ومنها اجتماع أزواج النبي ﷺ عنده يطلبن منه التوسعة حتى دخل أبو بكر وعمر وأراد كل منهما أن يضرب ابنته.
قال الحافظ في الفتح: ويحتمل أن يكون مجموع هذه الأشياء كان سببًا لاعتزالهن، وهذا هو اللائق بمكارم أخلاقه ﷺ وسعة صدره وكثرة صفحه، وأن ذلك لم يقع منه حتى تكرر منهن موجبه صلوات الله وسلامه عليه، ورضوان الله عليهن.
قوله: «فدخل على عائشة، فقالت له عائشة: يا رسول الله إنك كنت قد أقسمت أن لا تدخل علينا شهرًا وإنما أصبحت من تسع وعشرين ليلة». وكذلك ذكّره عمر، ولا منافاة في ذلك حيث ذكره عمر عند نزوله من المشربة، وذكرته عائشة عند دخوله عليها.
وفي هذا الحديث من الفوائد الكثير نختصر منها ما يلي:
١- سؤال العالم عن بعض أمور أهله إن كانت فيه سنة تنقل أو حكم يحفظ.
٢- توقير العالم ومهابته، وترقب الأوقات المناسبة لسؤاله.
٣- أن شدة الوطأة على النساء أمر مذموم، وأن الصبر على الزوجات والإغضاء عما يقع منهن في حق الزوج دون ما يكون في حق الله تعالى.
٤- تأديب الرجل ابنته أو قريبته بالقول لأجل إصلاحها لزوجها.
٥- تواضع الطالب للعالم وصبر العالم على الطالب، وتفصيل الكلام للطالب إن كان في التفصيل مصلحة للطالب.
٦- طلب علو الإسناد، حيث حرص ابن عباس على أن يسمع من عمر مباشرة هذه القصة.
٧- طلب العلم والحرص عليه، مع الحرص على تفريغ وقت لطلب المعاش وإصلاح الأهل.
٨- جواز اتخاذ الحاكم بوابًا يمنع من يدخل عليه عند الخلوة، إلا بإذنه.
٩- للإمام أن يحتجب عن بطانته وخاصته إذا أصابه هم حتى يذهب غيظه فيخرج إليهم وهو منبسط.
١٠- الرفق بالأصهار والحياء منهم إذا وقع للرجل من أهله ما يدعو إلى معاتبتهم.
١١- السكوت قد يكون أبلغ من الكلام وأفضل في بعض الأحايين.
١٢- مشروعية الاستئذان وإن كان وحده لاحتمال أن يكون على حالة يكره الاطلاع عليه ومشروعية تكرار الاستئذان وأنه لا يزيد على ثلاث.
١٣- أن الاشتغال بالآخرة خير من تعجل نعيم الدنيا والتوسع فيه.
١٤- أن المرء إذا رأى صاحبه مهمومًا استحب له أن يحدثه بما يزيل همه ويطيب نفسه.
١٥- جواز الاستعانة في الوضوء بالصب على المتوضئ، وخدمه الصغير الكبير وإن كان الصغير أشرف نسبًا.
١٦- تذكير الحالف بيمينه إذا وقع منه ما ظاهره النسيان لا سيما من له تعلق به.
١٧- سكنى الغرفة العالية ذات الدرج، واتخاذ الخزانة لأثاث البيت والأمتعة.
١٨- التناوب في مجلس العالم إذا لم يتيسر المواظبة لشاغل شرعي ديني أو دنيوي.
١٩- قبول خبر الواحد ولو كان الآخذ فاضلاً والمأخوذ عنه مفضولاً.
٢٠- رواية الكبير عن الصغير.
٢١- اهتمام الصحابة بالاطلاع على أحوال النبي ﷺ جلّت أو قلّت.
٢٢- أن الصحابة كانوا في أعلى درجة من رعاية خاطر النبي ﷺ والقلق لما يقلقه والغضب لما يغضبه والهم لما يهمه رضي الله عنهم.
٢٣- أن الرجل الوقور قد يحمله الغضب والحزن على ترك التأني المألوف منه.
٢٤- كراهة سخط النعمة ولو كانت قليلة وذم احتقار ما أنعم الله به.
٢٥- الاستغفار لما يقع من الإنسان من هفوات، وطلب الاستغفار من أولي الفضل.
٢٦- إيثار القناعة وعدم الالتفات إلى ما خص الله به الغير من أمور الدنيا.
٢٧- المعاقبة على إفشاء السر بما يليق بمن أفشاه من العقوبات.
نسأل الله تعالى أن يرزقنا العلم النافع والعمل الصالح، وصلى الله وبارك على عبده ورسوله محمد وآله وصحبه أجمعين، والحمد لله رب العالمين.

صفات الأفعال عند السلف الصالح

إعداد أ.د / محمد عبد العليم الدسوقي
الأستاذ المساعد بجامعة الأزهر

ذكر علماء الأصول وأئمة الدين أن كل ما ثبت من صفات الله في الوحيين - الكتاب والسنة - صفات مدح وصفات كمال، وأن ما تعلق منها بذاته سبحانه من نحو صفات العلم والقدرة والبصر والعزة والحكمة والعلو والعظمة - ويندرج تحتها الصفات الخبرية كالوجه واليدين والعينين - تسمى بالصفات الذاتية، وما تعلق منها بمشيئته تعالى إن شاء فعلها وإن شاء لم يفعلها من نحو صفات النزول والاستواء والضحك والغضب والإتيان والمجيء، فتسمى بالصفات الفعلية، بله أن متأخري الأشاعرة الذين تراجع معظمهم كانوا يرون غضاضة في نسبة الصفات الفعلية وكثير من الصفات الخبرية إلى الله بحجة تنزيهه تبارك وتعالى عنها لكونها- على حد قولهم- من لوازم البشر ومما يتوهم منها التشبيه والتجسيم، وقد دعاهم هذا إلى تأويلها وإخراجها عن ظاهر معناها إلى المجاز، مع أن ما اكتفوا بإثباته هو كذلك مما يمكن أن يُتوهم منه التشبيه وأن لازم قولهم هو نفي جميع الصفات لكون السمع والبصر والعلم والقدرة هي أيضًا من لوازم البشر ومما يتصف به المخلوقون.

وكما قلنا فقد تراجع عن هذا الفهم الخاطئ جل أولئك وعلى رأسهم إمام المذهب أبو الحسن الأشعري، لكن- وذلك من شديد ما يؤسف له- ما نسب إلى أبي الحسن أولاً وما كان يعتقده قبل تراجعه، وكذا ما سطره المتأخرون ممن تأثروا بهذه الحقبة من حياته ودبَّجوا به كتبهم، لا يزال هو المعتمد والسائد في دراسة العقيدة وما فتئ السواد الأعظم من الأمة يعتنقه ويعتقده صوابًا، وتناسى هؤلاء وأولئك تراجع جل من كانوا يعتنقون هذا المعتقد وأن مذهب الإنسان هو ما تراجع إليه وما مات عليه، وأن دلالة السمع[1] والعقل على ما ثبت من صفات الذات كدلالتهما على ما أنكروه من صفات الفعل وأن قولهم هذا مؤد لا محالة إلى نفي سائر صفات الذات كدلالتهما على ما أنكروه من صفات الفعل وأن قولهم هذا مؤد لا محالة إلى نفي سائر صفات الذات وإلى تعطيلها وأن الإيمان بها جميعًا دون تأويل ودون القول بمجازيتها هو من التوحيد، ومن ثم فاعتناق صحيحه من أوجب الواجبات وأفرض الفرائض، ولقد كان هذا هو معتقد خير القرون وسلف هذه الأمة التي لا تجتمع أبدًا على ضلالة. وإلى إخواننا بيان لما أدت إليه تأويلاتهم:

١- مخالفة حمل صفات الأفعال على غير ظاهرها لأدلة الشرع والعقل:

إن القول بحمل آيات صفات الأفعال أو بعضها على غير ظاهرها أي على المجاز تحت زعم أنها توهم التجسيم أو التشبيه، وكذا الادعاء بأن حمل تلك الآيات على الظاهر- لما زُعم فيها من معنى الحسية والجسمية- يُوجب تناقضًا بين هذه الآيات الوارد فيها هذه الصفات وبين قوله سبحانه: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى:١١]، قول غير صحيح وادعاء باطل، بل هو ضرب لكتاب الله بعضه ببعض، وذلك كما ورد في الحديث تكذيب لله ورسوله.

وهو فضلاً عن كونه مناقضًا لأدلة الشرع التي امتلأت بها مصنفات القوم ويضيق المقام عن ذكرها[2]، والتي يتحتم معها حملها على ظاهر معناها طالما لا توجد القرينة المانعة من إرادة المعنى الحقيقي، هو مناقض كذلك لأدلة العقل التي

تقضي بمخالفة الله للحوادث وأن كل ما خطر ببالك فالله بخلاف ذلك، وأن الدلالة العقلية على علمه وقدرته وسمعه وبصره كدلالتها على رضاه وغضبه ونزوله واستوائه، وأن التفريق بين صفة وأخرى تحكم محض، وبالتالي فادعاء المجاز في شيء منها، يستلزم- لكون الصفة تابعة لموصوف- ألا يكون رب العالمين موجودًا حقيقة ولا حيًا حقيقة ولا قادرًا حقيقة وكفى أصحاب هذه المقولة كفرًا، وأنه إذا كان المخلوق لا يشاركه غيره فيما له في ذاته وصفاته وأفعاله، فالخالق أولى ألا يشاركه غيره في شيء مما هو له سبحانه، وأنه كما أن الناس مفطورون على الإقرار بالخالق فإنهم مفطورون على أنه أكبر وأعلى وأجل من أن تشبه صفاته صفاتهم، لأن ذاته سبحانه لا تشبه ذواتهم فكذا صفاته لا تشبه صفاتهم، وأن الذي فر إلى القول بالمجاز في أيٍّ من صفات الله فأخرجها عن ظاهرها لظنه أن حقائق ذلك مما يختص بالمخلوقين كمن تأول الاستواء مثلاً بالاستيلاء، والضحك بالرحمة أو القرب، واليد بالقدرة إلخ، إنما فر من صفة لازمة للمخلوق إلى صفة أخرى لازمة له، وأن لو كانت «كل صفة وصف الله بها نفسه أو وصفه بها رسوله، صفة مجاز لتحتم تأويل جميع الصفات، ولقيل: معنى البصر كذا ومعنى السمع كذا، ولفسرت بغير السابق إلى الأفهام، بل ولبطل- على حد قول الإمام القصاب فيما نقله عنه الذهبي- أن تكون صفات لله، فلما كان مذهب السلف إقرارها بلا تأويل علم أنها غير محمولة على المجاز، وإنما هي حق بيّن»(٣).

٢- مخالفتهم في الادعاء بأن الأصل في الكلام وما يستلزمه القول بحمل الصفات على غير ظاهرها:

والذي يجب الانتباه إليه أن الأصل في الكلام أن يحمل على حقيقته وأنه لا يجوز إخراجه عن الحقيقة إلى المجاز أو على غير ظاهره إلا عند تعذر الحمل على الحقيقة أو لقرينة عقلية أو عرفية أو لفظية، فلا يستقيم بحال من الأحوال أن نحمل قول القائل مثلاً (جاء الأمير) على معنى جاء خادم الأمير) أو نحو ذلك من التقديرات دون قرينة تصرفه عن معناه، وإلا فهم منه غير مراد المتكلم وكان ضربًا من الكذب، وهكذا هو الحال في جميع آي الصفات من نحو قوله: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ [الفجر: ٢٢]، وقوله: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا أَن يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِّنَ الْغَمَامِ﴾ [البقرة: ٢١٠]، وقول النبي صلوات الله عليه: «ينزل ربنا كل ليلة»، فالأمر في مثل هذه الصفات- على حد ما ذكر محيي السنة الإمام البغوي فيما نقله عنه الإمام الذهبي- «أن يؤمن الإنسان بظاهرها ويكل علم كنهها إلى الله، ويعتقد أن الله منزه عن سمات الحدوث، على ما كان عليه أئمة السلف وعلماء السنة»(٤).

وإلا فهل كان الله عاجزًا عن أن يقول: «وجاء أمر ربك» أو عجز رسوله عن أن يقول: «تنزل رحمته»؟ وهل من تأولوا المجيء والإتيان بمجيء أمره كما فعل الجهمية لما فهموا من هذه المعاني ما يتعلق منها بالمخلوق فصيرهم ذلك إلى هذه التأويلات الباطلة، كانوا في ذلك أعلم من قتادة وابن جريج وابن مسعود الذين نقل عنهم ابن جرير في تفسيره والسيوطي في الدر المنثور مجيئه سبحانه يوم القيامة على النحو اللائق به؟

كما أن القول بأن مراد الصفات غير ظاهرها، ينافي قصد البيان والإرشاد وهذا يستلزم أن الله قد أنزل في كتابه وعلى لسان نبيه من الألفاظ ما يضلهم ظاهره ويوقعهم في التشبيه والتمثيل، وأن يكون سبحانه قد ترك بيان الحق ولم يفصح به وألغزه إلغازًا وأن يكون ما جاء في نحو قوله تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [الزخرف:٣]، عبثًا من القول، وأن يكون سبحانه قد كلف عباده ألا يفهموا من تلك الألفاظ حقائقها، وأن يفهموا منها ما لا تدل عليه، كما يستلزم القول بإخراج الصفات عن ظاهرها إنشاء وضع جديد لألفاظها وأن الله أراد بهذه الألفاظ خلاف معانيها المفهومة منها عند التخاطب وأن تكون الصفات حقيقة للمخلوق مجازًا في حق الخالق فلا يكون رب العزة سبحانه موجودًا حقيقة ولا حيًا حقيقة... إلخ، وفي هذا من فساد العقيدة ما فيه، وعليه فليس يعني ذلك- حيال كل ما ذكرنا- إلا حمل آيات الصفات جميعها على ظاهرها على النحو اللائق به سبحانه دون تشبيه ولا تكييف ولا تجسيم، وهذا ما كان عليه سلف الأمة ودل عليه إجماعهم.

٣- مخالفة (حمل صفات الأفعال على غير ظاهرها) للإجماع:

وكما أن القول بإخراج صفات الأفعال عن ظاهرها إلى المجاز مخالف لأدلة الشرع والعقل فإنه كذلك قول وادعاء مناهض لإجماع السلف الذي يقضي بحمل جميع ما وصف الله به نفسه دون ما استثناء على ظاهره.

ونذكر من ذلك مما نقله عن أهل العلم الإمام

الحافظ أبي عبد الله شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي في كتاب «العلو للعلي الغفار وإيضاح صحيح الأخبار من سقيمها»، قول الخطابي صاحب معالم السنن (ت٣٨٨) في كتاب الغنية ونقله عنه من العلماء من لا يحصى عددهم: «فأما ما سألت عنه من الكلام في الصفات، وما جاء منها في الكتاب والسنة الصحيحة، فإن مذهب السلف إثباتها وإجراؤها على ظاهرها، ونفي الكيفية والتشبيه عنها»[٥].

وقول القادر بالله أحمد بن المقتدر أمير المؤمنين (ت٤٢٢) في معتقده المشهور الذي ذكر أنه هو قول أهل السنة والجماعة: «وأنه خلق العرش لا لحاجة واستوى عليه كيف شاء لا استواء راحة، وكل صفة وصف بها نفسه أو وصفه بها رسوله ﷺ فهي صفة حقيقة لا صفة مجاز»[٦].

وقول الحافظ أبي عمرو الطلمنكي (ت٤٢٨) في كتابه الوصول إلى معرفة الأصول: «أجمع المسلمون من أهل السنة على أن معنى قوله: ﴿وهو معكم أينما كنتم﴾ الحديد: ٤، ونحو ذلك من القرآن: أنه علمه، وأن الله تعالى فوق السماوات بذاته مستوٍ على عرشه كيف شاء، وقال أهل السنة في قوله: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه: ٥]، أن الاستواء من الله على عرشه على الحقيقة لا على المجاز، فقد قال مَنْ قال من المعتزلة والجهمية: لا يجوز أن يسمى الله عز وجل بهذه الأسماء على الحقيقة ويسمى بها المخلوق، فنفوا عن الله الحقائق من أسمائه وأثبتوها لخلقه، فإذا سُئلوا ما حملهم على هذا الزيغ؟ قالوا: الاجتماع في التسمية يوجب التشبيه، قلنا: هذا خروج عن اللغة التي خوطبنا بها لأن المعقول في اللغة أن الاشتباه في اللغة لا يحصل بالتسمية، وإنما تشبيه الأشياء بأنفسها أو بهيئات فيها كالبياض بالبياض، ولو كانت الأسماء توجب اشتباهًا لاشتبهت الأشياء كلها لشمول اسم الشيء لها، فنسألم: أتقولون إن الله موجود؟ فإن قالوا: نعم. قيل لهم: يلزمكم على دعواكم أن يكون مشبهًا للموجودين، وإن قالوا: موجود ولا يوجب الاشتباه بينه وبين الموجودات، قلنا فكذلك هو سائر الصفات»[٧].

وقول حافظ المغرب ابن عبد البر صاحب التمهيد والاستذكار والاستيعاب (ت٣٦٨): «أهل السنة مجمعة على الإقرار بالصفات الواردة في الكتاب والسنة، وحملها على الحقيقة لا على المجاز، إلا أنهم لم يكيفوا شيئًا من ذلك، وأما الجهمية والمعتزلة والخوارج فكلهم ينكرونها ولا يحملون منها شيئًا على الحقيقة ويزعمون أن من أقر بها مشبه»[٨]، وقول القاضي أبي يعلى (ت٤٥٨) في «إبطال التأويل»: «لا يجوز رد هذه الأخبار ولا التشاغل بتأويلها، والواجب حملها على ظاهرها وأنها صفات الله عز وجل لا تشبه صفات الموصوفين بها من الخلق، ويدل على إبطال التأويل أن الصحابة ومن بعدهم حملوها على ظاهرها ولم يتعرضوا لتأويلها ولا صرفها عن ظاهرها، فلو كان التأويل سائغًا- يعني على ما زعم من قال إن في الحمل على ظاهرها تشبيه- لكانوا إليه أسبق لما فيه من إزالة التشبيه»[٩].

وقول الحافظ أبي بكر الخطيب (ت٤٦٣): «أما الكلام في الصفات، فإن ما روي منها في السنن الصحاح، فمذهب السلف إثباتها وإجراؤها على ظواهرها ونفي الكيفية والتشبيه عنها، والأصل في هذا أن الكلام في الصفات فرع على الكلام في الذات، ولذا كان معلومًا أن إثبات رب العالمين إنما هو إثبات وجود لا إثبات تحديد وتكييف، فكذلك إثبات صفاته إنما هو إثبات وجود لا إثبات تحديد وتكييف، فإذا قلنا: يد وسمع وبصر، فإنما هو إثبات صفات أثبتها الله لنفسه، ولا نقول: إن معنى اليد القدرة ولا إن معنى السمع والبصر العلم، ولا نقول إنها جوارح وأدوات للفعل، ولا نشبهها بالأيدي والأسماع والأبصار التي هي جوارح وأدوات للفعل، ونقول: إنما وجب إثباتها لأن التوقيف ورد بها ووجب نفي التشبيه عنها لقوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾، وقوله: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾[١٠]، وقول الإمام البغوي صاحب «شرح السنة» و«معالم التنزيل» (ت٥١٦) في تفسيره: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ أَن يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِّنَ الْغَمَامِ﴾: «الأولى في هذه الآية وما شاكلها أن يؤمن الإنسان بظاهرها ويكل علمها إلى الله، ويعتقد أن الله منزه عن سمات الحدوث، على ذلك مضت أئمة السلف وعلماء السنة»[١١]، وقول الحافظ أبي القاسم التيمي الأصبهاني (ت٥٣٥): «مذهب مالك والثوري والأوزاعي والشافعي وحماد بن سلمة وحماد بن زيد وأحمد ويحيى بن سعيد القطان وعبد الرحمن بن مهدي وإسحاق بن راهويه، أن صفات الله التي وصف بها نفسه ووصفه بها رسوله من السمع والبصر والوجه واليدين وسائر أوصافه، إنما هي على ظاهرها المعروف المشهور، من غير كيف يتوهم فيها، ولا تشبيه ولا تأويل.

قال ابن عيينة: كل شيء وصف الله به نفسه فقراءته تفسيره، أي هو على ظاهره لا يجوز صرفه إلى المجاز بنوع من التأويل»(١٢).

وقول العلامة أبي بكر محمد بن موهب في شرحه لرسالة الإمام أبي محمد بن أبي زيد بعد كلام طويل في الاستدلال على علوه سبحانه فوق عرشه: «فلما أيقن المنصفون إفراد ذكره بالاستواء على عرشه بعد خلق سماواته وأرضه وتخصيصه بصفة الاستواء علموا أن الاستواء هنا غير الاستيلاء ونحوه، فأقروا بوصفه بالاستواء على عرشه وأنه على الحقيقة لا على المجاز لأنه الصادق في قيله، ووقفوا عن تكييف ذلك وتمثيله إذ ليس كمثله شيء»(١٣)، وقول القرطبي (ت٦٧١) في تفسيره لقول الله تعالى: ﴿ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ [الأعراف: ٥٤، يونس: ٣، الرعد: ٢، الفرقان: ٥٩، السجدة: ٤، الحديد: ٤]، «لم ينكر أحد من السلف الصالح أن استواءه على عرشه حقيقة، وخص عرشه بذلك لأنه أعظم مخلوقاته وإنما جهلوا كيفية الاستواء»(١٤).

ففيما سبق- وهو قليل من كثير- ما يشير صراحة إلى أن إجماع أئمة السلف وخير القرون كان على حمل آي الصفات على ظاهرها وعلى أن علوه تعالى إنما هو علو قدر وعلو ذات لا كما يدعيه كثير من الناس أنه فقط علو قدر بعد أن تصوروا وشبهوا علوه سبحانه بالعلو الحسي.

وإجماعهم- كما هو معلوم- هو سبيل المؤمنين، والخارج عليه منخرط والعياذ بالله في عداد الجهمية والمعطلة والقدرية، بل ومندرج تحت من قال الله في شأنهم: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ [النساء: ١١٥]، كما أنه طاعن في عقيدة من قال النبي ﷺ في حقهم: «خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم»، من هنا عظم النكير على خالف ذلك حتى صرح الحافظ أبو العباس السراج (ت٣١٣) بأن: «من لم يقر ويؤمن بأن الله تعالى يعجب ويضحك وينزل كل ليلة إلى السماء الدنيا فيقول: من يسألني فأعطيه، فهو زنديق كافر يستتاب فإن تاب وإلا ضُربت عنقه، ولا يُصلى عليه ولا يُدفن في مقابر المسلمين»(١٥)، وذلك كائن- بالطبع- بعد إقامة الحُجة التي جاءت الإشارة إليها في قول الشافعي رحمه الله: «لله أسماء وصفات لا يسع أحدًا قامت عليه الحجة ردها، فإن خالف بعد ثبوت الحجة فهو كافر، فأما قبل ثبوت الحجة عليه فمعذور بالجهل، لأن علم ذلك لا يدرك بالعقل ولا بالروية والفكر»، وأنه لمن الغريب حقًا ألا ينزع القائلون بمجازية صفات الأفعال وكذا من يقلدونهم رؤوسهم إلى هذه النصوص ويصرون على مخالفتها على الرغم من انسجامها مع نصوص الكتاب والسنة وأدلة العقل، وعلى الرغم من دلالتها الصريحة على إجماع الصحابة والسلف؟ أمر غريب!

والأغرب أن تترك هذه النصوص الصريحة والدالة على ما كان عليه سلف هذه الأمة إلى مذهب المتأخرين على الرغم من تراجعهم إلى مذهب السلف، وعلى الرغم من اعترافهم بأن ما كانوا يدينون به في مسألة الصفات من صرف لها عن ظاهر معناها مما أعلنوا ندمهم عليه، وأنه من بدع المتكلمين الذين قال الحافظ الذهبي في حقهم: «فلو انتهى أصحابنا المتكلمون إلى مقالة أبي الحسن- يعني في إثبات الوجه واليدين واستوائه سبحانه على عرشه- ولزموها لأحسنوا، ولكنهم خاضوا كخوض حكماء الأوائل في الأشياء ومشوا خلف المنطق فلا قوة إلا بالله».

فاللهم أهدنا لما اختُلف فيه من الحق بإذنك واهدنا إلى صراطك المستقيم، اللهم آمين، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

---

(١) أي نصوص القرآن والسنة.

(٢) ونذكر منها على سبيل المثال: ما ذكره ابن القيم في اجتماع الجيوش وفي مختصر الصواعق المرسلة، وما ذكره الحافظ الذهبي في كتابه العلو الذي قام الألباني باختصاره، وما ذكره الشيخ حافظ حكمي في كتابه معارج القبول.

(٣) ينظر مختصر العلو للألباني (ص٢٦٠) وسير أعلام النبلاء (٢١٤/١٦).

(٤) والقول بحمل هذه الآية على قوله: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ أَن تَأْتِيَهُمُ الْمَلائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ﴾ [النحل:٣٣]، قول غير صحيح لاختلاف السياق في الآيتين.

(٥) ينظر مختصر العلو للشيخ الألباني (ص٢٨٠). (٦) مختصر العلو (ص٢٥٧). (٧) مختصر العلو (٢٦٣).

(٨) مختصر العلو (٢٦٤) بتصرف. (٩) المختصر (٢٦٩)، وينظر التمهيد (١٤٥/٧).

(١٠) المختصر (٢٧٠). (١١) المختصر (٢٧٢)، وينظر سير أعلام النبلاء (٢٨٤/١٨).

(١٢) المختصر (٢٨٠). (١٣) المختصر (٢٨٢). (١٤) المختصر (٢٨٦).

(١٥) المختصر (ص٢٣٢). (١٦) مختصر العلو (ص٢٤٣).

القول الصريح في حقيقة الضريح

حكم الدين في الأضرحة

إعداد / محمود المراكبي

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وعلى آله وصحبه وبعد:

إن من الوهم أن يظن أحد أن الإشراك بالله تعالى يختلف حاله وحكمه باختلاف الدين الذي يعتنقه المشرك، فملة الشرك واحدة، وتحذير القرآن والسنة واضح في النهي عن اتباع اليهود والنصارى، فمن اتبعهم راضيا باختياره، فقد لحقهم في العقاب يوم الحساب، وليس أوضح من تحذير النبي ﷺ الذي يقول فيه لأمته:

لا تقوم الساعة حتى تلحق قبائل من أمتي بالمشركين، وحتى يعبدوا الأوثان.

*وعنه ﷺ أنه قال: «لا تقوم الساعة حتى تأخذ أمتي بأخذ القرون قبلها، شبرا بشبر، وذراعا بذراع، فقيل: يا رسول الله، كفارس والروم؟ فقال: ومَن الناس إلا أولئك».

وعن رسول الله ﷺ أنه قال: «لا تقوم الساعة حتى تضطرب أليات نساء دوس على ذي الخلصة».

إن نبوءة النبي ﷺ تحقق كل يوم، فحين يحذرنا من القبور واتخاذها مساجد، نبني الأضرحة، وحين يحذرنا من رفع القبر، نقيم فوقه صندوقا عاليا، ونضع عليه عمامة كبيرة، وحين ينهانا عن تجصيصه وستره، نكسوه بالديباج، وحين ينهانا عن الكتابة فوقه، نكتب عليه بماء الذهب، وحين يحذرنا من إضاءة السرج، نضيء حوله ما ينير عمارة كاملة، ثم نقيم حوله سورا من الذهب والفضة الخالصة، وحين يأمرنا بألا نشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد، نشد الرحال إلى ألف مسجد في كل منها قبر، وحين ينهانا أن نتخذ قبره عيدا، نجعل لكل ولي مولدا.

مذهب الحنفية:

صرح علماء الحنفية بالنهي عما هو من وسائل الشرك، كتجصيص القبور والبناء عليها، وتعليتها، والكتابة عليها، واتخاذها مساجد، وإسراجها، واستقبالها للصلاة والدعاء، واتخاذها أعيادا، وشد الرحال إليها، وحكم اتخاذ القبور مساجد عندهم هو الكراهة التحريمية، وهو اختلاف شكلي فقط، فالكراهة عندهم يُقصد بها التحريم، يقول محمد تلميذ أبي حنيفة النعمان: "لا نرى أن يزداد على ما خرج من القبر، ونكره أن يُجصص، أو أن يُطين، أو يُجعل عنده مسجدًا".

مذهب المالكية:

فمذهبهم التحريم، يقول القرطبي رحمه الله: "قال علماؤنا: وهذا يحرم على المسلمين أن يتخذوا قبور الأنبياء والعلماء مساجد".

مذهب الشافعية:

ذهب الشافعية إلى أنه كبيرة؛ فقد قال الهيثمي: "الكبيرة الثالثة، والرابعة، والخامسة، والسادسة، والسابعة، والثامنة، والتاسعة، اتخاذ القبور مساجد، وإيقاد السرج عليها، واتخاذها أوثانًا، والطواف بها، واستلامها، والصلاة إليها".

وعقَّب على ذلك الألوسي البغدادي بقوله: "وهذا كلام يدل على فهم وفقه في الدين".

مذهب الحنابلة:

هو التحريم، نص على ذلك الإمام أحمد وغيره، يقول ابن القيم: "لا يجتمع في دين الإسلام مسجد وقبر، بل أيهما طرأ على الآخر مُنع منه، وعلى هذا فيهدم المسجد إذا بُني على قبر، كما ينبش الميت إذا دفن في المسجد، ويكون الحكم للمسجد لنهي رسول الله ﷺ عن ذلك، ولعنه من اتخذ القبر مسجدًا، أو أوقد عليه سراجًا. ويعلل ابن القيم هذه الأحكام بقوله: "إنَّ النبي ﷺ نَهَى عن بِنَاءِ المَسَاجِدِ على القُبُورِ، ولَعَنَ مَنْ فَعَلَ ذلك، ونَهَى عن تَجْصِيصِ القُبُورِ، وتَشْرِيفِهَا، واتِّخَاذِهَا مَسَاجِدَ، وعن الصَّلاةِ إلَيْهَا

وعِندَها، وعن إيقــــادِ المَصابِيح عَلَيْها، وأمَرَ بِتَسْوِيَتِها، ونَهَى عن اتِّخاذِها عيدًا، وعن شَدِّ الرِّحالِ إلَيْها، لِئَلا يَكُونَ ذلك ذَرِيعَةً إلَى اتِّخاذِها أوْثانًا والإشْراكِ بِها، وحَرَّمَ ذلك على مَن قَصَدَهُ، ومَن لَمْ يَقْصِدْهُ، بَلْ قَصَدَ خِلافَهُ سَدًّا لِلذَّرِيعَةِ"، فالكراهية مصدرها خوف فتنة تعظيم المخلوق، كما ذكر ذلك الشافعي، وغيره من سائر أئمة المسلمين، وقد نهى النبي ﷺ عن الصلاة عند طلوع الشمس، وعند غروبها؛ لأنه حينئذ يسجد لها الكفار، فنهى عن ذلك، لما فيه من المشابهة لهم، وإن لم يُقصد السجود إلا للواحد المعبود.

فكيف بالصلاة في المساجد التي على القبور؟! ومن هنا جاءت صلاة الجنازة بغير سجود سدا للذرائع حتى لا يعتقد أحد أننا نسجد لغير الله.

رأي ابن تيمية ومناظرته:

يقول ابن تيمية رحمه الله: "لما قَدِمت القاهرة اجتمع بي بعض فضلاء الرهبان، وناظرني في المسيح ودين النصارى، حتى بينت له فساد ذلك، وأجبته عما يدعيه من الحجة، وبلغني بعد ذلك أنه صنَّف كتابًا في الرد على المسلمين، وإبطال نبوة محمد ﷺ، وأحضره بعض المسلمين، وجعل يقرؤه عليَّ لأجيب عن حجج النصارى وأبين فسادها، وكان من أواخر ما خاطبت به النصراني، أن قلت له: أنتم مشركون، وبينت من شركهم ما هم عليه من العكوف على التماثيل والقبور وعبادتها، والاستغاثة بها، فقال لي: نحن ما نشرك بهم ونعبدهم، وإنما نتوسَّل بهم، كما يفعل المسلمون إذا جاءوا إلى قبر الرجل الصالح، فيتعلقون بالشباك الذي عليه، ونحو ذلك، فقلت له: وهذا أيضًا من الشرك، وليس هذا من دين المسلمين، وإن فَعَله الجهال فأقر أنه شرك، حتى أن قسيسًا كان حاضرًا في هذه المسألة، فلما قرأها قال: نعم، على هذا التقدير: نحن مشركون، وكان بعض النصارى يقول لبعض المسلمين: لنا سيد وسيدة، ولكم سيد وسيدة، لنا السيد المسيح والسيدة مريم، ولكم السيد الحسين والسيدة نفيسة".

إن بناء المساجد على المقابر ليس من دين الإسلام، بل هو منهي عنه بالنصوص الثابتة عن النبي ﷺ واتفاق أئمة الدين، بل لا يجوز اتخاذ القبور مساجد، سواء كان ذلك ببناء المسجد عليها، أو بقصد الصلاة عندها، بل أئمة الدين متفقون على النهي عن ذلك، وأنه ليس لأحد أن يقصد الصلاة عند قبر أحد، لا نبي ولا غير نبي، "وكل مَنْ قال: إنَّ قَصْد الصلاة عند قبر أحد -أو عند مسجد بُني على قبر، أو مشهد، أو غير ذلك- أمر مشروع، [بحيث يَسْتَحِب ذلك، ويكون عنده أفضل من الصلاة في المسجد الذي لا قبر فيه]، فقد خالف إجماع المسلمين، بل ليس لأحد أن يصلي في المساجد التي على القبور، ولو لم يقصد الصلاة عندها".

رأي الشيخ سيد سابق:

يقول الشيخ السيد سابق في فقه السنة بعد أن نقل رأي الإمام الشوكاني: "فيا علماء الدين، ويا ملوك المسلمين، أي رُزء للإسلام أشد من الكفر، وأي بلاء لهذا الدين أضر عليه من عبادة غير الله، وأي مصيبة يصاب بها المسلمون تعدل هذه المصيبة، وأي مُنْكَر يجب إنكاره، إن لم يكن إنكارا لهذا الشرك البين الجلي؟!

لقد أسمعت لو ناديت حيا
ولكن لا حياة لمن تنادي
ولو نارا نفخت بها أضاءت
ولكن أنت تنفخ في الرماد

وقد أفتى العلماء بهدم المساجد والقباب التي بنيت على المقابر، وقال ابن حجر في الزواجر: وتجب المبادرة لهدم المساجد والقباب التي على القبور، إذ هي أضر من مسجد الضرار؛ لأنها أسست على معصية رسول الله ﷺ لأنه نهى عن ذلك، وأمر بهدم القبور المشرفة، ويجب إزالة كل قنديل، أو سراج على قبر، ولا يصح وقفه ونذره"، ويستشهد الشيخ سيد سابق بفتوى علماء المسلمين في عهد الملك الظاهر حين عزم على هدم كل ما في القرافة من البناء، فاتفق علماء عصره على أنه يجب على ولي الأمر هدم ذلك كله، وهذه الفتوى يعرفها أهل العلم. انتهى كلام الشيخ سيد سابق.

وكما عُلِمَ أن هدم هذه القباب والمساجد المبنية على المقابر منوط بولاة الأمور، فلا يصح أن يتولى ذلك الأفراد، فيفعل كل فرد ما يريده مراعاة للمصالح ودرءًا للمفاسد وألا يوسد الأمر لغير أهله.

والحمد لله رب العالمين.

مشروع تيسير حفظ السنة

درر البحار من صحيح الأحاديث القصار

ألف حديث كل ثلاث سنوات

الحلقة السادسة عشرة

إعداد / علي حشيش

٤٥١ ـ «مَنْ تَرَدَّى مِنْ جَبَلٍ فَقَتَلَ نَفْسَهُ فَهُوَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ يَتَرَدَّى فِيها خَالِدًا مُخَلَّدًا فِيها أبدًا وَمَنْ تَحَسَّى سُمًّا فَقَتَلَ نَفْسَهُ فَسُمُّهُ فِي يَدِهِ يَتَحَسَّاهُ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدًا مُخَلَّدًا فِيهَا أَبَدًا وَمَنْ قَتَلَ نَفْسَهُ بِحَدِيدَةٍ فَحَدِيدَتُهُ فِي يَدِهِ يَجَأُ بِهَا فِي بَطْنِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدًا مُخَلَّدًا فِيهَا أَبَدًا».

[متفق عليه من حديث أبي هريرة]

٤٥٢ ـ عن ابن مسعود قَالَ: قَالَ رَجُلٌ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَنُؤَاخَذُ بِمَا عَمِلْنَا فِي الجَاهِلِيَّةِ؟ قَالَ: «مَنْ أَحْسَنَ فِي الإِسْلَامِ لَمْ يُؤَاخَذْ بِمَا عَمِلَ فِي الجَاهِلِيةِ، وَمَنْ أَسَاءَ فِي الإِسْلَامِ أُخِذَ بِالأَوَّلِ وَالآخِرِ».

[متفق عليه من حديث ابن مسعود]

٤٥٣ ـ «إِنَّ اللَّهَ تَجَاوَزَ عَنْ أُمَّتِي مَا حَدَّثَتْ بِهِ أَنْفُسَها مَا لَمْ تَعْمَلْ أَوْ تَتَكَلَّمْ».

[متفق عليه من حديث أبي هريرة]

٤٥٤ ـ «نَحْنُ أَحَقُّ بِالشَّكِّ مِنْ إِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ: رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى، قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَى وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي ـ وَيَرْحَمُ اللَّهُ لُوطًا لَقَدْ كَانَ يَأْوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ؛ وَلَوْ لَبِثْتُ فِي السِّجْنِ طُولَ مَا لَبِثَ يُوسُفُ لأَجَبْتُ الدَّاعِيَ».

[متفق عليه من حديث أبي هريرة]

٤٥٥ ـ عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ الشَّيْبَانِيِّ قَالَ سَأَلْتُ زِرَّ بْنَ حُبَيْشٍ عَنْ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى ـ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى ـ قَال حدَّثَنَا ابن مسعود: أَنَّهُ رَأَى جِبْرِيلَ لَهُ سِتُّمِائَةِ جَنَاحٍ».

[متفق عليه من حديث ابن مسعود]

٤٥٦ ـ «مَنْ تَوَضَّأَ فَلْيَسْتَنْثِرْ، وَمَنْ اسْتَجْمَرَ فَلْيُوتِرْ».

[متفق عليه من حديث أبي هريرة]

٤٥٧ ـ إِذَا أَتَيْتُمُ الغَائِطَ فَلَا تَسْتَقْبِلُوا القِبْلَةَ وَلَا تَسْتَدْبِرُوهَا ولكِنْ شَرِّقُوا أَوْ غَرِّبُوا».

[متفق عليه من حديث أبي أيوب الأنصاري]

٤٥٨ ـ «إِذَا شَرِبَ الكَلْبُ فِي إِنَاءِ أَحَدِكُمْ فَلْيَغْسِلْهُ سَبْعًا».

[متفق عليه من حديث أبي هريرة]

٤٥٩ ـ «كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُؤْتَى بِالصِّبْيَانِ فَيَدْعُو لَهُمْ فَأُتِيَ بِصَبِيٍّ فَبَالَ عَلَى ثَوْبِهِ، فَدَعَا بِمَاءٍ فَأَتْبَعَهُ إِيَّاهُ وَلَمْ يَغْسِلْهُ».

[متفق عليه من حديث عائشة]

٤٦٠ ـ عَنْ أُمِّ قَيْسٍ بِنْتِ مِحْصَنٍ. أَنَّهَا أَتَتْ بِابْنٍ لَهَا صَغِيرٍ لَمْ يَأْكُلِ الطَّعَامَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَأَجْلَسَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي حِجْرِهِ فَبَالَ عَلَى ثَوْبِهِ، فَدَعَا بِمَاءٍ فَنَضَحَهُ(١) وَلَمْ يَغْسِلْهُ».

[متفق عليه من حديث أم قيس]

٤٦١ ـ عن ابْنِ عُمَرَ: أَنَّ عُمَرَ بْنَ الخَطَّابِ سَأَلَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَيَرْقُدُ أَحَدُنَا وَهُوَ جُنُبٌ؟ قال: «نعم، إِذَا تَوَضَّأَ أَحَدُكُمْ فَلْيَرْقُدْ وَهُوَ جُنُبٌ».

[متفق عليه من حديث ابن عمر]

٤٦٢ ـ عَنْ مَيْمُونَةَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ أَكَلَ عِنْدَهَا كَتِفًا ثُمَّ صَلَّى وَلَمْ يَتَوَضَّأْ».

[متفق عليه من حديث ميمونة]

٤٦٣ ـ عن ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ شَرِبَ لَبَنًا فَمَضْمَضَ وَقَالَ: «إِنَّ لَهُ دَسَمًا(٢)». [متفق عليه من حديث ابن عباس]

٤٦٤ ـ كَانَ رُكُوعُ النَّبِيِّ ﷺ وَسُجُودُهُ، وَبَيْنَ السَّجْدَتَيْنِ، وإِذَا رَفَعَ رَأْسَهُ مِنَ الرُّكُوعِ، مَا خَلا القِيَامَ والقُعُودَ قَرِيبًا مِنَ السَّوَاءِ». [متفق عليه من حديث البراء]

٤٦٥ ـ كُنَّا نُصَلِّي خَلْفَ النَّبِيِّ ﷺ، فَإِذَا قَالَ: «سَمِعَ اللَّهُ لِمَنْ حَمِدَهُ» لَمْ يَحْنِ أَحَدٌ مِنَّا ظَهْرَهُ حَتَّى يَضَعَ النَّبِيُّ ﷺ جَبْهَتَهُ عَلَى الأَرْضِ. [متفق عليه من حديث البراء]

٤٦٦ ـ أُمِرَ النَّبِيُّ ﷺ أَنْ يَسْجُدَ عَلَى سَبْعَةِ أَعْضَاءٍ، وَلا يَكُفَّ(٣) شَعْرًا وَلا ثَوْبًا: الجَبْهَةِ، وَالْيَدَيْنِ والرُّكْبَتَيْنِ، والرِّجْلَيْنِ». [متفق عليه من حديث ......]

٤٦٧ ـ وبُعِثْتُ بِجَوَامِعِ الكَلِمِ، وَنُصِرْتُ بالرُّعْبِ، فَبَيْنَمَا أَنَا نَائِمٌ أُتِيتُ بِمَفَاتِيحِ خَزَائِنِ الأَرْضِ فَوُضِعَتْ فِي يَدِي» قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: وَقَدْ ذَهَبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَنْتُمْ تَنْتَثِلُونَهَا(٤)».

[متفق عليه من حديث ابي هريرة]

٤٦٨ ـ عَنِ البَرَاءِ قَالَ: صَلَّيْنَا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ نَحْوَ بَيْتِ المَقْدِسِ سِتَّةَ عَشَرَ أَوْ سَبْعَةَ عَشَرَ شَهْرًا ثُمَّ صُرِفُوا نَحْوَ القِبْلَةِ». [متفق عليه من حديث البراء]

٤٦٩ ـ «إِذَا وُضِعَ الْعَشَاءُ وَأُقِيمَتِ الصَّلاةُ فَابْدَءُوا بِالْعَشَاءِ». [متفق عليه من حديث انس]

٤٧٥ ـ «مَنْ أَكَلَ ثُومًا أَوْ بَصَلا فَلْيَعْتَزِلْنَا» أَوْ قَالَ «فَلْيَعْتَزِلْ مَسْجِدَنَا وَلْيَقْعُدْ فِي بَيْتِهِ».

[متفق عليه من حديث جابر]

٤٧١ ـ عَنِ ابْنِ عُمَرَ قال: رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ إِذَا أَعْجَلَهُ السَّيْرُ فِي السَّفَرِ يُؤَخِّرُ المَغْرِبَ حَتَّى يَجْمَعَ بَيْنَهُمَا وبَيْنَ الْعِشَاءِ». [متفق عليه من حديث ابن عمر]

٤٧٢ ـ «كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُصَلِّي مِنَ اللَّيْلِ ثَلاثَ عَشْرَةَ رَكْعَةً، مِنْهَا الوِتْرُ، وَرَكْعَتَا الفَجْرِ».

[متفق عليه من حديث عائشة]

٤٧٣ ـ عن سَهْلٍ قَالَ: «مَا كُنَّا نَقِيلُ وَلا نَتَغَدَّى إِلا بَعْدَ الجُمُعَةِ». [متفق عليه من حديث سهل]

٤٧٤ ـ عن جابِرٍ قال: دَخَلَ رَجُلٌ يَوْمَ الجُمُعَةِ والنَّبِيُّ ﷺ يَخْطُبُ فَقَالَ: «أَصَلَّيْتَ؟» قَالَ: لا، قال: «فَصَلِّ رَكْعَتَيْنِ». [متفق عليه من حديث جابر]

٤٧٥ ـ «إِذَا جَاءَ أَحَدُكُمْ وَالإِمَامُ يَخْطُبُ أَوْ قَدْ خَرَجَ فَلْيُصَلِّ رَكْعَتَيْنِ». [متفق عليه من حديث جابر]

٤٧٦ ـ كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَقْرَأُ فِي الجُمُعَةِ، فِي صَلاةِ الفَجْرِ، الم تَنْزِيلُ، السَّجْدَةُ، وَهَلْ أَتَى عَلَى الإِنْسَانِ». [متفق عليه من حديث ابي هريرة]

٤٧٧ ـ عَنْ عائِشَةَ قَالَتْ: خَيَّرَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَاخْتَرْنَا اللَّهَ وَرَسُولَه، فَلَمْ يَعُدَّ(٥) ذلِكَ عَلَيْنَا(٦) شَيْئًا». [متفق عليه من حديث عائشة]

٤٧٨ ـ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قال: سَقَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ مِنْ زَمْزَمَ فَشَرِبَ وَهُوَ قَائِمٌ».

[متفق عليه من حديث ابن عباس]

٤٧٩ ـ عَنْ أَنَسٍ أَنَّهُ مَرَّ عَلَى صِبْيَانٍ، فسَلَّمَ عَلَيْهِمْ وَقَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَفْعَلُهُ». [متفق عليه من حديث انس]

٤٨٠ ـ عَنْ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ أَنَّهُ قَالَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ: عَلِّمْنِي دُعَاءً أَدْعُو بِهِ فِي صَلاتِي. قَالَ: «قُلْ اللَّهُمَّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي ظُلْمًا كَثِيرًا، وَلا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلا أَنْتَ، فَاغْفِرْ لِي مَغْفِرَةً مِنْ عِنْدِكَ، وارْحَمْنِي إِنَّكَ أَنْتَ الغَفُورُ الرَّحِيمُ». [متفق عليه من حديث ابي بكر]

---

(١) نضحه: أي رشه بماء. (٢) الدَسَم: ما يظهر على اللبن من الدهن.
(٣) ولا يكف: أي لا يضم ولا يجمع شعرا لرأسه ولا ثوبا لبدنه عند الركوع والسجود.
(٤) تنتثلونها: أي تخرجونها.
(٥) فلم يَعُدَّ ذلك: أي التخيير. (٦) علينا شيئا: من الطلاق.

كلمات للدعاة في الدعوة إلى الله

الحمد لله الذي فقَّه من أراد به خيرًا في الدين، ورفع منازل العلماء فوق العالمين، والصلاة والسلام على المبعوث هدًى للعالمين وقدوة للعاملين وإمامًا للمتقين، وبعد:

فلقد بعث الله نبيه ومصطفاه ﷺ بالهدى ودين الحق ليخرج الناس من الظلمات إلى النور، وأمره ربه بتبليغ رسالته والدعوة إلى دينه، فقال له: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾ [المائدة: ٦٧]، وكما أمر الرسول ﷺ بتبليغ الرسالة أمر أتباعه بأن ينشروا الرسالة التي نزلت من عند الله، وأن يدعوا الناس إلى الحق الذي شرفوا به، كما قال تعالى: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٤].



قال القاسمي رحمه الله: «وفي الآية دليل على وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ووجوبه ثابت بالكتاب والسنة، وهو من أعظم واجبات الشريعة المطهرة وأصل عظيم من أصولها، وركن مشيد من أركانها، وبه يكمل نظامها ويرتفع سنامها»[1].

وقد فهم الصحابة- رضوان الله عليهم- والسلف الصالح هذه المهمة العظيمة، فقاموا بأداء واجب الدعوة إلى الله وإبلاغ الرسالة المحمدية إلى الأفراد والجماعات والأمم والشعوب، وإن الدعوة الإسلامية بحاجة ضرورية إلى رجال أكْفَاء فقهوا التوحيد والسنة ليقدموا الإسلام- وهو الدين الحق- الذي بعث به النبي ﷺ إلى العالم أجمع كما جاء من عند الله، عقيدة وشريعة، علم وعمل وتربية على منهاج النبوة، ويدفعوا عنه كيد الكافرين، وافتراء المكذبين المضللين، أصحاب الدعوات الباطلة، والاتجاهات المنحرفة، والأفكار الدخيلة، والخرافات والبدع، ولهذا يجب على الدعاة إلى الله أن يعدوا أنفسهم إعدادًا جيدًا قبل الدخول في ميدان الدعوة إلى الله التي هي مهمة الأنبياء والمرسلين، وأن يكونوا أصدق الناس قيلاً وأشرفهم طريقًا، لأن الدعوة إلى الله ليس فيها جانب غامض أو غرض مستور، ومساهمة مني في الدعوة إلى إعداد جيل متميز من الدعاة إلى الله، يحمل الحق والخير والنور إلى العالم أجمع أقدم لإخواني هذه الكلمات، وأدعوهم إلى التحلي بهذه الخلال والصفات وهي كما يلي:

١- الدعوة إلى الله على بصيرة وحجة وبرهان: قال تعالى موجهًا الخطاب أولاً للنبي ﷺ: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [يوسف: ١٠٨].

يقرر ربنا في هذه الآية أن دعوة النبي ﷺ هي إلى سبيل الله وطريقه، وهي دعوة إلى الإيمان والتوحيد، ومعرفة الله بصفات كماله ونعوت جلاله، وتتسم هذه الدعوة بقيامها على الحق الواضح المنزل من عند الله، ولذلك قال: ﴿عَلَى بَصِيرَةٍ﴾ أي حجة واضحة غير عمياء، وكذلك من اتبعه وآمن به يدعو إلى الله أيضًا على بصيرة وهداية، لا عن هوًى وضلال، ثم نزه نبينا ﷺ ربه عن الشرك والند والصاحبة والولد فقال: «وسبحان الله وما أنا من

المشركين»، وقد نقل القاسمي رحمه الله بعض التنبيهات حول هذه الآية جاء فيها: «دل قوله تعالى ﴿ عَلَى بَصِيرَةٍ ﴾ على مزية هذا الدين الحنيف، ونهجه الذي انفرد به، وهو أنه لم يطلب التسليم به لمجرد حكايته، ولكنه ادعى وبرهن، وحكى مذاهب المخالفين، وكرَّ عليها بالحجة، وخاطب العقل واستنهض الفكر، وكل من ذكر الحجة وأجاب عن الشبهة، فقد دعا بمقدار وسعه إلى الله، وهذا يدل على أن الدعاء إلى الله تعالى إنما يحسن ويجوز مع هذا الشرط، وهو أن يكون على بصيرة مما يقول، وعلى هدى ويقين، فإن لم يكن كذلك فهو محض الغرور». انتهى[٢].

وقد بينت هذه الآية أن الدعوة المستقيمة هي إلى الله وحده دون سواه، وعليه فلا ترفع راية غير راية الكتاب والسنة، لاشتمالهما على الدين الحق الذي جاء من عند الله سبحانه، والداعي إلى غير ذلك داع إلى نفسه، لا إلى ربه، ويستفاد من ذلك ترك الدعوات التي تقوم على غير الحق والهدى، لأنها دعوة إلى ضلالة، وإلى هوى النفس وحظوظها، والبصيرة الواردة في الآية تشمل العلم بالشرع والعلم بالسبيل الموصل إلى المقصود، وهو الحكمة، فيكون بصيرًا بحكم الشرع، وبصيرًا بحال المدعو، وبصيرًا بالطريقة الموصلة لتحقيق الدعوة، لأن الجاهل لا يصلح للدعوة، وليس محمودًا، وليست طريقته طريقة الرسول ﷺ لأن الجاهل يفسد أكثر مما يصلح[٣].

٢- **الصدق:** إن الداعي إلى الله عز وجل يجب أن يكون صادقًا مع ربه، صادقًا مع نفسه، صادقًا مع الناس الذين يدعوهم، وكما هو معلوم فإن الناس لا يلتفتون إلى الأخبار الكاذبة أو الملفقة، وعلى الداعية أن ينزه نفسه عن ذلك- إن كان حقًا يريد حمل رسالة الإسلام والدعوة إليها.

إن الخطبة البليغة، والمحاضرة المنمقة، والكلام البديع، والرسالة الجميلة الرائعة إن لم تكن صادقة وصاحبها كذلك لن تترك أثرًا في السامعين أو القائمين، ولقد دعا الله سبحانه وتعالى المؤمنين إلى الصدق وحث عليه، فقال سبحانه: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴾ [التوبة: ١١٩]، وقال تعالى: ﴿ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً ﴾ [الأحزاب: ٢٣].

والصدق في القول والعمل طريق قوي للدخول إلى قلوب المدعوين، وسبب كبير في إقبال الناس إلى الداعي والاستماع إليه والأخذ عنه، ولقد استفاد النبي ﷺ من شهرته بين المشركين بالصادق الأمين من إلزام قريش بقبول دعوته والتصديق برسالته، فعن ابن عباس- رضي الله عنهما- قال: «لما نزلت: ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ ﴾ صعد النبي ﷺ على الصفا فجعل ينادي: يا بني فهر، يا بني عدي- لبطون قريش- حتى اجتمعوا، فجعل الرجل إذا لم يستطع أن يخرج أرسل رسولاً لينظر ما هو، فجاء أبو لهب وقريش، فقال ﷺ: أرأيتكم لو أخبرتكم أن خيلاً بالوادي تريد أن تغير عليكم أكنتم مُصدقي؟ قالوا: نعم، ما جربنا عليك إلا صدقًا، قال: فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد، فقال أبو لهب: تبًا لك سائر اليوم، ألهذا جمعتنا؟ فنزلت: ﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ (١) مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ ﴾[٤]، ولهذا وجب على الناس جميعًا، والدعاة بوجه أخص أن يكونوا صادقين مع الله عز وجل، فلا تغرهم الأماني، ولا الكلمات المعسولة، ولا البريق الزائف، بل يجب عليهم أن يكون لهم خط سليم صحيح صادق، ومنهج مستقيم واضح تطابق فيه أفعالهم ما انطوت عليه قلوبهم.

٣- **الإخلاص في القول والعمل:** الإخلاص روح الدين ولب العبادة، ولابد منه للداعية، إن أي عمل دنيوي يقوم به الإنسان لابد من توفر شرط الإخلاص لنجاحه، فما بالك إذا كان العمل لله، لا شك أنه يكون فريضة آكد وعقدة أوثق وألزم، ولا يرفع عمل عند الله ويقبل ما لم تصحبه نية صالحة، وإرادة وجه الله والدار الآخرة، وقد أمر الله بإخلاص الدين له وحده في أكثر من آية في كتابه فقال سبحانه: ﴿ إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ الدِّينَ (٢) أَلاَ لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ ﴾ [الزمر: ٢، ٣]، وقال عز وجل: ﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ ﴾ [البينة].

وقد أمر الله نبيه ﷺ في كتابه أن تكون

حياته كلها لله، وأن يتجرد التجرد الكامل لربه ومولاه، فقال: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٦٢) لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الأنعام: ١٦٢].

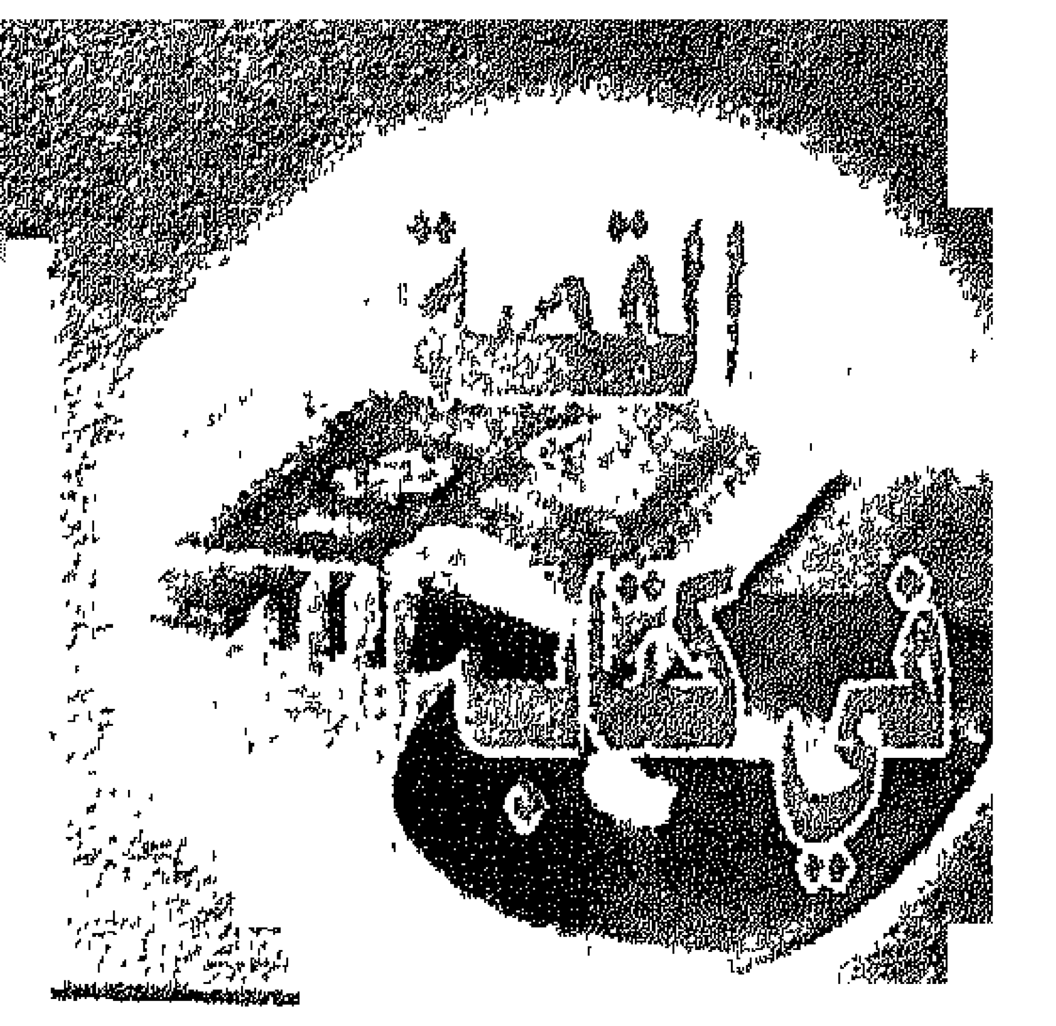
يقول ابن كثير رحمه الله في تفسيره لهذه الآية: «يأمره الله تعالى أن يخبر المشركين الذين يعبدون غير الله ويذبحون لغير اسمه، أنه مخالف لهم في ذلك، فإن صلاته لله ونسكه على اسمه وحده لا شريك له، فإن المشركين كانوا يعبدون الأصنام ويذبحون لها، فأمره تعالى بمخالفتهم والانحراف عما هم فيه، والإقبال بالقصد والنية والعزم على الإخلاص لله تعالى»[٥].

ويوجه الشيخ محمد رشيد رضا- رحمه الله- بعض التوجيهات التربوية اللطيفة التي تفهم من هذه الآية فيقول: «فتذكر أيها المؤمن أن الذي يوطن نفسه على أن تكون حياته لله ومماته لله يتحرى الخير والصلاح والإصلاح في كل عمل من أعماله ويطلب الكمال في ذلك لنفسه؛ ليكون قدوة في الحق والخير في الدنيا، وأهلاً لرضوان ربه الاكبر في الآخرة، ثم يتحرى أن يموت ميتة مرضية لله تعالى، فلا يحرص على الحياة لذاتها »[٦]، ولأهمية الإخلاص في الدين والدعوة والعبادة، جعل النبي ﷺ يسير الرياء شركا، فضلاً عن الرياء الكامل، وخاف على أمته منه، كما جاء عن محمود بن لبيد رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر، قالوا: وما الشرك الأصغر يا رسول الله؟ قال: الرياء، يقول الله عز وجل لهم يوم القيامة إذا جزى الناس بأعمالهم: اذهبوا إلى الذين كنتم تراؤن في الدنيا فانظروا هل تجدون عندهم جزاءً»[٧]، ولهذا كان ضعف الإخلاص يعود إلى قلة المعرفة بالله، أو إلى سوء الظن به، وكلاهما مرض وداء يجب أن يتخلص منه الدعاة، وعليهم أن ينقبوا في خبايا أنفسهم فلا يجعلوا للهوى إليها سبيلاً، وليجعلوا علائقهم بالناس قائمة على الحب في الله والبغض في الله، فلا يؤثروا شاردًا لقربه، ولا يقصوا صالحًا لوحشة منه وضيق به، فالتجرد التجرد في الدعوة إلى الله يا حماة العقيدة والسنة، ودعاة الحق والشريعة.

إن العمل الخالص الطيب- ولا يقبل الله إلا طيبًا- هو الذي يقوم به صاحبه بدافع اليقين المحض وابتغاء وجه الله ورضاه، دون طمع في مغنم، أو حرص على وظيفة ومهنة، ولعل نظرة واحدة في الحديث التالي تلفت وتوقظ إلى ضرورة إخلاص العمل لله، والسعي لنيل عفوه ورضاه، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن أول الناس يقضى يوم القيامة عليه، رجل استُشهد فأُتي به فعرَّفه نعمه فعرفها. قال: فما عملت فيها؟ قال: قاتلت فيك حتى استشهدت. قال: كذبت، ولكنك قاتلت لأن يقال جريء، فقد قيل، ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار، ورجل تعلّم العلم وعلّمه وقرأ القرآن، فأتي به فعرفه نعمه فعرفها، قال: فما عملت فيها؟ قال: تعلمتُ العلم وعلمته، وقرأت فيك القرآن. قال: كذبت، ولكنك تعلمت العلم ليقال عالم، وقرأت القرآن ليقال قارئ، فقد قيل، ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار، ورجل وسَّع الله عليه وأعطاه من أصناف المال كله، فأتي به فعرَّفه نعمه فعرفها، قال: فما عملت فيها؟ قال: ما تركت من سبيل تحب أن ينفق فيها إلا أنفقتُ فيها لك، قال: كذبت، ولكنك فعلت ليقال هو جواد، فقد قيل، ثم أمر به فسحب على وجهه، ثم ألقي في النار»[٨]، نسأل الله الإخلاص في القول والعمل، والله الهادي إلى سواء السبيل، وللحديث صلة إن شاء الله.

---

(١) محاسن التأويل للقاسمي (ج٤/٩٢١).
(٢) المرجع السابق (جـ٩/٣٦١١).
(٣) القول المفيد في كتاب التوحيد للشيخ محمد بن عثيمين (جـ١/١٣٠).
(٤) رواه البخاري في صحيحه كتاب التفسير (تفسير سورة الشعراء) جـ٨ ص٥٠١، وهذا لفظه، ورواه مسلم في صحيحه كتاب الإيمان باب (٨٩ جـ١/١٩٤).
(٥) تفسير ابن كثير (جـ٢/٣٣٧).
(٦) تفسير المنار (جـ٨/٢٤٤).
(٧) أخرجه أحمد في مسنده (جـ٥/٤٢٨) وغيره.
(٨) صحيح مسلم كتاب الإمارة باب (٤٣) جـ٣/١٥١٣، ١٥١٤ .



قصة سليمان عليه السلام ٢

الحمد لله مالك الملك مدبر الأمر يرفع ويخفض ويعطي ويمنع يعز من يشاء ويذل من يشاء بيده الخير وهو على كل شيء قدير، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله البشير النذير. أما بعد:

فحديثنا اليوم عن مُلك سليمان عليه السلام وعن مملكته، والحديث عن مملكة سليمان حديث ذو شجون، فهو حديث عن مُلك عريض ومملكة متفردة ومَلِكٌ نبي اجتمع له سلطان الدنيا والدين، واتسع ملكه في الدنيا بما لم يتسع لأحدٍ من بعده نبي كان أو ولي، وسعيد أو شقي.

كانت مملكة سليمان تسع الأرض كلها، وعاصمتها القدس، فالقدس في عهد سليمان عليه السلام كان حضارة الدنيا، ومركز إشعاعها وقيادتها.

وكل ملك في الدنيا له جنود ووزراء وحاشية، ومراكب، ومساكن، وزوجات.

كان لسليمان عليه السلام من ذلك أوفر الحظ وأعلاه.

قال تعالى: ﴿وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾ [النمل:١٧].

كل ملك من ملوك الدنيا جنوده من الإنس، أما سليمان فجنوده من الإنس والجن والطير، وكل ملك من ملوك الدنيا له مراكب تحمله أينما أراد من دواب وسيارات وطائرات، أما سليمان عليه السلام فكانت الريح مسخَّرة له بأمر الله تحمله حيث شاء وكيف شاء، تقطع في ساعات ما تقطعه الريح المعهودة في شهر، ولا تحتاج إلى صيانة أو وقود أو طعام، قال تعالى: ﴿فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ﴾ [ص: ٣٦]، وقال تعالى: ﴿وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ﴾ [الصافات: ١٢]، فانظر كيف جعل الله سبحانه الريح منقادة مذلَّلة لسليمان تحمله هيِّنةً لَيِّنة لا تعصف رغم سرعتها وقوتها وخفتها، فانظر إلى آثار صنع المليك كيف يجعل في الشيء الواحد الهلاك والرحمة كيف يشاء، فهذه الريح التي جعلها صرصرًا على عاد، وعلى غيرهم من ظلمة العباد هي التي جعلها رخاء تحمل سليمان حيث أصاب (أي حيث أراد).

والريح هي التي تحمل القطر فينشره الله على من يشاء ويصرفه عمن يشاء: ﴿وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُ وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ﴾ [الشورى: ٢٨]، وتحمل الناس اليوم في البحر والجو والبر أو يهلك بها من يشاء فهو على ما يشاء قدير.

وقد بلغت مملكة سليمان مبلغًا عظيمًا من التقدم المادي، فقد هيأ الله مادة الصناعة، وسخَّر له الصنَّاع المهرة من الشياطين: ﴿وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ وَمِنَ الْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ (١٢) يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِن مَّحَارِيبَ وَتَمَاثِيلَ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَاتٍ﴾ [سبأ:١٢]، وقال تعالى: ﴿وَالشَّيَاطِينَ كُلَّ بَنَّاءٍ وَغَوَّاصٍ﴾ [ص: ٣٧]، أي وسخَّر له من الشياطين كل (بناء) يقوم بأعمال البناء في البرّ، و(غواص) يغوص في البحر يستخرج

«مملكة سليمان»

إعداد
عبد الرزاق السيد عيد

كنوزه وأسراره، فهل أتيح لملك من ملوك الأرض ما أتيح لسليمان من تسخير الجن والشياطين، والمردة منهم بهذه الصورة؟ حتى صنعوا له ما يشاء من قصور فخمة وقدور ضخمة وتماثيل حسنة- وكان ذلك مباحًا في شريعتهم- لكنَّه محرَّم في شريعة نبينا محمد عليه الصلاة والسلام.

وخلاصة القول: فقد بلغت مملكة سليمان من القوة المادية مبلغًا عظيمًا، وسيظهر ذلك بوضوح عندما نتعرض لتفاصيل أكثر، لكن حسبنا اليوم تعلم النظرة الشاملة الكاشفة على مملكة سليمان، ولم تبلغ مملكة سليمان شأنًا عظيمًا في التقدم العمراني والحضاري وحسب، بل بلغت الشأن ذاته في الإيمان والإسلام، بل أعظم وذلك بعظمة الإسلام والإيمان، ويتضح ذلك جليًا من تلك المقارنة التي عقدها سليمان عليه السلام حين مكَّنه الله من إحضار عرش ملكة سبأ أمامه في أقل من طرفة عين، وظهر الفرق الواضح في القوة المادية جليًا بين مملكته ومملكة سبأ عندما قال سليمان عليه السلام: ﴿وَأُوتِينَا الْعِلْمَ مِن قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ﴾ [النمل: ٤٢]، فالتميُّز الحقيقي الذي يستحق الفخر والشكر هو في الهداية الحق والاستسلام لله رب العالمين، وهذا هو فارق التميز بين مُلْك سليمان ودولة سليمان وبين الملك المادي الدنيوي، فكثير من الممالك قديمًا وحديثًا أقامت ملكها على البغي بغير الحق والعلو في الأرض والفساد، لكن سليمان نعم العبد ونعم الملك فقد عرف ربَّه وشكر نعمته فسخَّرها في طاعة الله وفعل الخيرات وترك المنكرات والدعوة إلى توحيد الله سبحانه والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والعدل والإحسان، وسيظهر لنا ذلك بشيء من التفصيل عندما نتجول في أنحاء مملكة سليمان ونحضر بعض المجالس، ونشاهد بعض المواقف التي عرضها القرآن الكريم بغرض العبرة والاعتبار، وسنعرض لذلك بحول الله وقوته كما يلي:

أولاً: موقف سليمان والنملة:

لقد سمَّى الله سورةً- كاملة- في القرآن باسم سورة: «النمل» إشارة إلى الموقف العظيم من هذه النملة مع سليمان وجنوده وبيانًا لأهمية ذلك الموقف وما فيه من العبرة، قال تعالى: ﴿وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ (١٧) حَتَّى إِذَا أَتَوْا عَلَى وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لاَ يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لاَ يَشْعُرُونَ (١٨) فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ﴾ [النمل: ١٧- ١٩].

ما أعجب أمر هذه النملة، وما أبلغ أسلوبها، ففي كلمات معدودة أمرت وحذرت واعتذرت عن سليمان وجنوده، وما أشد شعورها بالمسئولية تجاه بني قومها، فإنه كان بإمكانها أن تنجو بنفسها وتدع بني جنسها وشأنهم، ولكنها لم تفعل، بل بادرت بتحذير قومها حرصًا على مجتمعها، أما سليمان عليه السلام فقد قال قولة العبد الصالح الشاكر لنعمة ربه، فاعترف بالفضل لله الذي أعلمه لغة هذه النملة، فأعجب بما قالت، ثم لجأ إلى الله اعترافًا بفضله ورجاءً أن يلهمه شكر نعمته التي أنعم بها عليه، وعلى والديه من قبل، ثم سأل ربه أن يوفقه للعمل الصالح الذي يرضيه ويجعله أهلاً لرحمته، هذا هو الملك الشاكر المتواضع لربه سبحانه الذي عرف نعمته واستخدمها في طاعته والدعوة إلى توحيده سبحانه وتعالى، وسنواصل حديثنا بعون الله عن الملك الشاكر وجنوده المطيعين الداعين لله رب العالمين من أصغرهم إلى أكبرهم.

فإلى لقاء آخر إن شاء الله تعالى.

حديث عن المصطفى المختار

منبر الحرمين

أيها المؤمنون، لسنا في نجوى عن القول: إنّ أمّتنا الإسلاميّة العتيدة إنما شدّت ركابها شطرَ المجد والعلياء وتسنّمت قِمَم السؤدَدِ والإباء وساقت الإنسانيّةَ إلى مرابع الحضارة والمدنيّة والهناء وأفياءِ الأمن والرّخاء والعدل والإخاء ساعة استعصَمَت بالوحيَين الشريفَين، واستمسكت بالهديَين النيِّرين، وكانت مِلءَ سمعها وبصرها، ومُفعَم روحِها ومُستَولَى مشاعرها، سنّةُ نبيّها الغرّاء وسيرتُه وشمائلِه الفيحاء.

بعض شمائل المصطفى

خُلُقٌ كما خطَرَ النّسيم فهزّ أعطافَ النبات
وشمائلٌ علويّةٌ أصفى من الماء الفرات

ويومَ أن شطَّ بها المزار عن ذلك الهدي المتلألئ المدرار فاءت الأمّةُ إلى يَبابِ التبعيّة والذيليّة والوهَن، وصارت والتنافُرَ والتناثرَ في قَرَن، والْتأمَتْ مع الأسَى المِمضّ أمّةُ الاقتداء والوحي والاقتفاء على دعاوَى منَ الحبّ مُسطَّحةٍ زَيفاء، تكاد عند المحاققة لا تبارح الألسنة والشّفاه، وذلك من مكامن دائها العُياء، فَداءُ الأمّة فيها، ولو أنها اعتَصَمَت بالكتاب والسنّة ما استفحَل داؤها ولتحقّق دواؤها.

إخوةَ الإيمان، ولئن ازدانَت الغبراء فبُدِّلت وضّاءةً خضراء منذ ما يربُو على أربعةَ عشر قرنًا من الزّمان ببعثة سيِّد الأنبياء وعطّرت سيرته المونِقة الأقطارَ والأرجاء.

فالكَونُ أشرقَ والفضاءُ تعطّرًا
والأفُق ظلّله السرور فهل ترى

بما تضمَّنته من حقائق المهابةِ والجمال والخشية والجلال ومسدَّدِ الحكمةِ في الأقوال والفِعال، فإنّ تلكم السيرةَ المشرقة الجبين المتلألِئة المُحَيّا لا تزال تُهيب بوُرّادها مناشِدةً: إليّ إليّ، وحيَّهَلاً عليّ عليّ، نهلاً وفهمًا، واقتباسًا وريًّا.

معاشر المحبين، إنّ الحديثَ عن الحبيب المصطفى والرسول المجتبى والخاتم المقتَفى صلواتُ الله عليه وآلِه وسلّم لهو حديثٌ عَذبُ المذاق، مُجرٍ لدموع المآق، بَلسَم لجفوة القلوب ولقسوتها تِريَاق، كيف لا وهو رسول الملِك العلام وحامِل ألوية العدلِ والسّلام ومُخرج البشريّة بإذن ربِّها من دياجير الانحطاطِ والوثنية والظلام ووِهاد الأرجاس والآثام إلى أنوار التوحيدِ والإيمان والوئام؟! صلوات الله وسلامه عليه ما ذرّ شارق، وحنّ إلى إلفِه المفارق، نبيُّ المعجزات، وآخذُنا عن النار بالحُجُزات، أمَنّ النّاس على كلّ مسلم ومسلمة، وأحقُّهم نَقلاً وعقلاً بالمحبّة الوارِقة والطاعة الصادقة، صاحِبُ المقام المحمود واللّواء المعقود والحَوض المورود.

تجود بالدّمع عيني حين أذكرُه
أمّا الفؤاد فلِلحوض العظيم ظَمِي

لا يتمّ دينُ المرءِ إلاّ بإجلاله والانقيادِ له وحبّه، ومن صغّر خدّه هدم دينَه واتُّهِم في لُبِّه، يقول عليه الصلاة والسلام فيما أخرجه الشيخان: «لا يؤمن أحدكم حتى أكونَ أحبَّ إليه من نفسه وولده ووالدِه والناس أجمعين»(١).

تِلكم هي المحبّةُ الصادقة التي أفضَت إلى أصلِ الطّاعة والتسليم الذي دلّ عليه قول الحقّ تبارك وتعالى: ﴿ فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَ يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ [النساء:٦٥] أحبّه مولاه واجتباه، وميَّزه على سائر الخليقة واصطفاه.

فكم حَبَاه ربُّه وفضّله وخصّه سبحانه وخوّله
أبى الله إلاّ رَفعَه وعُلُوَّه
وليس لما يُعليه ذو العرش واضعُ

بأبي هو وأمي عليه الصلاة والسلام. أظهرُ الخليقة بشرًا وأُنسًا، وأطيبُهم نَفَسًا ونفْسًا، وأجملُهم وصفًا، وأظهرهم لُطفًا، لا يطوي عَن بَشَرٍ بِشْرَهُ، وحاشاه أن يشافِهَ أحدًا بما يكره، والبِشْرُ عُنوان البشير، صلّى الله عليه ما همَى رُكام وما هَتَن غَمام، كان ذا رأفةٍ عامّة وشفَقَة سابغة تامّة، أجملُ الناس ودًّا، وأحسنُهم وفاءً وعهدًا، تواضَعَ للناس وهمُ الأتباع، وخفض جناحه لهم وهو المتبوع المطاع، كان شديدَ الخوف والعبادة، وافرَ الطاعة والقنوت والإفادة، له شجاعةٌ ونجدة وبسالة في الحقّ وشِدّة، يبذُل الرّغائب، ويعين على الصروفِ والنوائب، ما سئِل عن شيء فقال: لا، وما

لفضيلة الشيخ

عبد الرحمن السديس

إمام المسجد الحرام

أشاحَ عن مُعتَفٍ ولا قَلَى. فيا للهِ، هل في طوقِ الأبناء من غطارفة البيان أن يتفردوا بوصفِ نبيٍّ نُزِّه عن المثالب والنقائص وكُرِّم ببديع الشمائل والخصائص؟! كلا لعَمرو الحقِّ كلاّ.

ملكت سجاياه القلوب محبة
إنّ الرسول إلى القلوب حبيبُ

نبيٌّ تقيّ، ورسول نقيٌّ، زكّى الباري لسانه فقال: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى﴾ [النجم:٣]، وزكّى بصره فقال: ﴿مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى﴾ [النجم:١٧]، وزكّى صدره فقال: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾ [الشرح:١]، ﴿وزكّى فؤادَه فقال: مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى﴾ [النجم:١١]، وزكّى جليسَه فقال: ﴿عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى﴾ [النجم:٥]، وزكّاه كلَّه فجاءت الشهادة الكبرى التي شرُف بها الوجود وانزوَت لها كلُّ الحدود، إذ يقول البَرّ الودود: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم:٤].

خُلُق عظيمٌ اشتُقّ من عظمة هذه الرسالةِ العالمية الإنسانية، خُلُق لا يؤوده بلاغ الرحمة والعدل والفضيلة والقوّة والعزة والرفق والحكمة، وشعار المحبّ دائمًا يعلو:

خيالُك في ذهني وذكراك في فمي
ومثواك في قلبي فأين تغيبُ؟!

إخوةَ الإيمان، ولسيرةِ النبيِّ المختار هديرُها ورواؤها في سُويداءِ النفوس التي أحبَّته وأجلّته والأفئدةِ المولّهَة العميدةِ بخصالِه، وإبلالاً لذلك الصَّيهَج من الحبِّ الطهور نُزجي للعالَم ومضاتٍ ولُمعًا من سيرتِه المُنشّرَة بالرحمة والحنان، وهيهات أن يبلُغَ المرامَ بنان.

مشاهد من السيرة العطرة

فيومَ أن اشتدَّ أذى قومِه له، فانطلقَ وهو مهمومٌ على وجهه عليه الصلاة والسلام، فلم يستفِق إلاّ وهو بقرنِ الثعالب، فناداه ملك الجبال وقال: يا محمّد، إن شئتَ أن أطبقَ عليهم الأخشبين، فقال وهو الرؤوف الرحيم: «بل أرجو أن يخرجَ الله من أصلابهم من يعبدُه وحدَه لا يشرك به شيئًا» [أخرجه الشيخان](٢).

فسبحان الله عبادَ الله، انظروا كيفَ قابلوه بالتَّهَجّم والنكران، فنحلَهم العفوَ والغفران، وصدق الله: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء:١٠٧]، وقال عليه الصلاة والسلام: «إنّما أنا رحمةٌ مهداة» خرّجه البخاري(٣).

هو رحمةٌ للناس مهداة فيا
وَيلَ المعانِدِ إنّه لا يُرحَم

قوم تنكبوا طريقه ﷺ

وصرخةُ مَفؤودٍ متوجِّع ولَوعةُ مصدورٍ متفجِّع ممّن يقتِّلون الأنفس المعصومةَ البريئة، لا يَتلذّذون إلا بإراقةِ الدماء وتناثُر الأشلاء، في جهالاتٍ تتلوها حماقاتٌ، فيا لها من قِحَة جريئة وقلوب قاسية قبيحة، معاذَ الله ثم معاذَ الله أن يكونَ الفساد والدمار والإرهابُ والبوار من هدي النبوّة وشمائلها في وردٍ أو صدر.

وفي فتح مكّة حينَ اشتدَّ الفزعُ الهالع بمشركي قريش وظنّوا كلَّ الظنّ أنّ شأفتَهم مستأصلة وقف منهم الرسولُ الشاكر الرحيم المانّ الحليم وقال: «ما تظنّون أنّي فاعل بكم؟» قالوا: خيرًا؛ أخٌ كريم وابن أخ كريم، قال: «اللّهمّ اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون، اذهبوا فأنتم الطلقاء»(٤).

الله أكبر، يا له من نبيٍّ ما أعظمَه، ومِن رسولٍ ما أكرمه.

له الصلاةُ والسلام نترى ما سَرى
برقٌ على طيبةٍ أو أمّ القرى

إنّه المثل الأعلى للإنسانيّة؛ انتصَر فرحِم وعفا، وقدَر فصفَح وما جفا.

مَعالٍ جازت الجَوزا جوازا
وحُسْنٌ قد حوَى الحُسنى وجازا

وغيرُ خافٍ ـ يا أولي الألباب ـ ممّا يسهِّدكم تفصيلُه ويؤلمكم قليله ما مُني به بعضُ الغُلاَة حينَ استبدَّ العتاة، فأهدَروا إنسانيّةَ الإنسان، وحطَّموا في صلَفٍ وعنجهيّة كلَّ المواثيق والحقوق، فأينَ الحَضيض من السِّماك الأعزل؟! وشتّان شتّان بين الاهتداء المنير والادِّعاء المبير.

ونظيرُ ذلك مما ينتظِم في أسلاك الصّفح والنّبل والشهامة من نبيِّ الرحمة والكرامة ما كان منه إزاءَ ثمامَة وهِندٍ والثلاثة، ويكفي من القلادةِ ما أحاط بالعنق.

وصفوةُ القول: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ [الأحزاب:٢١]، أسوةٌ في جميع ضروب الحياة وتصاريف الأمور والمعاملات، ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾ [الأنعام:١٢٤]، ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ﴾ [القصص:٦٨].

إنّها النفس التي عانَقت السماء، وعاشَت على الثّرى دانيةً من الناس، مِلؤُها الإحسان المديد والعقلُ السديد والرأي الرّشيد والقول اللطيف الوئيد، في أقصى آمالِ الحِرص والإخلاص

والصدق والأمانة.

[illegible]

[illegible]

معاشرَ المسلمين، ثلاثةٌ وعشرون عامًا بل دُرّةٌ مِن الدعوة والصبر والتعليم والجهاد تقِف شامخةً على قمّة الزمنِ والحضارة والتاريخ، لا تجِد فيها ساعةً أو خطوةً توصَف بالضياع أو الإهدار.

أئمة الضلال والهجوم على سيد البشر

يا ربنا فاجمعنا معًا بنبيِّنا
في جنّة تثني عيونَ الحُسّد
في جنّة الفردوس فاكتبها لنا
يا ذا الجلال وذا العلا والسؤدد.

أمّةَ الإسلام، أحبابَ سيّدِ الأنام، ومع كلِّ هذا الجلاء في سيرةِ خيرِ الورَى والبهاء لا يزالُ أحلاسُ النّفاق وشُذّاذ الآفاق ومَردَة الكُفر والاستشراق ومُسوخ العولمة والتغريب ينشرون أباطيلَهم وحقدَهم الأرعن عبرَ الحمَلات والشبكات حِيالَ الجناب المحمديّ الأطهر والهدي المصطفويّ الأزهَر، فيا وَيحهم، يا ويحهم يَرمون من أرسلَه الله رحمةً للعالمين بالقَسوة والجفاء والإرهابِ والغِلظة والشناءة، في رسوم ساخِرة ودِعايات سافِرة وحملات ماكِرة، فالله حسبنا وحسيبُهم.

وهل أنكروا إلاّ فضائلَ جمّةً؟!
وهل يبصر الخفّاش والنورُ ساطع؟!

وما عُدتُهم إلاّ الافتراء والزور، ينفثُها صدرُ كلِّ مأفونٍ موتور، تشكيكًا في النبوّةِ والرّسالة، فويلٌ لهم من وَصفِهم أشرفَ الورى بما اختلقوا مِن عندهم والتّزعُّم. وقد علِموا يقينًا قاطعًا أنّ النبيَّ الأمّيَّ الهاشميَّ القرشيّ صلوات ربي وسلامُه عليه قد جاء للبشريّة بأسمى الحقائق الكونية وأزكى الآداب الخلُقيّة وأرقى النُّظُم الاجتماعيّة وأجلى الشرائع التعبديّة، ولكن ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾ [النمل:١٤] . الله أكبر، ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾ [الكوثر:٣]، ولله درُّ حسّانَ رضي الله عنه:

هجوتَ مباركًا برًّا حنيفًا
أمينَ الله شيمتُه الوفاءُ
فإنّ أبي ووالدَه وعِرضي
لعِرض محمّدٍ منكم وِقاء

أمّةَ الإسلام في كلّ مكان، وإذا كانت المآسي تلفَح وجوهَنا في كلِّ شبرٍ وواد من كلِّ باغٍ وعادٍ فإنّه لِزامًا على الأمّة وقد رضيَت بالركون إلى هذه الدنيا والإخلاد ورَثَّ حبلُ صِلَتِها بهذِه السّيرةِ الهادية أو كاد وغدَت سيرةُ الحبيب بعد الجِدّة والإشراق أشبهَ بالأخلاط أن تَنثَني إلى السيرة النبوية في شمولٍ وعُمق وجِدٍّ وصِدق، وأن تكونَ أشدَّ تعلُّقًا بنبيِّها ﷺ وسيرتِه عليه الصلاة والسلام تأسّيًا وفهمًا وسلوكًا واستبصارًا واعتبارًا؛ لتنتشلَ نفسَها من كلاكل العجزِ والتمزّق والفِتن والانحدار التي مُنيت بها في هذهِ الآونةِ العصيبة، ولْتُعلِنها مدوّيَةً خفّاقةً وشَجًى في اللّهواتِ المغرِضة الأفّاكة أنّ السيرة النبويّةَ والمناقب المحمّديّة على صاحبها أزكَى سلام وأفضل تحيّة هي مناط العزِّ والنصر وأجلَى لُغاتِ العصر التي تعرُج بالأمة إلى مداراتِ السّؤدَد والتمكين، وهي التي تقضي على جدلِ كلِّ عنيد وخداع كلِّ ماكر ونَزَق كلِّ دعيّ، وهي الحجّة القاطعة لدحر المتقحِّمين على أصولِ الشريعة والأحكام مِن قليلي البصيرة وسُفَهاء الأحلام.

سيرة النبي ﷺ شمس ساطعة

والسيرةُ النبويّة ـ يا رعاكم الله ـ هي الشمسُ الساطعة التي تربّى عليها الأجيالُ بمنهج الوسَطِ والاعتدال بعدَ أن تلقّفَتهم جحافِل الغرائزِ والشهوات في رائيّات وفضائيّات، وطوّقتهم فيالِقُ الشّبهات في شبكاتٍ ومنتديَاتٍ، وغزَتهم كتائبُ الانهزاميّة والفرقة والشّتات، حتّى جفّت في قلوبهم ينابيعُ الحبِّ المورقِ لنبيِّهم وشمائِلِه وصَحبِه إلاّ مَن رحم الله. ومنهَجُ المحبِّ الصادِق:

لي فيك حبٌّ ليس فيه تملُّق
أملاه دينٌ ليس فيه تكلُّف

يا أمّةَ الحبيب المصطفى ، ولن يتحقّق الحبّ النبويّ المكين في أكملِ معانيه وأحكم مبانيه إلاّ إذا كانت لحمتُه الاتّباعَ والاقتداء، وسَداه الائتساءَ والعمل والاهتداء.

إنّي أرى حبَّ النبيِّ عبادةً
ينجو بها يومَ الحساب المسلم
لكن إذا سلَكَ المحبّ سبيلَه
متأسِّيًا ولهديه يترسَّم

واضَيعتاه لأمّةٍ ضيّعت مبعَثَ آمالها ومُنتَهى آلامِها. يا لَضَيعةِ السنّة السنيّة أن تكونَ من قبيل الغلوّ والإطراء وإنشادِ القصائدِ الحوليّات وسَردِ القصَص والرّوايات والترانيم والمدائح التي لا تغادِر الشّفاه في ليلةٍ مخصوصةٍ أو شهرٍ معيَّن، من فئاتٍ رامت الإجلالَ فوقعت في الإخلال، فهم أقربُ ما يكونون إلى طلبِ العافيَة والبُعدِ عن ميدانِ الدّعوة والمصابَرة وتحمُّلِ التّبِعات، والحبُّ الصادق:

حبٌّ مدَى الأيّام يُنشَر ذكرُه
ويُذاع في كلِّ البقاع وينقَلُ

إنّ السيرةَ الفيحاء لهي أعذبُ الموارد وأجلّ من أن تؤسِّنَها بدَع الموالِد، ومن للسنّة أحَبّ نافح عنها وذبٌ، فمن ادَّعى المحبّة ألزم صِدقَ الشهداء، ﴿ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاءِ فَأُوْلَئِكَ عِندَ اللَّهِ هُمُ الكَاذِبُونَ ﴾ [النور:١٣].

فإن كنتَ في دعوى المحبّة صادقًا
ففي شرعنا برهان دعوى المحبّةِ
وفي شرعنا أنّ المحبّة طاعة
وسيرٌ على منهاج خير البريّة

فيا أيّها الجيل المحبّ في كلّ مشرق ومغرب، خِفّوا للتحلّي بشمائل نبيِّكم وأخلاقِه، وتزيّنوا بمناقبِه وآدابه، وتمثّلوا هديَه، وترسّموا سنّته، وعَضّوا عليها بالنواجذ، تغنَموا وتنعَموا وتسودوا وتقودوا.

يا مسلمون لسنّة الهادي ارجِعوا
واسترشِدوا بدروسها وتعلّموا

﴿ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ ﴾ [يوسف:٢١].

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لاَ يُحِبُّ الكَافِرِينَ﴾ [آل عمران:٣١، ٣٢] .

أيها المسلمون: اعلَموا أنّ من مقتضَى محبّة رسول الله محبّة آله الأطهار وصَحبه الأخيار المهاجرين منهم والأنصار، ووُدّ أهل بيته الطيّبين الطاهرين وزَوجاته الطاهرات أمّهات المؤمنين وصحابتِه الغرّ الميامين، فلَيس في الأمّة كالصحابة في الفضل والمعروف والإصابة؛ أبرُّ الناس إيمانًا، وأهدَاهم قلوبًا، وأجفَاهم للهِ جنوبًا، انتهَوا في محبّتِهم لخير البريّة إلى تفديَتِه بالآباء والأمّهات، وإلى أعالي الدّرجات وسامي الغايات التي تمتنع إلاّ على النفوس المشرقة باليقين.

ربّيتَ جيلاً أبيًا مؤمنًا يقِظًا
حَسَنوا شريعتك الغرّاء في نهَمِ
فمَنْ أبو بكرٍ قبلَ الوحي مَنْ صدقْ؟!
ومَنْ عليّ ومَنْ عثمان ذو الرحم؟!

فمن أحبّهم وأثنى عليهم بريءٌ من النّفاق وكان له من منازل الإيمان على قدر محبّتِه لهم والائتساء بهم، يقول سبحانه: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ﴾ [الفتح:١٨].

إذا الله أثنى بالذي هو أهله عليهم
فما مقدار ما يمدح الورى؟!

وفي صحيح الخبَر عن سيّد البشَر في بيان حقّهم وعظيم قَدرهم: «لا يحبّهم إلا مؤمن، ولا يبغِضهم إلاّ منَافق، ومن أحبّهم أحبّه الله، ومن أبغضَهم أبغضه الله»(٥).

أولئك أحبابي وصَحبِي ومَعشَري
وقومي وإخواني وأعلامُ أمّتي

فمَن تطاول عليهم وافترى فقد ظلَم واجترى وجاء بأعظم الفِرى، فهم - وايمُ الله - لا يذكَرُون إلاّ بالجميل، ومَن ذكرهم بغير الجميل فهو على غير السّبيل.

وختامًا، فلتعلَموا - يا رعاكم الله - أنّ من أحبّ شيئًا أجراه دومًا على لسانه ومكّنه من سويداء جنانه.

يا ربِّ صلِّ على النبيِّ المصطفى
ما غرّدت في الأيكِ ساجعة الرُّبى
صلّوا على من تدخلون بهديه
دارَ السلامة تبلغون المُطلَبا
يا أيّها الراجون خيرَ شفاعةٍ
من أحمد صلّوا عليه وسلّموا
صلّى وسلّم ذو الجلال عليه
ما لبّى ملَبٍّ أو تحلّل مُحْرِم

والحمد لله رب العالمين.

---

(١) صحيح البخاري: كتاب الإيمان (١٥)، صحيح مسلم: كتاب الإيمان (٤٤) عن أنس رضي الله عنه، ليس فيه قوله: «من نفسه».

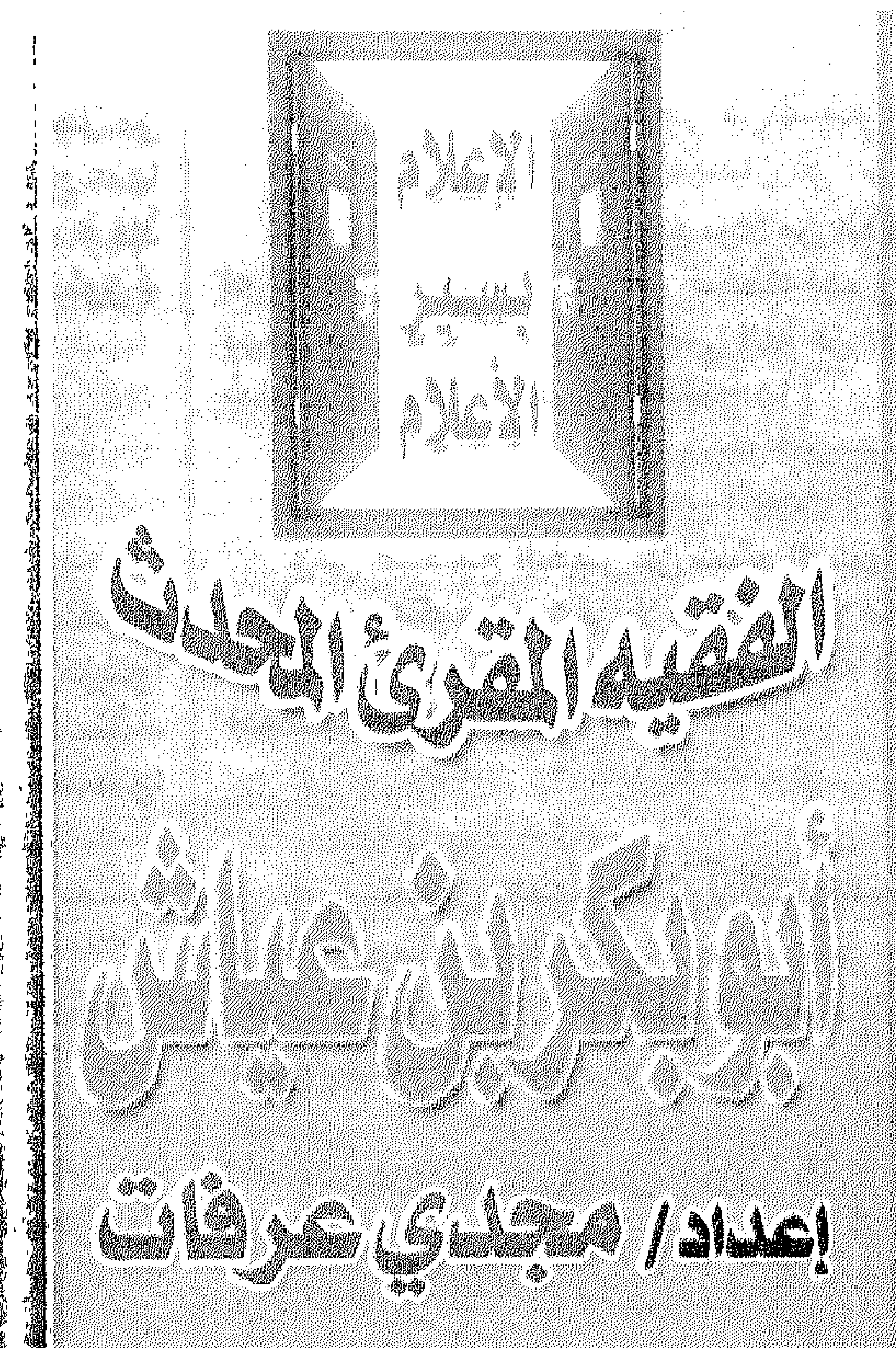
(٢) صحيح البخاري: كتاب بدء الخلق (٣٢٣١)، صحيح مسلم: كتاب الجهاد (١٧٩٥) عن عائشة رضي الله عنها.

(٣) أخرجه ابن سعد (١٩٢/١)، وابن أبي شيبة (٣٢٥/٦)، والدارمي في المقدمة (١٥)، والبيهقي في الشعب (١٤٤/٢) عن أبي صالح مرسلاً، ووصله الطبراني في الأوسط (٢٩٨١) والصغير (٢٦٤)، وابن عدي في الكامل (٢٣٠/٤)، والقضاعي (١١٦٠، ١١٦١)، والرامهرمزي في الأمثال (١٣) عن أبي هريرة رضي الله عنه، وصححه الحاكم (١٠٠)، ووافقه الذهبي، وهو في السلسلة الصحيحة (٤٩٠). وفي الباب عن أنس وجبير بن مطعم وابن عمر رضي الله عنهم.

(٤) أخرجه ابن إسحاق كما في السيرة النبوية (٤١٢/٤) فقال: "حدثني بعض أهل العلم أن رسول الله قام على باب الكعبة فقال:..." فذكره في حديث طويل، وهذا سند معضل، وروي عن قتادة السدوسي مرسلاً، أخرجه الطبري في تاريخه (١٦١/٢) من طريق ابن إسحاق، وليس فيهما قوله: «اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون».

(٥) صحيح البخاري: كتاب المناقب (٣٧٨٣)، صحيح مسلم: كتاب الإيمان (٧٥) عن البراء رضي الله عنه، قاله في الأنصار رضي الله عنهم.





اسمه ونسبه: هو أبو بكر بن سالم الأسدي مولاهم الكوفي الحناط المقرئ مولى واصل الأحدب مشهور بكنيته وأشهر ما ذكر في اسمه: شعبة، وقيل: اسمه كنيته وقيل محمد وأحمد، وعنترة وقاسم وحسين وغير ذلك.

مولده: ولد سنة خمس وتسعين، ويقال: سبع وتسعين.

شيوخه ومن روى عنهم: قرأ القرآن وجوده ثلاث مرات على عاصم بن أبي النجود وحدث عن عاصم وأبي إسحاق السبيعي وعبد الملك بن عمير والسدي الكبير، وحميد الطويل، والأعمش وهشام بن حسان ومنصور بن المعتمر وعبد العزيز بن رفيع وهشام بن عروة وخلق سواهم.

تلامذته والرواة عنه: تلا عليه جماعة منهم أبو الحسن الكسائي ويحيى العلمي وأبو يوسف الأعشى ويحيى بن آدم، وغيرهم.

وروى عنه ابن المبارك والكسائي ووكيع وأبو داود وأحمد بن حنبل ومحمد بن عبد الله بن نمير وإسحاق بن راهوية وأبو بكر بن أبي شيبة وأبو كريب محمد بن العلاء الهمداني والحسن بن عرفة وهناد بن السري، وخلق كثير.

ثناء العلماء عليه: قال أحمد بن حنبل: ثقة. ربما غلط، صاحب قرآن وخير.

قال ابن المبارك: ما رأيت أحدًا أسرع إلى السنة من أبي بكر بن عياش.

قال ابن معين: ثقة. قال أبو حاتم: أبو بكر وشريك في الحفظ سواء غير أن أبا بكر أصح كتابًا.

قال يعقوب بن شيبة: كان أبو بكر معروفًا بالصلاح البارع وكان له فقه وعلم بالأخبار وفي حديثه اضطراب.

قال ابن عدي: لم أر له حديثًا منكرًا من رواية ثقة عنه.

قال الذهبي: فأما حاله في القراءة فقيِّم بحرف عاصم وقد خالفه حفص في أزيد من خمسمائة حرف، حفص أيضًا حجة في القراءة لين في الحديث.

قال ابن حجر: ثقة عابد إلا أنه لما كبر ساء حفظه وكتابه صحيح.

من أحواله وأقواله:

قال أبو بكر بن عياش: القرآن كلام الله ألقاه إلى جبريل وألقاه جبريل إلى محمد ﷺ منه بدأ وإليه يعود.

قال: من زعم أن القرآن مخلوق فهو عندنا كافر زنديق عدو لله لا نجالسه ولا نكلمه.

قال: والله لو أعلم أن أحدًا يطلب الحديث بمكان كذا وكذا لأتيت منزله حتى أحدثه.

قال عيسى بن يونس: سألت أبا بكر بن عياش عن الحديث، فقال: إن كنت تحب أن تمدن فلست بأهل أن تؤتى، وإن كنت تكره أن تؤتى فبالحري أن تنجو.

قال أبو بكر بن عياش: أبو بكر الصديق خليفة رسول الله ﷺ في نص

القرآن لأن الله تعالى يقول: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ قال: فمن سماه الله صادقًا فليس يكذب، هم قالوا: يا خليفة رسول الله ﷺ.

وقال: أدنى نفع السكوت السلامة، وكفى به عافية، وأدنى ضرر المنطق الشهرة وكفى بها بلية.

قال أبو بكر: كان الأعمش يقول لأصحاب الحديث: إذا حدث بثلاثة أحاديث: قد جاءكم السيل، وأنا اليوم مثل الأعمش.

وقال: ما رأيت أحدًا أقرأ من عاصم فقرأت عليه، وما رأيت أحدًا أفقه من المغيرة فلزمته، والمغيرة هو ابن عبد الرحمن المخزومي بقية أهل المدينة.

قال: يا مَلَكَيَّ ادعُوَا الله لي فإنكما أطوع لله مني.

قال لابن عيينة: رأيت الدنيا في النوم عجوزًا مشوهة.

سُئل عن القرآن فقال: هو كلام الله غير مخلوق.

قال أحمد بن يونس: قلت لأبي بكر بن عياش: لي جار رافضي قد مرض قال: عُدْهُ كما تعوده اليهودي والنصراني، لا تنوي فيه الأجر.

قال أبو بكر: قال لي الرشيد: كيف استخلف أبو بكر رضي الله عنه؟ قلت: يا أمير المؤمنين سكت الله وسكت رسوله وسكت المؤمنون، فقال: والله ما زدتني إلا عميً، قلت: مرض رسول الله ﷺ ثمانية أيام، فدخل عليه بلال، فقال: مروا أبا بكر فليُصَلِّ بالناس، فصلى بالناس ثمانية أيام والوحي ينزل فسكت رسول الله ﷺ لسكوت الله وسكت المؤمنون لسكوت رسول الله ﷺ، فأعجبه ذلك، وقال: بارك الله فيك.

قال عثمان بن أبي شيبة: أحضر هارون الرشيد أبا بكر بن عياش من الكوفة فجاء ومعه وكيع فدخل ووكيع يقوده فأدناه الرشيد وقال: قد أدركت أيام بني أمية وأيامنا فأينا خير؟ قال: أنتم أقوم بالصلاة، وأولئك كانوا أنفع للناس، قال: فأجازه الرشيد بستة آلاف دينار صرفه، وأجاز وكيعًا بثلاثة آلاف.

قال يحيى بن سعيد: زاملت أبا بكر بن عياش إلى مكة فما رأيت أورع منه، لقد أهدى له رجل رطبًا فبلغه أنه من بستان أُخذ من خالد بن سلمة المخزومي، فأتى آل خالد، فاستحلهم وتصدق بثمنه.

قال أبو عبد الله المعيطي: رأيت أبا بكر بن عياش بمكة جاءه سفيان بن عيينة فبرك بين يديه فجاء رجل يسأل سفيان عن حديث، فقال: لا تسألني عن حديث ما دام هذا الشيخ قاعدًا، فجعل أبو بكر يقول: يا سفيان كيف أنت؟ وكيف عائلة أبيك؟

قال أحمد بن يونس: كان الأعمش يضرب هؤلاء ويشتمهم ويطردهم وكان يأخذ بيد أبي بكر فيجلس معه في زاوية لحال القرآن.

قال يزيد بن هارون: كان أبو بكر بن عياش خيرًا فاضلاً لم يضع جنبه على الأرض أربعين سنة.

قلت: هذا يذكر عن كثير من العباد وهو خلاف سنة رسول الله ﷺ الذي يقول: «أما أنا فأصوم وأفطر وأقوم وأرقد وأتزوج النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني». متفق عليه من حديث أنس.

قال أبو بكر: تعلمت القرآن من عاصم كما يتعلم الصبي من المعلم فلقي مني شدة فما أحسن غير قراءته، وهذا الذي أحدثك به من القراءات إنما تعلمته من عاصم تعلمًا.

قال يحيى بن آدم: قال أبو بكر: اختلفت إلى عاصم نحوًا من ثلاث سنين في الحر والشتاء والمطر حتى ربما استحييت من أهل مسجد بني كاهل.

قال الذهبي: وقد روى من وجوه متعددة أن أبا بكر بن عياش مكث نحوًا من أربعين سنة يختم القرآن في كل يوم وليلة مرة. قال: وهذه عبادة يخضع لها ولكن متابعة السنة أولى، فقد صح أن النبي ﷺ نهى عبد الله بن عمرو أن يقرأ القرآن في أقل من ثلاث. رواه البخاري.

وقال عليه السلام: «لم يفقه من قرأ القرآن في أقل من ثلاث». [رواه أبو داود والترمذي وهو صحيح]. اهـ.

قلت: وهذا كما تقدم من القيام.

قال أبو بكر: ولدت سنة سبع وتسعين وأخذت رزق عمر بن عبد العزيز ومكثت خمسة أشهر ما شربت ماءً ما أشرب إلا النبيذ.

قال الذهبي: النبيذ الذي هو نقيع التمر ونقيع الزبيب، ونحو ذلك، والفقاع حلال شربه، وأما نبيذ الكوفيين الذي يسكر كثيره فحرام الإكثار منه عند الحنفية وسائر العلماء، وكذلك يحرم يسيره عند الجمهور ويترخص فيه الكوفيون وفي تحريمه عدة أحاديث.

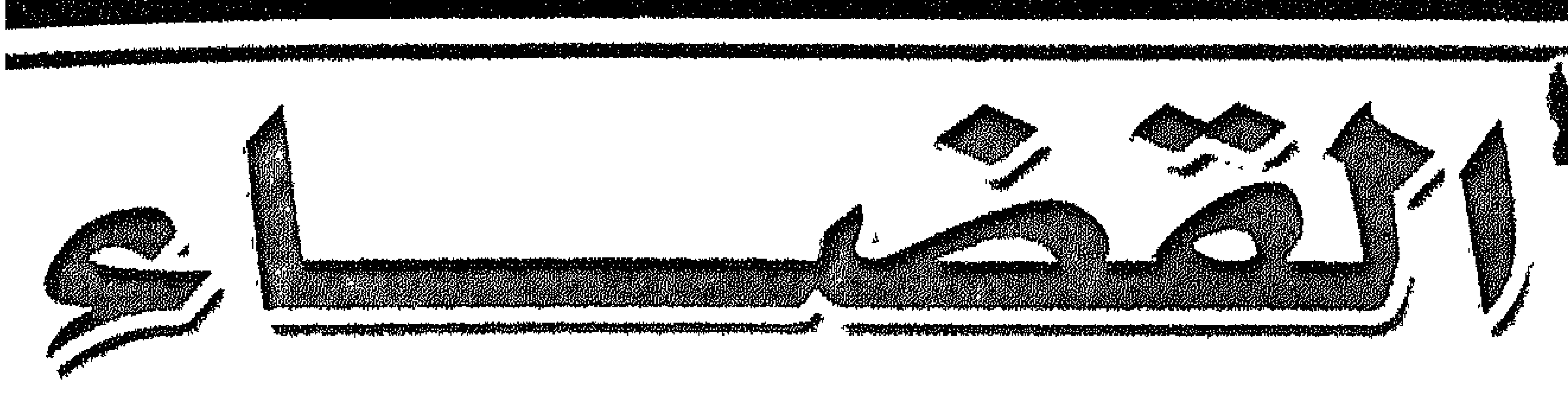
قال الأحمسي: ما رأيت أحدًا أحسن صلاة من أبي بكر بن عياش.

وفاته: مات في جمادى الأولى سنة ثلاث وتسعين ومائة، عائش ستًا وتسعين سنة.

المراجع:

تهذيب الكمال - تهذيب التهذيب.

سير أعلام النبلاء - تقريب التهذيب.



الحمد لله والصلاة والسلام على من لا نبي بعده..... وبعد:

فإن الإيمان بالقدر أصل من أصول الإيمان، لا يتم إيمان المرء إلا به، ومن النصوص الشرعية التي تبين ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر:٤٩] وقوله سبحانه: ﴿وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا﴾ [الأحزاب:٣٨]، وقوله عز وجل: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا﴾ [الفرقان:٢].

وقوله ﷺ: «وتؤمن بالقدر خيره وشره....» [رواه مسلم]، وكان ابن عمر يقول: «كل شيء بقدر حتى العجز والكيس» [رواه مسلم] والقدر هو قدرة الله كما عرفه إمام أهل السنة «أحمد بن حنبل» – رحمه الله – والقدير الذي يفعل ما يشاء على قدر ما تقتضيه الحكمة، فهو سبحانه على كل شيء قدير، وفي هذا يقول ابن القيم – رحمه الله –.

فحقيقة القدر الذي حار الورى
في شأنه هو قدرة الرحمن
واستحسن ابن عقيل ذا من أحمد
لما حكاه عن الرضى الرباني
قال الإمام شفى القلوب بلفظة
ذات اختصار وهي ذات بيان

والقدر هو نظام التوحيد، فمن آمن بالله وآمن بالقدر تم توحيده، ومن وحد الله وكذب بالقدر نقض تكذيبه توحيده كما قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ ولقد حذر النبي ﷺ من التنازع في شأن القدر عندما خرج على أصحابه وهم يتنازعون فيه فاحمر وجهه وقال لهم: «أبهذا أُمرتم أم بهذا أُرسلتُ إليكم؟ إنما هلك من كان قبلكم حين تنازعوا في هذا الأمر» رواه الترمذي.

وأول من خاض في القدر رجل من البصرة يقال له سوسن وعنه أخذها معبد الجهني ثم أخذها عنه غيلان الثقفي وعمر بن عبيد وواصل بن عطاء وهؤلاء رؤوس الاعتزال وأئمته.

والقدرية هم الذين أثبتوا للعبد قدرة توجد الفعل منفردة مستقلة عن رب العزة سبحانه، وهم مجوس هذه الأمة حيث إنهم شابهوا المجوس في نسبتهم الخير لله، والشر إلى سواه فكانوا بذلك ثنوية كالمجوس الذين قالوا إن الخير من فعل النور والشر من فعل الظلمة، وكرد فعل لهذا القول ظهر في بني أمية أقوام يزعمون أن العبد مجبور على فعله وليس له خيار، وهؤلاء هم الجبرية الذين شابهوا المشركين في قولهم ﴿لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَيْءٍ﴾ [الأنعام:١٤٨] فأبطلوا بقولهم الأمر والنهي الشرعيين، وكان الجهم بن صفوان على رأس هؤلاء المبتدعة، ولا يخفى على أحد ضلال الفريقين وبُعدهم عن الحق، فالله سبحانه خلق الخير والشر، خلق الخير وأمرنا به وخلق الشر ونهانا عنه فهما مضافان له سبحانه خلقًا وإيجادًا وللعبد فعلا واكتسابا.

وقدر الله سبحانه يشمل علمه الأزلي بما كان وبما لم يكن، وكتابة ذلك في اللوح المحفوظ ثم إيجاد ما قدره سبحانه على ما سبق به علمه وجرى به قلمه، أما قضاؤه سبحانه فهو الفصل والقطع والخلق أو الأمر المقضي به، يقول جل شأنه ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾ [يس:٨٢] ويقول سبحانه: ﴿كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا﴾ [مريم:٧١] فالقدر هو التقدير، والقضاء هو الفصل والقطع، ويقوم الإيمان بالقدر على أربعة أركان هي:

١ ـ العلم الشامل المحيط.
٢ ـ الكتابة لكل ما هو كائن إلى يوم القيامة في اللوح المحفوظ.
٣ ـ المشيئة النافذة والقدرة التامة.
٤ ـ الخلق لكل مخلوق.

والقدر

إعداد
أسامة سليمان

١) أما الركن الأول:

فهو الإيمان الجازم بأن علمه سبحانه محيط بكل شيء يعلم ما كان وما سيكون وما لم يكن لو كان كيف يكون ويعلم الموجود والمعدوم والممكن والمستحيل، فهو سبحانه عالم بالعباد وآجالهم وأرزاقهم وأموالهم، ومن منهم من أهل الجنة ومن منهم من أهل النار وذلك قبل خلقهم وخلق السموات والأرض. يقول سبحانه: ﴿هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَإِذْ أَنْتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ﴾ [النجم:٣٢]، ويقول عز وجل: ﴿عَالِمِ الْغَيْبِ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرُ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرُ﴾ [سبأ:٣]، وبعلمه بما لم يكن لو كان كيف يكون، يقول سبحانه: ﴿وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ﴾ [الأنعام:٢٨]، ويقول سبحانه: ﴿وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ﴾ [الأنفال:٢٣]، وعلم الخلق منه سبحانه فهو الذي خلقهم وعلمهم وعلم الإنسان ما لم يعلم، فيقول سبحانه: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾ [البقرة:٣١] فالمخلوقات وما فيها من علم منه سبحانه كما أن خلق الخلق ووجوده يستلزم الإرادة والإرادة تستلزم العلم يقول جل شأنه: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [الملك:١٤].

٢) الكتابة:

وهي تعني أن الله كتب في اللوح المحفوظ ما هو كائن إلى يوم القيامة، يقول ﷺ: «كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنه وعرشه على الماء». [رواه مسلم].

واللوح المحفوظ ورد في القرآن بأسماء متعددة منها الكتاب المبين وأم الكتاب والكتاب المسطور والإمام المبين يقول سبحانه: ﴿وَالطُّورِ * وَكِتَابٍ مَسْطُورٍ * فِي رَقٍّ مَنْشُورٍ﴾ [الطور:١-٣] ويقول عز وجل: ﴿وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ﴾ [الزخرف:٤]، ويقول سبحانه: ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ﴾ [يس:١٢] وفي صحيح سنن الترمذي «إن أول ما خلق الله القلم قال له: أكتب، قال: ما أكتب؟ قال: أكتب القدر ما كان، وما هو كائن إلى الأبد».

٣) المشيئة النافذة والقدرة التامة:

إن الله سبحانه له المشيئة الشاملة النافذة ونقصد بذلك: فما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، فلا حركة ولا سكون في السماء والأرض إلا بمشيئته، يقول سبحانه: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [التكوير:٢٩]، ويقول عز وجل: ﴿مَنْ يَشَإِ اللَّهُ يُضْلِلْهُ وَمَنْ يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [الأنعام:٣٩]، ويقول جل شأنه: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلُوا وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾ [البقرة:٢٥٣]، ويقول: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا﴾ [يونس:٩٩]، ويقول: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا﴾ [الفرقان:٤٥]، فما لم يوجد في الكون لم يوجد لعدم مشيئته سبحانه فهو سبحانه على كل شيء قدير.

٤ ـ الخلق:

فهو سبحانه خالق كل شيء، فالكون وما فيه مخلوق والله هو الخالق وهو الرب وما سواه مربوب يقول سبحانه: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ﴾ [الأنعام:١]، ويقول جل شأنه: ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ [الأنبياء:٣٣].

ويقول عز وجل: ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [الملك:٢]، ولا تخرج أعمال العباد عن كونها مخلوقة، فالله سبحانه خلق الخلق وعلم ما هم فاعلون وقضى قدرة سبحانه فيهم وكل ميسر منهم لما خلق له يقول سبحانه: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الصافات:٩٦] وليس معنى أن الله خلق أعمال العباد وعمل أهل السعادة وأهل الشقاوة أن ذلك يمنع من العمل، ولقد بين ذلك النبي ﷺ لما سأله عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ يا رسول الله أرأيت ما نعمل فيه أمر متبوع أو مبتدأ أو فيما فرغ منه؟

فقال: فيما فرغ منه يا ابن الخطاب، وكل ميسر، أما من كان من أهل السعادة فإنه يعمل للسعادة وأما من كان من أهل الشقاء فإنه يعمل للشقاء». [رواه الترمذي].

والله من وراء القصد.

من نور كتاب الله

ادع الله ولا تغفل عن ذكره

{وَاذْكُر رَّبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعاً وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالآصَالِ وَلاَ تَكُن مِّنَ الْغَافِلِينَ ، إِنَّ الَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لاَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيُسَبِّحُونَهُ وَلَهُ يَسْجُدُونَ﴾

[الأعراف:٢٠٥- ٢٠٦]

من هدي رسول الله ﷺ
قول بسم الله تمنع دخول الشيطان البيت

عن جابر أنه سمع النبي ﷺ يقول: إذا دخل الرجل بيته فذكر الله عز وجل عند دخوله وعند طعامه، قال الشيطان: لا مبيت لكم ولا عشاء، وإذا دخل فلم يذكر الله عند دخوله، قال الشيطان: أدركتم المبيت، وإن لم يذكر الله عند طعامه قال الشيطان: أدركتم المبيت والعشاء.

[صحيح مسلم]

من دلائل نبوته ﷺ
عصمة الله لنبيه من أعدائه

عن جابر قال: كنا مع النبي ﷺ بذات الرقاع ، فإذا أتينا على شجرة ظليلة تركناها للنبي ﷺ، فجاء رجل من المشركين وسيف النبي ﷺ معلق بالشجرة فاخترطه (أي سلَّهُ)، فقال (الرجل): تخافني؟ قال (النبي ﷺ): (لا). قال (الرجل): فمن يمنعك مني؟ قال (النبي ﷺ) : (الله). قال: فسقط السيف من يده، فأخذ النبي السيف فقال: «من يمنعك مني؟». قال: لا احد. [صحيح البخاري]

من فضائل الصحابة

عن جابر قال: قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: رأيتني دخلت الجنة، فإذا أنا بالرميصاء امرأة أبي طلحة قال: و سمعت خشفاً أمامي فقلت: من هذا يا جبريل؟ قال: هذا بلال ، قال: و رأيت قصراً أبيض بفنائه جارية، قال: قلت: لمن هذا القصر؟ قال: لعمر بن الخطاب ، فأردت أن أدخل فأنظر إليه، قال: فذكرت غيرتك، فقال عمر : بأبي أنت و أمي يا رسول الله أو عليك أغار. [مسند الامام احمد]

من درر التفاسير

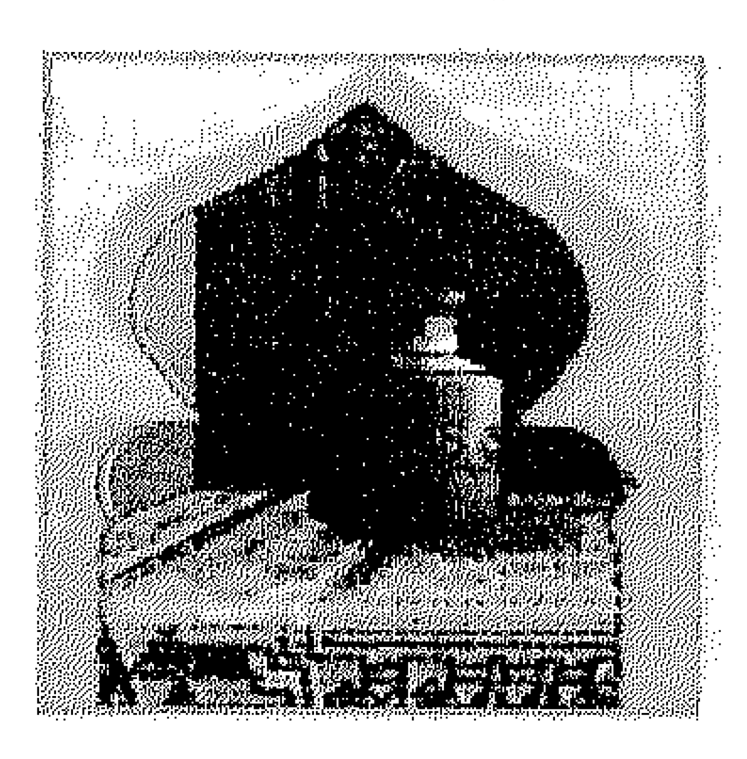
في قوله تعالى: ﴿ذلك بأن الله هو الحق وأن ما يدعون من دونه هو الباطل وأن الله هو العلي الكبير﴾ [الحج:٦٢]، قال: ﴿ذلك بأن الله هو الحق﴾ أي الإله الحق الذي لا تنبغي العبادة إلا له لأنه ذو السلطان العظيم الذي ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، وكل شيء إليه فقير ذليل لديه، "وأن ما يدعون من دونه هو الباطل" أي من الأصنام والأنداد والأوثان وكل ما عُبِد من دونه تعالى فهو باطل لأنه لا يملك ضرا ولا نفعا، وقوله ﴿ وأن الله هو العلي الكبير﴾ كما قال «هو العلي العظيم» «وقال وهو الكبير المتعال» فكل شيء تحت قهره وسلطانه وعظمته لا إله إلا هو ولا رب سواه لأنه العظيم الذي لا أعظم منه، العلي الذي لا أعلى منه، الكبير الذي لا أكبر منه، تعالى وتقدس وتنزه وجل عما يقول الظالمون المعتدون علوا كبيرا. [تفسير ابن كثير]

الجود والكرم عند نساء آل البيت

عن عبد الله بن الزبير قال: ما رأيت امرأتين أجود من عائشة و أسماء ، وجودهما مختلف، أما عائشة فكانت تجمع الشيء إلى الشيء، حتى إذا كان اجتمع عندها قسمت، وأما أسماء فكانت لا تمسك شيئاً لغد. [الأدب المفرد للبخاري]

من نصائح السلف

عن عبد الرحمن بن أبزى قال: قال داود : كن لليتيم كالأب الرحيم، واعلم أنك كما تزرع كذلك تحصد، ما أقبح الفقر بعد الغنى ! وأكثر من



ذلك أو أقبح من ذلك الضلالة بعد الهدى، وإذا وعدت صاحبك فانجز له ما وعدته، فإن لا تفعل يورث بينك وبينه عداوة وتعوذ بالله من صاحب إن ذَكَرْت لم يعنك، وإن نسيت لم يذكرك. [الأدب المفر للبخاري]

منْ فخاخ الشياطين

عن النعمان بن بشير قال: إن للشيطان مصالي و فخوخا، وإن مصالي الشيطان و فخوخه، البطر بأنعم الله، والفخر بعطاء الله، والكبرياء على عباد الله، واتباع الهوى في غير ذات الله. [الأدب المفر د للبخاري]

من جوامع الدعاء

عن عائشة رضي الله عنها قالت:دخل علي النبي ﷺ وأنا أصلي ـ وله حاجة فأبطأت عليه ـ قال: يا عائشة ، عليك بجمل الدعاء وجوامعه فلما انصرفت قلت: يا رسول الله وما جمل الدعاء وجوامعه؟ قال: قولي: اللهم إني أسألك من الخير كله عاجله و آجله ما علمت منه وما لم أعلم، وأعوذ بك من الشر كله، عاجله وآجله ما علمت منه وما لم أعلم، وأسألك الجنة وما قرب إليها من قول أو عمل، وأعوذ بك من النار وما قرب إليها من قول أو عمل، وأسألك مما سألك محمد، وأعوذ بك مما تعوذ منه محمد، وما قضيت لي من قضاء فاجعل عاقبته رشدا. [الأدب المفر د للبخاري]

حكم ومواعظ (حاجة المسلم)

عن مسلم عن مسرور قال: إن المرء لحقيق أن يكون له مجالس يخلو فيها، يتذكر ذنوبه يستغفر فيها. [صفة الصفوة]

وعن عبد الله بن عمرو قال: أربع خلال إذا أعطيتهن فلا يضرك ما عزل عنك من الدنيا: حسن خليقة، وعفاف طعمة، وصدق حديث، وحفظ أمانة. [الأدب المفر د للبخاري]

عن الأصمعي قال:(لما حضرت جدي علي بن أصمع الوفاة جمع بنيه فقال: يا بني عاشروا الناس معاشرة إن عشتم حنوا إليكم، وإن متم بكوا عليكم). [مكارم الأخلاق ابن أبى الدنيا]

من معاني اللغة

فصل في تعديد ساعات النهار والليل على أربع وعشرين

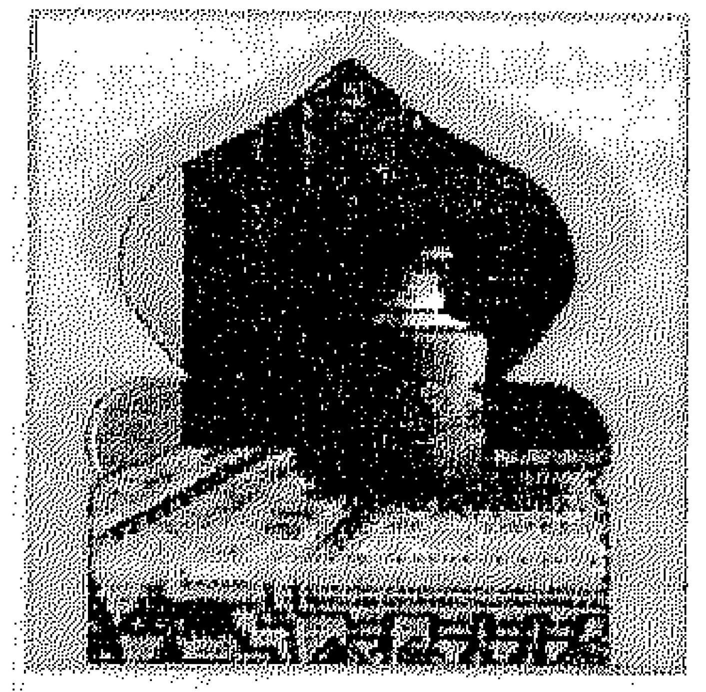
عن حمزة بن الحسين قال:

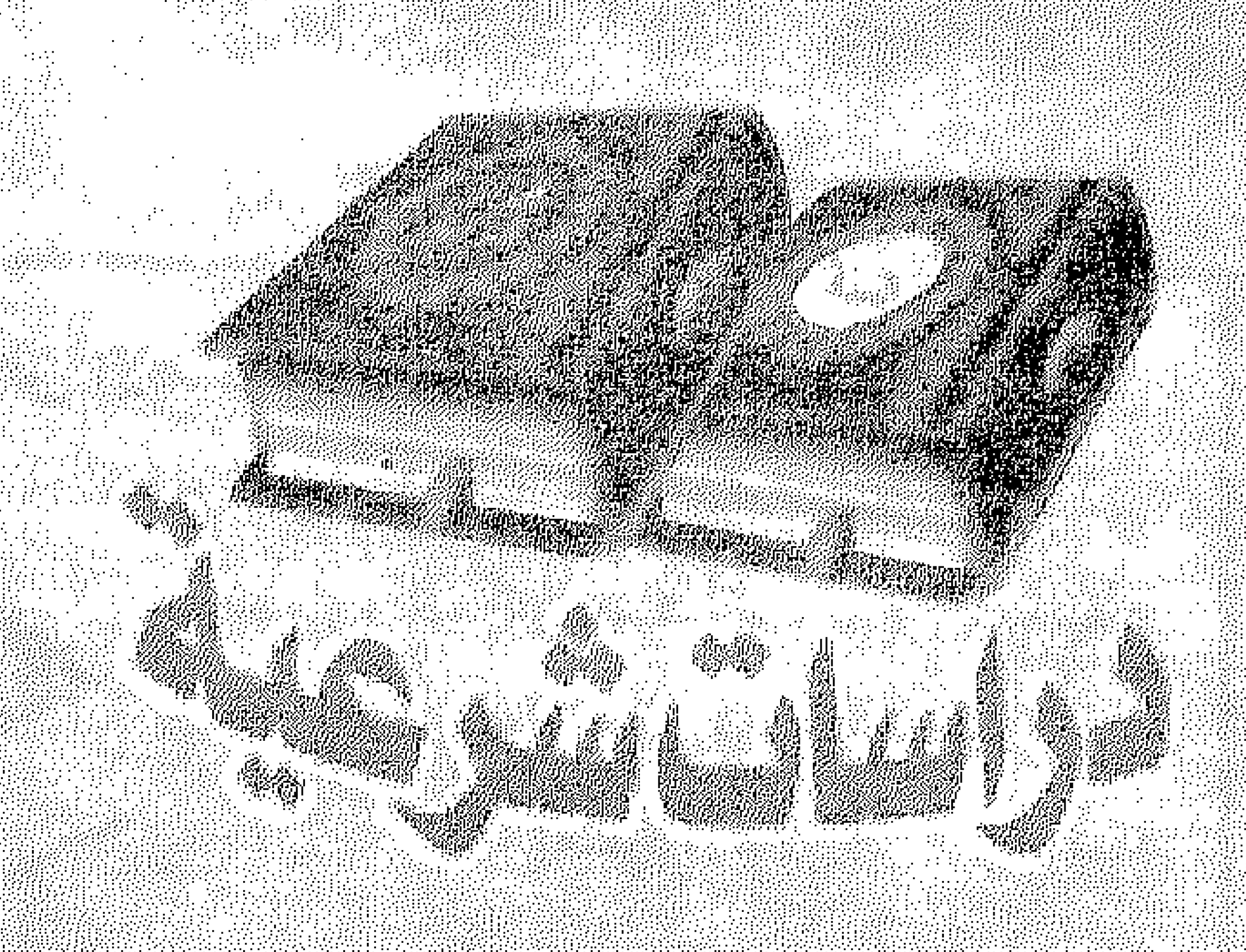
ساعات النهار: الشروق، ثم البكور ثم الغدو، ثم الأضحى، ثم الهاجرة ثم الظهيرة، ثم الرواح، ثم العصر، ثم الأصيل، ثم القصر، ثم العشي، ثم الغروب.

ساعات الليل: الشفق، ثم الغسق، ثم العتمة، ثم السدفة، ثم الجهمة ، ثم الزلة، ثم الزلفة، ثم البهرة، ثم السحر، ثم الفجر، ثم الصبح، ثم الصباح. [فقه اللغة للثعالبي]

منْ درر العلماء في إثبات الصفات

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: فلا بد من إثبات ما أثبته الله لنفسه، ونفي مماثلته بخلقه. فمن قال: ليس لله علم، ولا قوة ولا رحمة ولا كلام، ولا يحبُ ولا يرضى، ولا نادى ولا ناجى ولا استوى: كان معطلا جاحدا ممثلا لله بالمعدومات والجمادات. ومن قال: له علم كعلمي، أو قوة كقوتي، أو حب كحبي، أو رضاء كرضائي أو يدان كيداي أو استواء كاستوائي كان مشبها ممثلا لله بالحيوانات، بل لا بدمن إثبات بلا تمثيل، وتنزيه بلا تعطيل لقوله تعالي: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى:١١]. [التدمرية]





دراسات شرعية

مسائل

إعداد / متولي البراجيلي

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد:

وقف فريق من المستشرقين ومنكري السنة موقفًا معترضًا من سنة النبي ﷺ، محاولين الطعن في حجيتها، مستندين في ذلك إلى الأحاديث التي وردت عن النبي ﷺ بالنهي عن كتابة السنة، على العكس من القرآن الذي كان يأمر بكتابته ويشرف على ذلك بنفسه ﷺ، قالوا: ولم تجمع السنة إلا على رأس المائة الثانية من هجرة النبي ﷺ مما عرّضها للتغيير والتبديل والنسيان، فضلاً عن الدخيل عليها من الكتابيين والشعوبيين، ويتخذون ذلك متكأ للقول بعدم حجيتها وأن الحجة للقرآن فقط الذي كتب في عهد النبي ﷺ.

وإذا تأملنا في موقف هؤلاء من أحاديث الكتابة والنهي عنها، نجدهم فريقين، فريق منهم يذكر أحاديث النهي وحدها ولا يشير من قريب أو بعيد إلى أحاديث الإذن بالكتابة، وكأنها عندهم لم تكن، وهم بهذا يبرهنون على أنهم طلاب باطل لا طلاب حق وأنهم أبعد ما يكونون عن المنهج العلمي النزيه.

أما الفريق الثاني فيعترفون بأحاديث الإذن وهم كارهون، ثم يقفون منها موقفين: الأول: هو الطعن فيها بعدم الصحة.

الثاني: القول بأن أحاديث الإذن كانت أولاً ثم جاء حديث النهي ثانيًا فنسخ الإذن في كتابة الحديث، وصار النهي هو الموقف النهائي لرسول الله ﷺ.

وسنرى- إن شاء الله- الموقف الصحيح في هذه القضية وما يتعلق بها بشيء من التفصيل.

أولاً: الأحاديث الواردة في كتابة السنة والنهي عنها:

القسم الأول: أحاديث الإذن بالكتابة:

ما رواه الإمام أحمد بسنده عن عبد الله بن عمرو أنه قال: كنت أكتب كل شيء أسمعه من رسول الله ﷺ أريد حفظه فنهتني قريش، فقالوا: إنك تكتب كل شيء تسمعه من رسول الله ﷺ، ورسول الله بشر يتكلم في الغضب والرضا، فأمسكتُ عن الكتابة، فذكرت ذلك لرسول الله ﷺ، فقال: «اكتب، فوالذي نفسي بيده ما خرج مني إلا حق».

حديث أبي هريرة رضي الله عنه وهو في البخاري وغيره-: لم يكن أحد من أصحاب رسول الله ﷺ أكثر حديثًا مني إلاَّ ما كان من عبد الله بن عمرو بن العاص فإنه يكتب وأنا لا أكتب.

-حديث أبي هريرة: كان رجل من الأنصار يجلس إلى رسول الله ﷺ فيسمع منه الحديث فيعجبه ولا يحفظه، فشكا ذلك إلى الرسول ﷺ فقال: استعن بيمينك وأومأ بيده إلى الخط. [الترمذي].

وفي خطبة الوداع فإن أبا شاة اليمني قال: اكتبوا لي يا رسول الله، فقال: اكتبوا لأبي شاة. [متفق عليه].

إن عليًا رضي الله عنه سُئل: هل عندكم من رسول الله ﷺ شيء سوى القرآن؟

فقال: لا والذي فلق الحبة وبرأ النسمة إلا أن يعطي الله عبدًا فهمًا في كتابه، وما في هذه الصحيفة، قلت: وما في الصحيفة؟ قال: العقل (الدية) وفكاك الأسير، وأن لا يقتل مسلم بكافر. [صحيح البخاري]

وروى البخاري بسنده أن رسول الله ﷺ لما اشتد وجعه قال: ائتوني بكتاب، أكتب لكم كتابًا لا تضلوا بعده.

يقول ابن حجر في الفتح: وفي هذا الحديث دليل على جواز كتابة العلم، لأنه همَّ أن يكتب لأمته كتابًا يحصل معه الأمن من الاختلاف، وهو لا يهم إلا بحق.

-وثبت أن الرسول ﷺ كتب كتاب الصدقات والديات والفرائض والسنن لعمرو بن حزم وغيره.

وقد فهم الصحابة- رضي الله عنهم- أنه لا مانع من كتابة الأحاديث، وتوثيقها بها، وقاموا بتنفيذ ذلك، ومما روي لنا في هذا الصدد:

١-أن عبد الله بن عمرو بن العاص كتب صحيفة سماها الصادقة.

٢-وكتب أبو بكر لأنس بن مالك فرائض الصدقة التي سنها رسول الله ﷺ وقد توارث هذا الكتاب



في السنة

الحلقة الثالثة

ثمامة بن عبد الله بن أنس بعد أن حدثه به جده.

٣- وروى الرامهرمزي والخطيب البغدادي وابن عبد البر كل بإسناده أن عمر بن الخطاب قال: «قيدوا العلم بالكتاب». وصحَّ مثله عن أنس رضي الله عنه.

٤- وروى أبو خيثمة بسنده عن علي رضي الله عنه أنه قال: من يشتري مني علمًا بدرهم.

قال أبو خيثمة: يقول: يشتري صحيفة بدرهم يكتب فيها العلم. وزاد ابن سعد في روايته: فاشترى الحارث الأعور صحفًا بدرهم، ثم جاء بها عليًا، فكتب له علمًا كثيرًا.

٥- وجمع الحسن بن علي رضي الله عنهما بنيه وبني أخيه، فقال: يا بني إنكم اليوم صغار قوم، أوشك أن تكونوا كبار قوم، فعليكم بالعلم، فمن لم يحفظ منكم فليكتبه.

٦- وكتب ابن عباس رضي الله عنهما حديث رسول الله ﷺ، وكان يأتي أبا رافع الصحابي، ويقول: ما صنع النبي ﷺ يوم كذا، ومع ابن عباس ألواح يكتب فيها، وقد شهدت بهذا الصحابية الجليلة سلمى مولاة رسول الله ﷺ، فقالت: رأيت عبد الله بن عباس يكتب عليها عن أبي رافع شيئًا من فعل رسول الله ﷺ. وحدَّث أبو خيثمة أن ابن عباس كان يحض على قيد العلم، ويروي ابن سعد أنه كانت له كتب حمل بعير.

٧- وكتب أنس بن مالك من حديث رسول الله ﷺ، وقد مرَّ أنه نقل كتاب ابي بكر في الصدقة، وقد روى مسلم بسنده أنه كتب حديثًا عن رسول الله ﷺ غير كتاب، أبي بكر.

ويروي الخطيب بسنده عن عبد الله بن المثنى قال: حدثني عماي: النضر وموسى ابنا أنس عن أبيهما أنس بن مالك أنه أمرهما بكتابة الحديث والآثار عن رسول الله ﷺ.

٨- وإذا كان أبو هريرة لا يكتب، ويحفظ الحديث حفظًا جيدًا ببركة دعاء رسول الله ﷺ له بالحفظ، فإن تلاميذه قد كتبوا له حديثه، وأخذ هذه الكتب، فحفظها عنده، حتى لا يغير في حديثه أو يبدل فيه، وحتى تكون مقياسًا عنده لما ينسب إليه من الأحاديث الكثيرة التي بثها في التابعين- كما روى البخاري- ثمانمائة نفس.

٩- وكتب سمرة بن جندب رضي الله عنه ما رواه من الأحاديث عن رسول الله ﷺ وصحيفته مشهورة عند المحدثين.

١٠- وكتب جابر بن عبد الله- رضي الله عنهما- صحيفة اشتهرت فيما بعد بصحيفة جابر بن عبد الله، وقيل: إن مجاهد بن جبر كان يحدث منها، وإذا علمنا أن هذا الصحابي الجليل قد حمل عن رسول الله ﷺ علمًا كثيرًا نافعًا- كما يقول الذهبي- أدركنا أنه قد دوَّن الكثير من هذا العلم في هذه الصحيفة، وقد أخرج الإمام مسلم في جامعه الصحيح من هذه الصحيفة في مناسك الحج ما يقرب من الثلاثين حديثًا، أطولها الحديث الذي رواه جابر في حجة الوداع.

[وقد أخرجه الشيخ الألباني في كتاب مفيد بجميع زياداته ومروياته]

١١- وروى الدارمي بسند حسن أن أبا أمامة الباهلي أجاز كتابة العلم، فقد سأله أحد تلاميذه، وهو الحسن بن جابر عن كتابته، فقال: لا بأس بذلك.

١٢- وكتب عبد الله بن أبي أوفى رضي الله عنهما حديث رسول الله ﷺ، وأرسله إلى بعض أصحابه.

١٣- وجمعت أسماء بنت عميس رضي الله عنها بعض أحاديث الرسول ﷺ.

١٤- وكتب المغيرة بن شعبة إلى معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهم بعض الحديث.

-فكما نرى أن هذا كان اتجاهًا عامًا، فقد أحصى الدكتور مصطفى الأعظمي في كتابه «دراسات في الحديث النبوي وتاريخ تدوينه» أكثر من خمسين صحابيًا كتبوا الحديث الشريف أو كُتب لهم.

وقد أخذ التابعون الحديث عن الصحابة وكثر تدوين السنة في عصرهم مثل صحيفة همام بن منبه عن أبي هريرة، وكذا نسخة الأعرج عن أبي هريرة، وصحيفة أبي الزبير عن جابر بن عبد الله.

[دفاع عن السنة د. أبو شهبة، توثيق السنة د. رفعت فوزي، صحيفة همام بن منبه د. رفعت فوزي]

القسم الثاني: أحاديث النهي عن الكتابة:

١- حديث أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ: لا تكتبوا شيئًا عني إلا القرآن، ومن كتب عني شيئًا فليمحه. [صحيح مسلم]

أما باقي ما ورد من أحاديث في النهي عن الكتابة- على قلتها- لا تسلم من الطعن، مثل حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: استأذنت النبي ﷺ أن أكتب الحديث، فأبى أن يأذن لي.

وفي رواية: استأذنا النبي ﷺ

في في الكتاب فأبى أن يأذن لنا، وفي سند هذا الحديث عبد الرحمن بن زيد بن أسلم وهو ضعيف.

-وحديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: خرج علينا رسول الله ﷺ، ونحن نكتب الأحاديث فقال: ما هذا الذي تكتبونه؟ قلنا: أحاديث سمعناها منك، قال: أكتابًا غير كتاب الله تريدون؟ ما أضل الأمم من قبلكم إلا ما اكتتبوا من الكتب مع كتاب الله... وفي رواية فجمعناها في صعيد واحد فألقيناها في النار.

وراوي هذا الحديث أيضًا هو عبد الرحمن بن زيد بن أسلم وسبقت الإشارة إلى ضعفه- وحديث زيد بن ثابت رضي الله عنه أنه قال: إن رسول الله ﷺ، أمرنا ألا نكتب شيئًا من حديثه.

وفي رواية: إن النبي ﷺ: نهى أن يُكتب حديثه.

وفي سند هذا الحديث كثير بن زيد وهو ضعيف، بالإضافة إلى علة أخرى في الحديث وهي الانقطاع.

فلم يبق من أحاديث النهي إلاّ حديث أبي سعيد الذي رواه الإمام مسلم، مع ملاحظة أن رواته تفردوا به، قال الخطيب البغدادي: تفرد همام بروايته هذا الحديث عن زيد بن أسلم هكذا مرفوعًا.

ثانيًا: مسالك العلماء في الجمع بين أحاديث الإذن بالكتابة والنهي عنها:

١- أن النهي خاص بوقت نزول القرآن خشية التباسه بغيره، والإذن في غير ذلك الوقت.

٢- أن النهي خاص بكتابة الحديث مع القرآن في صحيفة واحدة، لأنهم كانوا يسمعون تأويل الآية فربما كتبوه معها، فنهوا عن ذلك خوف الاشتباه.

والإذن إنما كان بكتابة الحديث في صحف مستقلة ليس فيها شيء من القرآن، ولهذا الاشتباه الذي يحصل من كتابة تأويل الآية معها، ذهب بعض العلماء إلى أنه يحتمل أن تكون القراءة الشاذة نشأت من أن الصحابي كتب تفسير كلمة من القرآن معها، فظن التابعي أن ذلك التفسير قرآن، أو من أن الصحابي ذكر التفسير للتابعين فكتبه هذا مع القرآن، فظن من بعده أنه منه.

٣- أن النهي خاص بكتاب الوحي المتلو (القرآن) الذين كانوا يكتبونه في صحف لتحفظ في بيت النبوة، فلو أنه أجاز لهم كتابة الحديث لم يؤمن أن يختلط القرآن بغيره، والإذن لغيرهم.

٤- أن النهي ممن أمن عليه النسيان ووثق بحفظه، وخيف اتكاله على الخط إذا كتب، والإذن لمن خيف نسيانه ولم يحفظه أو لم يخف اتكاله على الخط إذا كتب.

٥- أن النبي ﷺ خصَّ بالإذن عبد الله بن عمرو لأنه كان قارئًا للكتب المتقدمة ويكتب بالسريانية والعبرية، وكان غيره من الصحابة أميين لا يكتب منهم إلا الواحد والاثنان، وإذا كتب لم يتقن ولم يصب التهجي، فلما خشي عليهم الغلط فيما يكتبون نهاهم، ولَمَّا أمن على عبد الله بن عمرو ذلك أذن له.

وهذه الأقوال المتقدمة أصحابها لا يقولون بالنسخ، أما القول السادس:

٦- أن يكون النهي من منسوخ السنة بالسنة، أي أن أول الأمرين النهي وآخر الأمرين الإباحة.

وقد قال بالنسخ جمهور العلماء على ما حكاه ابن تيمية.

ولعل مما يؤيد القول بالنسخ أن بعض أحاديث الإذن متأخرة التاريخ، فأبو هريرة راوي حديث الكتابة أسلم عام سبع، وقصة أبي شاة كانت في السنة الثامنة، عام الفتح. [الرد على من ينكر حجية السنة، بتصرف، د/ عبد الغني عبد الخالق، دفاع عن السنة د. أبو شهبة]

ومما يؤيد القول بالنسخ وأن الإذن بالكتابة كان هو آخر الأمرين، كتابة الصحابة للحديث- كما رأينا- وكثرة ذلك عنهم، وهم أقرب الناس لعصر التشريع زمنًا وفقهًا. وأبو سعيد الخدري رضي الله عنه راوي حديث النهي الذي في صحيح مسلم، وقد أوقفه بعض العلماء عليه، يلح دائمًا عليه تلاميذه أنهم يريدون الكتابة، بل إن ابنه يكتب حديث أبيه، ومع هذا الإلحاح فإن أبا سعيد لا يرى علة لهذا المنع إلا أنه لا يريد أن يجعل الحديث كالقرآن في مصاحف، ويريد لهم أن يحفظوا، كما حفظ هو وغيره من الصحابة، ولا يذكر أن العلة هي أن الرسول صلى الله عليه وسلم نهى عن ذلك. [توثيق السنة د. رفعت فوزي]

ثالثًا: هل الكتابة من لوازم الحجية؟:

الحجة إنما تحصل بعدالة حاملها، وهو أن يحمل الثقة العدل عن الثقة العدل حتى يوصله لمن مثله في هذه الصفة، فالكتابة ليست من لوازم الحجية وأن صيانة الحجة غير متوقفة عليها وأنها ليست السبيل الوحيد لذلك.

فكان النبي ﷺ يرسل السفراء من الصحابة، إلى القبائل المختلفة فيدعون الناس إلى الإسلام ويعلمونهم أحكامه ويقيمون بينهم شعائره، ولم يرسل مع كل سفير مكتوبًا من القرآن لإقامة الحجة على الأحكام التي يبلغها السفير للرسل إليهم ويلزمهم بها.

مثلاً الصلاة وهي القاعدة الثانية من قواعد الإسلام، لا يمكن للمجتهد أن يهتدي إلى كيفيتها من القرآن وحده، بل لا بد من بيان الرسول ﷺ، ولم يثبت أن الرسول ﷺ أمر بكتابة كيفيتها التي بينها ﷺ بفعله وقوله، ولو كانت الكتابة من لوازم الحجية لما جاز أن يترك النبي ﷺ هذا الأمر الخطير بدون أن يأمر بكتابته التي تقنعهم بالحجية كما هو الفرض.

رابعًا: الكتابة دون الحفظ قوة:

فعلماء الأصول إذا تعارض عندهم حديث مسموع وحديث مكتوب يرجحون المسموع، فعلماء الحديث اتفقوا على صحة رواية الحديث بالسماع، واختلفوا في صحة روايته بطريق المناولة أو المكاتبة، فمنهم من أجازها ومنهم من لم يجوزها، قال ابن حجر: وأقول: شرط قيام الحجة بالمكاتبة أن يكون الكتاب مختومًا وحامله مؤتمنًا، والمكتوب إليه يعرف خط الشيخ، إلى غير ذلك من الشروط الدافعة لتوهم التغيير، والله أعلم.

والعرب كانوا أمة أمية يندر فيهم من يعرف الكتابة، ومن يعرفها منهم قد لا يتقنها فيتطرق إلى مكتوبه احتمال الخطأ احتمالاً قويًا، وإذا اتقن الكاتب فقد لا يتقن قراءتها القارئ منهم فيقع اللبس والخلط خصوصًا قبل وضع قواعد النقط والشكل والتمييز بين الحروف، لذلك كان جل اعتمادهم في سائر أحوالهم على الحفظ حتى قويت هذه الملكة عندهم، وندر أن يقع منهم خطأ أو نسيان لما حفظوه، وهذا مشاهد فيما بيننا، فإننا نجد الأعمى أقوى حفظًا لما يسمعه من البصير لأنه جعل كل اعتماده على ملكة الحفظ.

والأخبار التي تدل على قوة الحفظ عند العرب كثيرة يعلمها الخاصة والعامة، ولقد كان كثير من الصحابة والتابعين مطبوعين على الحفظ مخصوصين بذلك كابن عباس والشعبي والزهري والنخعي وقتادة... إلى غير ذلك.

ولقد حفظ ابن عباس قصيدة عمر بن أبي ربيعة، التي مطلعها:

أمن آل نعم أنت غادٍ فمبكرُ
غداة غدٍ أم رائحٌ فمهجرُ

في سمعة واحدة، وهي خمسة وستون بيتًا، وتعجب رضي الله عنه لمن لم يحفظها من أول مرة.

-وما جاء عن الزهري أنه كان يقول: إني لأمر بالبقيع فأسد آذاني مخافة أن يدخلها شيء من الخنا، فوالله ما دخل أذني شيء قط فنسيته، وقد جاء نحوه عن الشعبي، والشافعي وغيرهم.

وقد جاء عن بعض الأعراب: حرف في تامورك (قلبك) خير من عشرة في كتبك.

خامسًا: القطع بالقرآن إنما حصل بالتواتر اللفظي:

العمدة في قطعنا بالقرآن وبجمع ألفاظه إنما هو التواتر اللفظي، وهو وحده كاف في ذلك والكتابة لا دخل لها في هذا القطع ولم يتوقف عليها ولم ينشأ منها.

قال ابن الجزري: إن الاعتماد في نقل القرآن على حفظ القلوب والصدور، لا على حفظ المصاحف والكتب، وهذه أشرف خصيصة من الله تعالى لهذه الأمة.

وهذا يستدعي سؤالا هامًا هو: ما الحكمة إذن في أمره ﷺ بكتابة القرآن؟ طالما أن الكتابة ليست مفيدة للقطع، وأن حجية القرآن ليست منشؤها الكتابة، فما الحكمة إذن في هذا الأمر؟ وما الحكمة في أنه لم يأمر بكتابة السنة؟

الحكمة في كتابة القرآن:

١- بيان ترتيب الآيات ووضعها بجانب بعضها البعض بعض، فإنه بالاتفاق بين العلماء فإن ترتيب الآيات توقيفي نزل به جبريل عليه السلام، وكذلك ترتيب السور فإنه أيضًا توقيفي على الراجح.

٢- زيادة التأكيد، فإن الكتابة طريق من طرق الإثبات، وهي وإن كانت أضعف من السماع، فضلاً عن التواتر اللفظي، إذا انضمت إلى ما هو أقوى منها في الإثبات زادت قوة على قوة، فاحتيج إلى زيادة التأكيد في القرآن لكونه كتاب الله تعالى، وأعظم معجزة للنبي ﷺ، ولكونه أساس الشريعة الإسلامية وإليه ترجع سائر الأدلة الشرعية في ثبوت اعتبارها في نظر الشارع، وثبتت به جميع العقائد الدينية، التي لابد منها وأمهات الأحكام الفرعية.

ولكونه قد تعبدنا الله- تعالى- بتلاوة لفظه في الصلاة وغيرها، لم يجز لنا أن نبدل حرفًا منه بحرف آخر.

ولهذه الأمور وغيرها اهتم الشارع بإثباته للناس إلى يوم الدين بجميع الطرق الممكنة التي يتأتى بها الإثبات، قويها وضعيفها للمحافظة على لفظه ونظمه.

كما أنه قد حافظ على معناه بالسنة المبينة له الدافعة لعبث العابثين به.

ولما لم تكن السنة بهذه المثابة فلا ترتيب بين الأحاديث بعضها البعض، وليست بمعجزة، ولم يتعبدنا الله- تعالى- بتلاوة لفظها.

وأجاز لنا أن روايته بالمعنى ما دامت المحافظة على المعنى متحققة (على الراجح بضوابطه)، حيث إن المقصود بالسنة بيان الكتاب وشرح الأحكام.

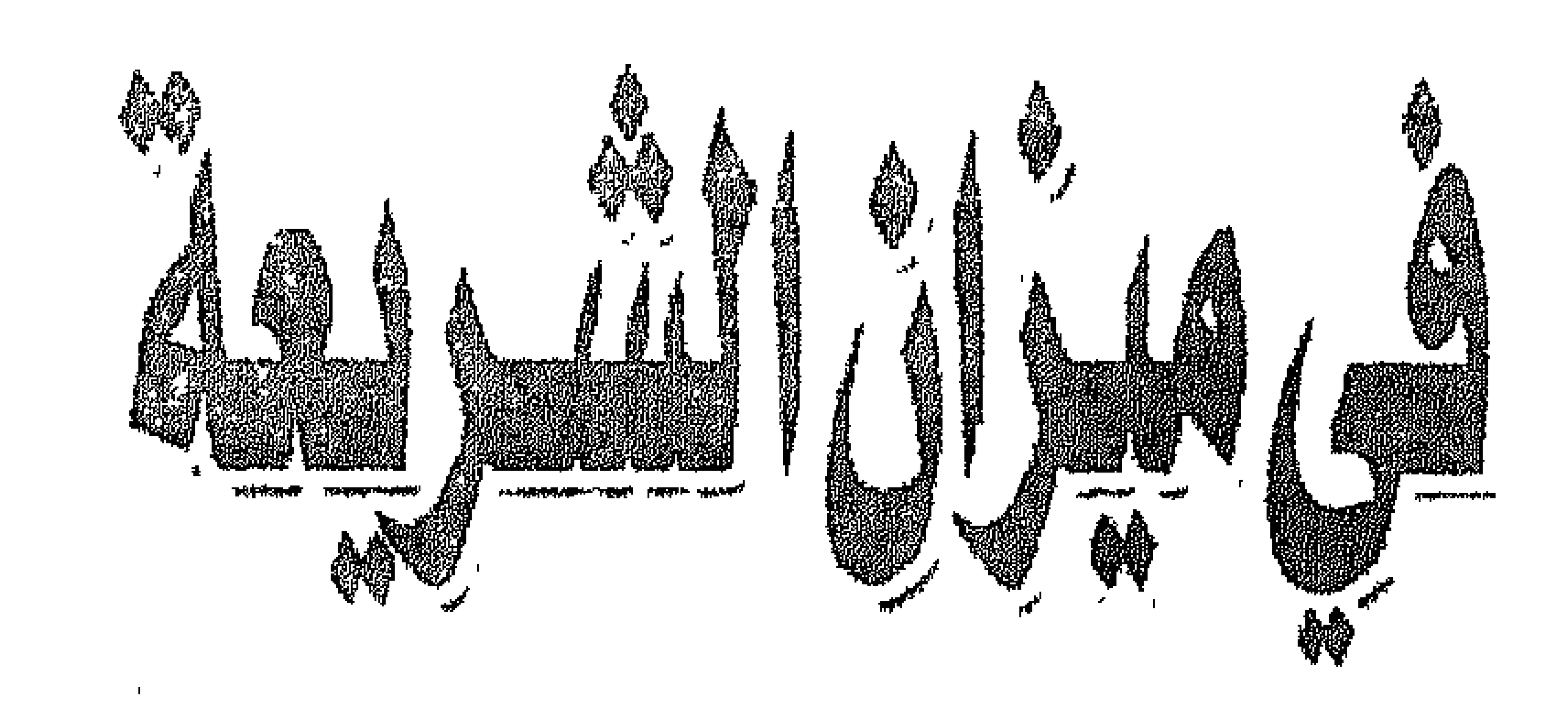
وهذا المقصود يكفي فيه فهم المعنى والتأكد منه، سواء كان بنفس اللفظ الصادر عن رسول الله ﷺ أم بغيره.

هذا مع ملاحظة الفرق الشاسع بين حجية القرآن وحجية السنة التي من وظيفتها الشرح والبيان له، والشرح عادة أكبر حجمًا من المشروح.

وما كان صغير الحجم أمكن في العادة نقله بجميع الطرق بخلاف كبيره فإنه من المتعذر تحصيل جميع الطرق فيه خصوصًا من أمة أمية كالعرب، وخصوصًا إذا لاحظنا أن السنة ليست هي أقوال النبي ﷺ فقط بل هي أقواله وأفعاله وتقريراته وإشاراته وهمه وتركه (كما سبق بيان ذلك في مقالة سابقة) [الرد على من ينكر حجية السنة بتصرف، د. عبد الغني عبد الخالق]

وللحديث بقية إن شاء الله تعالى.





○ الحلقة الأولى ○

إعداد
معاوية محمد هيكل

الحمد لله الذي اكمل لنا الدين وأتم علينا النعمة، والصلاة والسلام على سيد المرسلين ونبي الأمة وبعد..

في سلسلة حديثنا عن الغلو وخطره على العقيدة والشريعة نعرض في هذا المقال للغلو في العبادة عند الصوفية، وقبل الشروع في المقصود نتناول أولا أسس العبادة وركائزها في الكتاب والسنة فنقول مستعينين بالله عز وجل:

إن العبادة التي شرعها الله سبحانه وتعالى تنبني على أصول وأسس ثابتة تتلخص فيما يلي:

أولاً: أنها توقيفية-بمعنى: أنه لا مجال للرأي فيها-بل لا بد أن يكون المشرع لها هو الله سبحانه وتعالى،كما قال تعالى لنبيه ﴿فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلاَ تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [هود:١١٢]، وقال تعالى: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِنَ الأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلاَ تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لاَ يَعْلَمُونَ﴾ [الجاثية:١٨] وبيَّن ما ينبغي لنبيه نحو العبادة فقال: ﴿إِنْ أَتَّبِعُ إِلاَّ مَا يُوحَى إِلَيَّ﴾ [الأحقاف:٩].

ثانيا: لا بد أن تكون العبادة خالصة لله تعالى من شوائب الشرك كما قال الله تعالى: ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحًا وَلاَ يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [الكهف:١١٠].

فإن خالط العبادة شئ من الشرك حبطت كما قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام:٨٨] وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ × بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ [الزمر:٦٥-٦٦].

ثالثا: لا بد أن يكون القدوة في العبادة والمبيّن لها رسول الله ﷺ كما قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ [الأحزاب:٢١] وكما قال تعالى: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ [الحشر:٧].

وقال النبي ﷺ: «من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد» وفى رواية: «من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد»، وقوله ﷺ: «صلوا كما رأيتموني أصلي»، وقوله ﷺ: «خذوا عني مناسككم»، إلى غير ذلك من النصوص.

رابعا: أن العبادة محددة بمواقيت ومقادير لا يجوز تعديلها ولا تجاوزها.

كالصلاة مثلاً، وقال تعالى: ﴿إِنَّ الصَّلاَةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا﴾ [النساء:١٠٣].

وكالحج، قال تعالى: ﴿الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ﴾ [البقرة:١٩٧].

وكالصيام قال تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ

﴿فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾ [البقرة:١٨٥].

خامسًا: لابد أن تكون العبادة قائمة على محبة الله تعالى والذل له وخوفه ورجائه، وقال تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ﴾ [الإسراء:٥٧] وقال تعالى عن أنبيائه: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾ وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ * قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ﴾ [آل العمران:٣١-٣٢].

فذكر سبحانه وتعالى علامات محبة الله وثمراتها:

أما علاماتها: فاتباع الرسول ﷺ وطاعته.

وأما ثمراتها: فنيل محبة الله سبحانه وتعالى ومغفرة الذنوب والرحمة منه سبحانه.

سادسًا: إن العبادة لا تسقط عن المكلف من بلوغه عاقلاً إلى وفاته، قال تعالى: ﴿وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران:١٠٢] ﴿وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾ [الحجر:٩٩].

وعندما نتعمق في تعاليم الصوفية وأقاويلهم المنقولة عنهم والمأثورة في كتبهم نرى بونا شاسعاً بينها وبين تعاليم القرآن والسنة، وكذلك لا نرى جذورها وبذورها فى سيرة سيد الخلق محمد ﷺ وأصحابه الكرام البررة خيار خلق الله.

للصوفية-خصوصا المتأخرين منهم-منهج فى الدين والعبادة يخالف منهج السلف ويبتعد كثيراً عن الكتاب والسنة، ذلك أنهم قد بنوا دينهم وعبادتهم على رسوم ورموز واصطلاحات اخترعوها، نذكر منها ما يلي:

١- التزام أذكار وأوراد مبتدعة:

من دين الصوفية التزام أذكار وأوراد يضعها لهم شيوخهم فيتقيدون بها ويتعبدون بتلاوتها، وربما فضلوا تلاوتها على تلاوة القرآن الكريم، ويسمونها ذكر الخاصة.

وأما الذكر الوارد فى الكتاب والسنة فيسمونه: ذكر العامة.فقول: لا اله إلا الله، عندهم هو ذكر العامة وأما ذكر الخاصة فهو الاسم المفرد.. «الله» وذكر خاصة الخاصة «هُو».

وقد رد شيخ الإسلام ابن تيمية على مزاعم هؤلاء وشبهاتهم التي استندوا عليها فقال رحمه الله: ومن زعم أن هذا- أي: قول لا إله إلا الله ذكر العامة وأن ذكر الخاصة هو الاسم المفرد وذكر خاصة الخاصة «هو»: أي الاسم المضمر، هو ضال مضل.

واحتجاج بعضهم بقوله تعالى: ﴿قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذرهم فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ﴾ من أبين غلط هؤلاء بل من تحريفهم للكلم عن مواضعه، فإن الاسم «الله» مذكور فى الأمر بجواب الاستفهام فى الآية قبلها وهو قوله: ﴿قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى لِلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا

●● عندما نتأمل في تعاليم الصوفية وأقوالهم المنقولة عنهم في كتبهم نجد بونًا شاسعًا بينها وبين تعاليم القرآن والسنة.

●● من دين الصوفية التزام أذكار وأوراد يضعها لهم شيوخهم يتقيدون بها ويتعبدون بتلاوتها.

●● من زعم أن «لا إله إلا الله» هي ذِكر العامة، وأن ذِكر الخاصة هو الاسم المفرد «الله»، وذِكر خاصة الخاصة كلمة «هو» فهو ضالٌ مضل.

وَعُلِّمْتُمْ مَا لَمْ تَعْلَمُوا أَنْتُمْ وَلاَ آبَاؤُكُمْ قُلِ اللَّهُ ﴾ [الأنعام ٩١]، أي الله هو الذي أنزل الكتاب الذي جاء به موسى.

فالاسم «الله» مبتدأ خبره دل عليه الاستفهام كما في نظائر ذلك تقول، من جارك؟ فيقول: زيد وأما الاسم المفرد مظهراً ومضمرا فليس بكلام تام ولا جملة مفيدة ولا يتعلق به إيمان ولا كفر ولا أمر ولا نهى ولم يذكر ذلك أحد من سلف الأمة ولا شرع ذلك رسول الله ﷺ ولا يعطي القلب نفسه معرفة مفيدة ولا حالا نافعًا وإنما يعطيه تصورًا مطلقا لا يحكم فيه بنفى ولا إثبات إلى أن قال: وقد وقع بعض من واظب على هذا الذكر بالاسم المفرد وبـ «هو» فى نوع من الإلحاد وانواع من الاتحاد وما يذكر عن بعض الشيوخ فيما قال أخاف أن أموت بين النفى والإثبات حال لا يقتدي فيها بصاحبها فإن في ذلك من الغلط ما لا خفاء فيه إذ لو مات العبد فى هذه الحال لم يمت إلا على ماقصده ونواه، إذ الأعمال بالنيات وقد ثبت أن النبى ﷺ أمر بتلقين الميت لا إله إلا الله وقال: «من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة» ولو كان ما ذكره محظورا لم يلقن الميت كلمة خافوا أن يموت فى أثنائها موتا غير محمود. بل كان ما اختاره من ذكر الاسم المفرد.

والذكر بالاسم المضمر ابعد عن السنة وأدخل فى البدعة وأقرب إلى إضلال الشيطان فإن من قال: «ياهو ياهو» أو «هو هو» ونحو ذلك لم يكن الضمير عائدا إلا إلى مايصوره قلبه والقلب قد يهتدى وقد يضل وقد صنف صاحب الفصوص كتابًا سماه «الهو».

وزعم بعضهم ان قوله: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللَّهُ﴾ [آل عمران:٧] معناه وما يعلم تأويل هذا الاسم الذى هو «الهو» وهذا مما اتفق المسلمون، بل العقلاء على أنه من أبين الباطل، فقد يظنه هذا من يظن من هؤلاء حتى قلت لبعض من قال شيئًا من ذلك لو كان هذا كما قلته لكُتِبتَ الآية «وما يعلم تأويل «هو» منفصلة أي كُتبت "هو " منفصلة عن كلمة تأويل.

كيفية الذكر الصوفي

في مناسك الذكر الصوفي يفرض علي الذاكر أن يستحضر شيخه، وأن يستمد منه عند الشروع فيه فيقول: مددك يا أستاذي وأن يرى أن استمداده منه، عين استمداده منه ﷺ، فإنه الواسطة إليه، وأن يستأذن شيخه بقلبه، فيقول: دستور يا أستاذي وأن يستأذن أصحاب الطريق والقدم، فيقول دستور يا أصحاب الطريق والقدم.

[رسالة منحة الأصحاب (ص٨٦)]

يقول العلامة الشيخ عبد الرحمن الوكيل: وهكذا توجب الصوفية علي «الدرويش أن يتلطخ بهذه الوثنية قبل أن يذكر الله، وأن يستأذن كل هذه الأصنام، ليتقبل الله ذكره، ويغمره برضاه!! حجب صماء تمور حولها الدياجير، وقصف الأعاصير، تضعها الصوفية في طريق السالك. حتي لا يري شعاعة من نور!!.

وأما كيفية الذكر فهي «أن يهتز من فوق رأسه إلي أصل قدميه، وأن يبدأ بـ «لا» يميناً، ويرجع بـ «إله» فيتوسط، ويختم «إلا الله» يساراً قبلة القلب، فإن ذكر اسمه مفرداً كـ «الله» و «هو» ضرب بذقنه علي صدره، وأن يذكر مع جماعة مع رفع الصوت، وينتع الكلمة من سرته إلي قلبه».

[رسالة منحة الأصحاب (ص٨٦)]

هذه هي صورة الذكر الصوفي وما هكذا ذكر الرسول ربه، وما هكذا ذكر الصحابة من بعده ربهم، ما ذكروه باسمه المفرد، ولا ذكروه في ميل وتأوه، ما ذكروه بقيادة واحد منهم ينطق بالاسم مصفقاً، وينطقون به وراءه، وما ذكروه ولهم منشد، وما ذكروه وأصواتهم من ضجيجها تفزع الليل، وتصك جنباته، ما ذكروه بالنايات والطبول والدفوف. ولكنهم ذكروه كما علمهم رسوله ﷺ أما من ذَكَرَ الله ذِكْر الصوفية، فهم مشركوا الجاهلية. قال تعالي: ﴿وما كان صلاتهم عند البيت إلا مكاء وتصدية﴾ أو عبدة العجل في اليهودية.

[هذه هي الصوفية: عبد الرحمن الوكيل]

مثال من أوراد الذكر الصوفي

أخي القارئ: أسوق لك مثالاً واحدًا لتتضح لك الحقيقة وينكشف لك منهج القوم.

يقول ابن مشيش في صلاته المشهورة على الرسول ﷺ : «اللهم إنه سرك الجامع الدال عليك وحجابك الأعظم القائم لك بين يديك.. وزج بي في بحار الأحدية، وانشلني من أوحال التوحيد، وأغرقني في عين بحر الوحدة حتى لا أرى ولا أسمع ولا أجد ولا أحس بها، واجعل الحجاب الأعظم حياة روحي وروحه، سر حقيقي وحقيقته جامع عوالمي، بتحقيق الحق الأول... واجمع بيني وبينك، وحل بيني وبين غيرك». [الحزب الكبير للدسوقي]

سبحانك هذا بهتان عظيم، وهل هذا ذكر ودعاء أم كذب وزور وافتراء.

وفي هذا الدعاء المزعوم من الكفر والضلال شيء عظيم لا يخفى على من عنده أي إلمام بشيء من علوم الدين فقوله «وزج بي في بحار الأحدية وانشلني من أوحال التوحيد، وأغرقني في عين بحر الوحدة» تصريح واضح لعقيدة ابن مشيش ومن على شاكلته من أهل وحدة الوجود الذين يسمون التوحيد أوحالا!!

والعجيب بعد كل هذا أنهم إذا سُئلوا من أين لكم بهذه الخرافات التي تسمونها أذكارًا؟ يقولون كما قال أبو الحسن الشاذلي عند ما سئل عن شيخه الذي أخذ عنه العلم فقال: أما فيما مضى فكان سيدي عبد السلام بن مشيش، «وأما الآن فأستقي من عشرة أبحر خمسة سماوية وخمسة أرضية، أما السماوية فجبريل وميكائيل وإسرافيل وعزرائيل والروح، وأما الأرضية فأبو بكر وعمر وعثمان وعلي والنبي».

[انظر الفكر الصوفي/ الشيخ عبد الرحمن عبد الخالق]

إنها خرافات وضلالات ما أنزل الله بها من سلطان تشوه جمال هذا الدين وتعكر صفوه وبهاءه، وبهذه الصورة تنتشر العقائد الهدامة والمبادئ الفاسدة في صفوف الأمة، ولا حول ولا قوة إلا بالله، فاللهم رحمتك بنا.

الأذكار النبوية المباركة

تأمل أخي القارئ في نور الوحي وجلاله من خلال جمال الذكر النبوي: قال رسول الله ﷺ : «سيد الاستغفار أن تقول: اللهم أنت ربي، لا إله إلا أنت خلقتني وأنا عبدك وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت أعوذ بك من شر ما صنعت أبوء لك بنعمتك علي وأبوء بذنبي فاغفر لي فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت».

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان رسول الله ﷺ يقول إذا قام إلى الصلاة من جوف الليل: «اللهم لك الحمد، أنت نور السماوات والأرض ومن فيهن، ولك الحمد، أنت قيوم السماوات والأرض ومن فيهن، ولك الحمد، أنت رب السماوات والأرض ومن فيهن، ولك الحمد، أنت الحق، ووعدك الحق، وقولك الحق، ولقاؤك حق، والجنة حق، والنار حق، والنبيون حق، ومحمد ﷺ حق، والساعة حق، اللهم لك أسلمت، وبك آمنت، وعليك توكلت، وإليك أنبت، وبك خاصمت، وإليك حاكمت، فاغفر لي ما قدمت، وما أخرت، وما أسررت وما أعلنت، أنت إلهي لا إله إلا أنت ولا حول ولا قوة إلا بك». متفق عليه.

أرأيت إلى هذا الذكر النبوي الجامع؟ إنها ضراعة النبوة والعبودية الخالصة تفتحت لها أبواب السماء، ما فيه ذكر مفرد، ولا ضرب صدر بذقن ولا هزة الرأس إلى أخمص القدم، وما فيه التناوح بالرأس يمنة ويسرة، ولا نتع من سرة إلى قلب، ما فيه منشد ولا دف، ما فيه دائرة يقف في مركزها نُصُب يُرَقِّص الذاكرين بتصديته إنما فيه قلب مؤمن ضارع، ملأه حب الله خشية ورهبة وتقوى يتوجه إلى خالقه الأعظم، مالك الملك كله في إيمان صادق، وتوحيد خالص، فصلوات الله على محمد عبد الله ورسوله.

والله من وراء القصد، وللحديث بقية إن شاء الله تعالى.



ركن الأسرة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن تبع هداه، وبعد:

فإن الإيمان بالله سبحانه أمر وقر في قلوب الموحدين، وصدقته أعمال جوارحهم بيقين، وقد أخبر سيد المرسلين صلوات الله وسلامه عليه وعليهم أجمعين؛ بأن الإيمان بضع وسبعون شعبة أو بضع وستون شعبة، فأفضلها قول لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان.

والأسرة المسلمة حينما تتعرف على شُعَب الإيمان من خلال كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ فإنها تحقق بذلك الفريضة الواجبة وهي طلب العلم الشرعي، فإذا أتبعت بذلك العلم العمل فقد أطاعت ربها سبحانه وعرفت حقه عليها، خاصة حينما يصلهم نداء العليم الخبير ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لاَ تَفْعَلُونَ (٢) كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لاَ تَفْعَلُونَ﴾ [الصف:٢-٣].

تلك الأسرة التي تعرف الهدف الذي من أجله خلقها الله، ومن ثم تسعى لتحقيق ذلك الهدف لتنال عند الله تعالى سعادة الدارين.

قال سبحانه: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [النحل:٩٧].

أيها المربي.. إياك والحرام

هل تستطيع أن تنقي معاشك ومأكلك ومشربك وملبسك أنت وأهلك من الحرام حتى لا تكون مستحلا لما حرم الله تعالى؟ وقد قال سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ...﴾ [النساء:٢٩] إنك يا أخي قد تعمل في مدرسة، أو تشتغل في مؤسسة، أو يأتمنك أهل الإسلام على خزانة أو مخازن لطعامهم أو شرابهم أو مرافقهم، فلا تحسب أنك قد وقعت على كنز، إنما في الحقيقة أنت وقعت على بلاء وفتنة، قال الله سبحانه: ﴿إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلاَدُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ [التغابن:١٥].

فاحذر فتنة المال وتجنب التعدي على أنصبة الناس ومستحقاتهم، أو التطلع إلى ما في أيديهم، فـ «كل المسلم على المسلم حرام، دمه وماله وعرضه». [مسلم].

ومثل هذا الحديث الشريف المنيف تحذير من بشير نذير، وَصَفَهُ العلي القدير بقوله جل شأنه: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [التوبة:١٢٨].

هذا النبي الحريص على أمته يحذرها أيضا في مثل هذا الحديث التالي: عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قام فينا رسول الله ﷺ ذات يوم خطيبا، فذكر





الغلول (المال والمتاع المسروق) فعظَّمه وعظَّم أمره قال: «لا ألفين أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته بعير له رغاء (صوت البعير) يقول: يا رسول الله أغثني، فأقول: لا أملك لك شيئًا قد أبلغتك. لا ألفين أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته فرس له حمحمة (صوت الفرس دون الصهيل) فيقول: يا رسول الله أغثني فأقول: لا أملك لك شيئا قد أبلغتك، لا ألفين أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته شاة لها ثغاء (صوت الغنم) يقول: يا رسول الله أغثني، فأقول: لا أملك لك شيئًا قد أبلغتك، لا ألفين أحدكم يأتي يوم القيامة على رقبته نفس لها صياح فيقول: يا رسول الله أغثني فأقول: لا أملك لك شيئًا قد أبلغتك، لا ألفين أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته رقاع تخفق فيقول رسول الله أغثني فأقول: لا أملك لك شيئًا قد أبلغتك، لا ألفين أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته صامت فيقول: يا رسول الله أغثني؛ فأقول: لا أملك لك شيئًا قد أبلغتك». [مسلم والبخاري وغيرهما]

فانظر يا أخي كيف عدَّد النبي ﷺ صنوفًا من المسروقات من مال المسلمين، ونهى بقوله: «لا ألفين» يعني نهيه ﷺ عن أن يقابله أحد يوم القيامة بهذه الصورة المخزية التي قد أخبر الله تعالى بها في كتابه بقوله ﴿..وَمَنْ يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ..﴾ [آل عمران:١٦١] فالنبي ﷺ يحرص على أمته من يوم الفضائح والقبائح فيحذر من الإتيان على هذه الصورة المهينة والحال الشنيعة التي لا يحب النبي ﷺ أن يرى أصحابها عليها يوم القيامة، وهو القائل في حديث آخر: «إياكم والغلول فإنه عار على أهله يوم القيامة» فيقول يا رسول الله؛ أغثني أي من هذا الكرب فيقول ﷺ: «لا أملك لك شيئا» أي من المغفرة لأن الشفاعة أمرها إلى الله ﴿قُلْ لِلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا﴾ [الزمر:٤٤] ويقول: «قد أبلغتك» أي فليس لك عذر بعد البلاغ. ومن أصناف تلك المسروقات المغلولة: البعير يرغو، والفرس له صوت دون الصهيل، والشاة تثغو وتيعر وتصيح، والرقاع تخفق وهي الثياب المسروقة، والنفس لها صياح وهي ما غَلَّهُ من الرقيق من امرأة وصبي. ثم ختم بقوله: «على رقبته صامت» قال ابن حجر في فتح الباري قوله «صامت» أي الذهب والفضة، وقيل ما لا روح فيه من أصناف المال». انتهى.

وقس على ذلك أصحاب الملايين من الدنانير والدراهم ويدخل في قوله «صامت» كل ما كان صامتا من حديد ومواد البناء والطعام ومتاع المسلمين وغير ذلك، فانظر - رحمك الله - كم يحملون على رقبة أحدهم؟

قال المهلب: «هذا الحديث وعيد لمن أنفذه الله عليه من أهل المعاصي، ويحتمل أن يكون حمل هذه الأشياء المذكورة لابد منه عقوبةً له بذلك ليفتضح على رءوس الأشهاد وأما بعد ذلك فإلى الله الأمر في تعذيبه أو العفو عنه.

يا ويح أهل الحمق ممن يفعلون ذلك ويجعلون أول مقابلة لهم في قبورهم تحية نارية من رب البرية، فقد أخرج البخاري أن رجلا يقال له كركرة كان على متاع النبي ﷺ يعني كان يخدم النبي ﷺ فمات فقال رسول الله ﷺ: «هو في النار» فذهبوا ينظرون إليه، أي إلى متاعه، فوجدوا عباءة قد غلها.

وعند مسلم والبخاري وغيرهما أيضا أن أبا هريرة رضي الله عنه قال: خرجنا مع النبي ﷺ إلى خيبر ففتح الله علينا فلم نغنم ذهبا ولا وَرِقًا، غنمنا المتاع والطعام والثياب ثم انطلقنا إلى الوادي ومع رسول الله ﷺ عبدٌ له، .. فلما نزلنا الوادي قام عبد رسول الله ﷺ يحل رحله فرُمي بسهم فكان فيه حتفه (موته) فقلنا: هنيئا له بالشهادة يا رسول الله؛ قال رسول الله ﷺ: كلا؛ إن الشملة لتلتهب عليه نارًا، أخذها من الغنائم يوم خيبر لم تصبها المقاسم»، قال: ففزع الناس، فجاء رجل بشراك أو شراكين (وهو رباط الحذاء) فقال: يا رسول الله؛ أصبتُ يوم خيبر، فقال ﷺ: «شراك من نار أو شراكان من نار» هذه رواية مسلم (١/١١٥).

قال ابن عبد البر في التمهيد ٢/٢١: ففي قوله هذا كله دليل على تعظيم الغلول وتعظيم الذنب فيه

ركن الأسرة

وأظن حقوق الآدميين كلها كذلك في التعظيم، وإن لم يقطع على أنه يأتي به حاملا له كما يأتي بالغلول والله أعلم.

فماذا سيصنع من يسرقون أموال الناس وأقوات الناس، ويركزون في السرقة على الأموال العامة وأموال بيوت المال لا يخافون في ذلك وعيد الله لأمثالهم؟!

أيتها المربية المسلمة

قال رسولنا ﷺ: «رحم الله امرأة قامت من الليل فصلّت وأيقظت زوجها فصلى، فإن أبي نضحت في وجهه الماء» [صحيح الجامع ح٣٤٩٤ عن أبي هريرة]

هذا الكلام العظيم قاله سيد البشر ﷺ لمّا علم من كلام ربنا العظيم فضيلة السجود والقيام بين يدي الله تعالى في الليل.

قال الله تعالى: ﴿أَمْ مَنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ...﴾ [الزمر:٩]. ها هي حفصة بنت سيرين الأنصارية العالمة الزاهدة العابدة تحفظ القرآن وهي بنت ثنتي عشرة سنة، وعاشت سبعين سنة، عمرت كلها بالعبادة والقرآن، مكثت حفصة بنت سيرين ثلاثين سنة لا تخرج من مصلاها إلا لقائلة - الراحة وقت القيلولة - أو قضاء حاجة كما قال عنها مهدي بن ميمون. ويقول عنها إياس بن معاوية: ما أدركت أحدًا أفضله عليها.

وليس معنى هذا دعوة النساء إلى الرهبنة، «فلا رهبانية في الإسلام»(١)، فالإسلام لا يدعو إلى التبتل والانقطاع وترك الأعمال والتربية والخدمة وغير ذلك من الأمور الاجتماعية والحياتية، لكن لا يبغي أحدها على الآخر.

ونموذج آخر هو امرأة رياح بن عمرو القيسي وهو رجل صالح أراد أن يختبر عزيمة امرأته على قيام الليل، فتناوم، فقامت هي تصلي وأيقظته، فادّعى التثاقل وأنه سيقوم، فكررت إيقاظه بعدما مضى ربع الليل، وهكذا إلى أن مضى الليل ولم يقم، فقالت: مضى الليل وعسكر المحسنون وأنت نائم! ليت شعري من غرَّني بك يا رياح، من غرني بك(٢)؟

إن هذه المرأة ما هي إلا نموذج عملي لقول النبي ﷺ «رحم الله امرأة قامت من الليل فصلت، وأيقظت زوجها فصلى، فإن أبي نضحت في وجهه الماء»(٣) أي رشت عليه من الماء.

وامرأة رياح تأسف على زواجها منه لمّا رأته لا يقيم الليل، فعلى أي شيء تأسفين في زوجك أيتها المسلمة؟ ألأنه فقير، أم لأنه لا يمتلك سيارة، أم لأنه ليس من أسرة عريقة مرموقة، أم لأنه ضعيف في دينه؟! هذه الأخيرة التي نريد أن تكون مصدر قلق وانزعاج المسلمة العاقلة.

عفة وذكاء وحسن تصرف

ذكر ابن القيم رحمه الله تعالى في كتابه الجواب الكافي «أن رجلا كان واقفًا بإزاء داره(٤)، وكان بابها يشبه باب حمّام منجاب(٥)، فمرت جارية لها منظر، فقالت له: أين الطريق إلى حمام منجاب؟ فأشار إلى بيته وقال لها: هذا حمام منجاب، فدخلت الدار - وهي لم تعرف أنه خدعها - ودخل وراءها، فلما رأت نفسها في داره وعلمت أنه قد خدعها، أظهرت له البشرى والفرح باجتماعها معه، وقالت له: يصلح أن يكون معنا ما يطيب به عيشنا وتقرُّ به عيوننا، فقال لها: الساعة آتيك بكل ما تريدين وتشتهين، وخرج وتركها في الدار ولم يغلقها، فأخذ ما يصلح ورجع فوجدها قد خرجت وذهبت..»(٦).

سبحان الله! رغم أنها وقعت في ورطة عظمى، ومصيبة كبرى، لكنها بما تتمتع به من عفة وحياء، وغيرة على العرض والشرف؛ وذكاء وثبات، ورجاحة عقل وهدوء أعصاب استطاعت بتوفيق الله أن تنجو من هذا المأزق المهين كما تخرج الشَّعْرةُ من العجين، ولو أنها ارتبكت، وصاحت وبكت؛ لحاول الخبيث كَتْم فمها وأنفاسها، ثم قام بافتراسها، ليفعل بها ما يريد، وليقضي على الأخضر واليابس من عرضها وشرفها، نسأل الله تعالى أن يعافي بنات المسلمين من مثل ذلك الخائن اللئيم.

طفلنا المسلم

أبناء السلف وحفظهم الحديث عن رسول الله ﷺ

أنشد أبو الفضل العباس بن محمد الخراساني يقول:

رحلتُ أطلبُ أصلَ العلم مُجتهدًا
وزينةُ المرء في الدنيا الأحاديثُ
لا يَطلبُ العلمَ إلا بازلٌ ذكَرٌ
وليس يُبغضُهُ إلا المخانيثُ
لا تُعجبنّ بمالٍ سوف تَتركُهُ
فإنما هذه الدنيا مواريثُ

قــال زيد بن هـارون لحــمــاد بن زيد: يا أبا إسماعيل؛ هل ذكر الله تعالى أصحاب الحديث في القرآن؟ فقال: نعم، ألم تسمع إلى قوله عز وجل: ﴿ فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ ﴾ [النساء:١٢٢]؟ فهذا في كل من رحل في طلب العلم والفقه ورجع به إلى من وراءه فعلمه إياه.

وعن عكرمة مولى ابن عباس في قوله تعالى: ﴿ السَّائِحُونَ ﴾ قال: هم طلبة الحديث.

قلت: ورد هذا اللفظ في سورة «التوبة» في قول الله تعالى: ﴿ التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ ﴾ [التوبة:١١٢].

قال عبد الرحمن بن محمد بن حاتم: بلغني قول أحدهم: إن الله تعالى يرفع البلاء عن هذه الأمة برحلة أصحاب الحديث. وهذه طائفة من أصحاب الحديث:

١. ابن عباس:

هذا عبد الله بن العباس بن عبد المطلب؛ أبو العباس، ولد في الشِّعب؛ وبنو هاشم محصورون قبل خروجهم منه بيسير، وذلك قبل الهجرة بثلاث سنين، وتوفي النبي ﷺ وهو ابن ثلاث عشرة سنة، وكان حبر الأمة، ويسمى البحر؛ لغزارة علمه، وكان عمر وعثمان رضي الله عنهما يدعوانه فيشير عليهما مع أهل بدر، وكان يفتي في عهدهما إلى أن مات(٧). انتهى.

ولا تكون الفتوى إلا عن علم وحفظ وإلمام بالكتاب والسنة، وهذا ما كان عليه ابن عباس رضي الله عنهما.

فهل لأبنائنا أبناء الإسلام قدوة في هؤلاء الأعلام هذا ما نرجوه إن شاء الله. وإلى لقاء.

---

(١) لا رهبانية في الإسلام، والرواية الصحيحة: «ولا تكونوا كرهبانية النصارى»، صحيح الجامع ح٢٩٤١ .
(٢) صفوة الصفوة ج٤ ص٤٤ . (٣) صحيح الجامع عن أبي هريرة ح٣٤٩٤ . (٤) بإزاء داره: باتجاهها أو بجوارها.
(٥) حمام منجاب: حمام كان مخصصًا للنساء. (٦) الجواب الكافي لابن القيم ص١٨٩ . (٧) صفوة الصفوة (٦٤٦/١).

اجتماع الجمعية العمومية

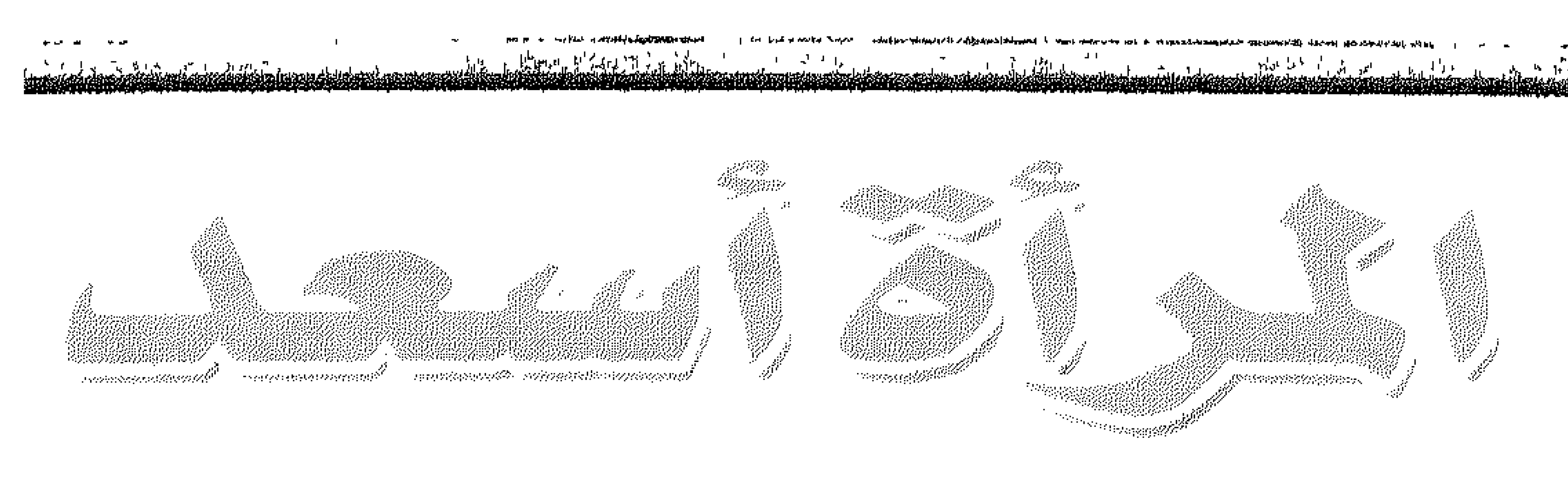
تم بحمد الله اجتماع الجمعية العمومية العادية للمركز العام لجمعية أنصار السنة المحمدية وذلك يوم الخميس التاسع عشر من ربيع الأول ١٤٢٦هـ الموافق ٢٨ / ٤ / ٢٠٠٥م.

وتم عرض جدول الأعمال على الجمعية العمومية والمتضمن:

١. عرض تقرير نشاط مجلس الإدارة عن عام ٢٠٠٤م.
٢. عرض حسابات الإيرادات والمصروفات والميزانية العمومية عن عام ٢٠٠٤م.
٣. تعيين مراقب حسابات عام ٢٠٠٥م وتحديد أتعابه.
٤. عرض مشروع الميزانية المقترحة عام ٢٠٠٥م.
٥. عرض التنازل عن المشروعات المقامة باسم المركز العام بالمحافظات لفروع الجماعة.

وقد انتهت الجمعية العمومية الساعة الثانية ظهراً، والحمد لله رب العالمين.

الأمين العام
أبو العطا عبد القادر



المرأة أسعد

الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب تبيانًا لكل شيء وهدى ورحمة للمسلمين، وأشهد أن لا إله إلا الله شرع فأحكم وهو أحكم الحاكمين، وصلاة وسلامًا على رسوله ونبيه الأمين.

لقد ظلم الجهال ومن في قلوبهم مرض هذا الدين ظنًا منهم أنه ظلم المرأة في تشريعاته بأن أعطاها نصف نصيب الذكر، وسلط عليها الرجل فيما يسمى القوامة، وجعل شهادتها نصف شهادة الرجل ورماها بالنقص في العقل والدين، ولكن المنصف لهذا الدين الحنيف يرى أن المرأة هي أسعد الناس حظًا بهذا الدين في جميع مراحل عمرها منذ ولادتها، وعلى المسلمة أن تعي هذا وتفهمه حتى لا تظن سوءًا بدينها أو شرع ربها وهدي نبيها ونذكر فيما يلي من سطور حفاوة هذا الدين بالمرأة منذ نعومة أظفارها:

أولاً: وهي بنت صغيرة:

فقد رقق الإسلام قلوب الأبوين نحوها عليها وجعل الإحسان إليها سببًا للنجاة من النيران والفوز بالجنان، فعن عائشة رضي الله عنها قالت: جاءتني امرأة ومعها ابنتان لها فسألتني فلم تجد عندي شيئًا غير تمرة واحدة فأعطيتها إياها فأخذتها فقسمتها بين ابنتيها ولم تأكل شيئًا ثم قامت فخرجت وابنتاها فدخل عليَّ النبي ﷺ فحدثته حديثها فقال النبي ﷺ: «من ابتلي من البنات بشيء فأحسن إليهن كن له سترًا من النار».

[مختصر مسلم برقم ١٧٦٠]

وتوعد الله سبحانه من أساء إليها بقتلها: ﴿ وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ * بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ ﴾ [التكوير: ٨، ٩]، يقول ابن كثير في تفسيرها: في يوم القيامة تسأل الموءودة: على أي ذنب قتلت ليكون ذلك تهديدًا لقاتلها فإنه إذا سُئل المظلوم فما ظن الظالم إذًا؟

وعن ابن عباس سئلت أي سألت أي طالبت بدمها. [ابن كثير (٤٧٨/٤)].

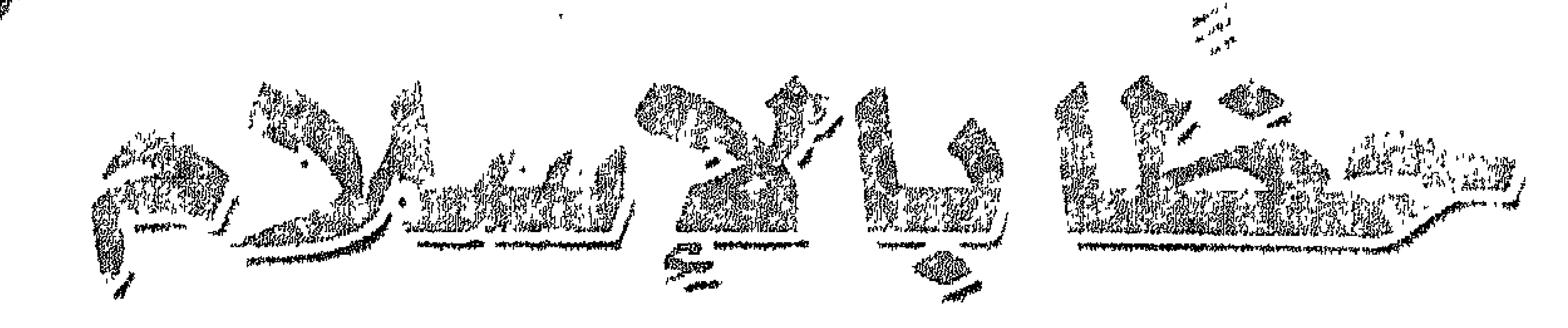
ويقول الشوكاني: إن توجيه السؤال إليها لإظهار كمال الغيظ على قاتلها حتى كأنه لا يستحق أن يخاطب ويسأل عن ذلك، وفيه تبكيت لقاتلها وتوبيخ له شديد.

[فتح القدير (٣٨٩/٥)]

وتصحبها حفاوة الإسلام حتى تبلغ الحلم لقول النبي ﷺ عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «من عال جارتين حتى تبلغا الحلم، جاء يوم القيامة أنا وهو»، وضم أصابعه. [مختصر مسلم برقم (١٧٦١)]

وإذا مات عائلها فلها الميراث والنصيب المفروض والمستقل لقوله تعالى: ﴿ لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ﴾ [النساء:٧].

فكانت العرب تحرم النساء من الإرث حرمانًا مجمعًا عليه بينهم، فجاء الإسلام بهذا النص القاطع وأفرد نصيب النساء وجعله حقًا قائمًا بذاته وليس مدرجًا ضمن نصيب الرجل، فقال تعالى: ﴿وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ﴾، وهذا النصيب للمرأة هو الجديد الذي جاء به الإسلام، فكان الرجل يرث قبل الإسلام وتحرم



إعداد
شوقي عبد الصادق

المرأة، فلما جاء الإسلام أعطاها نصف نصيب الرجل مهما كان صغرها فإذا كبرت وتزوجت أوجب نفقتها على زوجها وأوجب لها الصداق أيضًا فيصبح نصيبها من والديها احتياطيًا لها، فهي أسعد حظًا من أخيها الذي أخذ ضعفها لكن عليه صداق واجب لزوجته ونفقة واجبة لزوجته وأولاده، ومن ثم ظهرت حكمة الحكيم العليم في قوله تعالى: ﴿ يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الأُنثَيَيْنِ ﴾ [النساء:١١]، وإذا كبرت وصلحت للزواج فالكرامة محفوظة والرأي معتبر عند تزويجها لما رواه أحمد عن الليث بن سعد وصححه الألباني قال رسول الله ﷺ: «أشيروا على النساء في أنفسهن». فقال: إن البكر تستحي يا رسول الله؟ قال: «الثيب تعرب عن نفسها بلسانها، والبكر رضاها صماتها». [الصحيحة برقم (١٤٥٩)]، وفي غير الإسلام تكون المرأة كقطعة متاع لا رأي ولا مشورة أو أنها سائبة لا ولي لها ولا قيم عليها، أما حظها في الإسلام فمشورة واعتبار لرأيها فلتحمد الله أن رفعها من الضعة وأعزها من الذلة، وإذا لم يُقدر لها الزواج فهي أسعد حظًا من الرجل الذي لم يقدر له الزواج أيضًا لحديث عبادة بن الصامت أن رسول الله ﷺ عاد عبد الله بن رواحة فقال: أتدري من شهداء أمتي؟ قالوا: قتلُ المسلم شهادة، قال: إن شهداء أمتي إذًا لقليل! قتل المسلم شهادة والطاعون شهادة والمرأة يقتلها ولدها جمعاء شهادة [يجرها ولدها بسرره إلى الجنة]، وفي رواية جابر بن عتيك: «والمرأة تموت بُجْمع شهيدة». ذكر الحديثين الألباني رحمه الله في أحكام الجنائز وقال في المرأة الجمعاء هي التي تموت في بطنها ولد. وقيل: التي تموت بكرًا، والمعنى أنها ماتت مع شيء مجموع فيها غير منفصل عنها من حمل أو بكارة وقال: المراد هنا الحمل قطعًا.

[أحكام الجنائز للألباني (ص٥٣، ٥٤)]

فهذا حظ البنت؛ ترقيق للقلوب عليها وتخويف من إهدار حقوقها وبشارة بالجنة على الإحسان إليها وتجنيب لنصيبها من والديها وأقاربها ثم نيل الشهادة نصًا عند موتها بكرًا أو حاملاً.

ثانيًا: عندما تكون زوجة:

فهي بالإسلام أسعد الزوجين وبعيدة كل البعد عن الشقاء والكد لتحصيل المعاش وشاهد ذلك قوله تعالى: ﴿فَقُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلاَ يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى (١١٧) إِنَّ لَكَ أَلاَّ تَجُوعَ فِيهَا وَلاَ تَعْرَى (١١٨) وَأَنَّكَ لاَ تَظْمَأُ فِيهَا وَلاَ تَضْحَى﴾

[طه: ١٧- ١٩].

فالخارج من الجنة اثنان آدم وزوجه، أما الذي سيشقى واحد وهو آدم فعبر القرآن بقوله فتشقى ولم يقل فتشقيا كما قال يخرجنكما والشقاء هنا معناه تشقى في طلب رزقك وتحصيل ما لابد منه في المعاش كالحرث والزرع والرعي لأنه كان في عيش رغيد بلا كلفة ولا مشقة، ولذلك لما رأى موسى عليه السلام المرأتين خرجتا إلى سبيل من سبل الشقاء ورعاية المال أنكر عليهما بقوله: ﴿ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لاَ نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ﴾ [القصص: ٢٣]، لقد ظهر له أن هناك ضرورة للخروج، لأن الأب شيخ كبير ولا يوجد من يرعى المال فخرجتا، وعند خروجهما تأدبتا بأدب الإسلام فلم يزاحما الرجال: ﴿لاَ نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ﴾، ولما تهيأ من يمكنه القيام بهذه الأعمال ليصون المال والنساء ظهرت فطرة الله في المرأة التي

تحب القرار في البيت:
﴿ يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ ﴾ [القصص:٢٦]، فهو قوي على العمل الذي لا يناسبنا وأمين على المال مثلنا فقد حان وقت قرارنا في بيتنا، فهل عرفت المسلمة أين راحتها وسعادتها أفي الإسلام أم في مناهج الشيطان، ومن ثمرة الكد والتعب للزوج أمره الإسلام الحَفِيُّ بالمرأة أن ينفق عليها وله في هذا الإنفاق صدقة ليحضه على الإنفاق عليها بالمعروف لما رواه عمرو بن أمية قال رسول الله ﷺ: «كل ما صنعت إلى أهلك فهو صدقة».

[البخاري في التاريخ ٢/١/٣٩٦ في الصحيحة (ص٢٢) ج٢]

وقد سعدت الزوجة بالإسلام فلم تورث كما كانت في الجاهلية بل تتزوج برضاها وتأخذ صداقها حيث قال تعالى: ﴿ وَآتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَيْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَّرِيئًا ﴾ [النساء: ٤]، ومن الأسرار في القرآن الكريم أن كلمة صدقاتهن قرئت في جميع القراءات العشر المتواترة بضم الدال ومفردها صدُقة وهي ما يدفعه الرجل لبضع المرأة دون غيرها من الناس ودون غيرها من النساء والصدُقة ملك خاص للمعقود عليها تتصرف فيه كيف تشاء دون أن تكون ملزمة بإنفاق أي شيء منه على تكوين منزل الزوجية أو الإنفاق فيه على الأسرة وبعض العلماء جعل الأمر في قوله تعالى: ﴿وَآتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ﴾ أمرًا لأولياء أمور الزوجات فهي تأخذ ويدها عليا وليس سفلى لأنها صاحبة حق حتى يمتلك الدافعُ له بُضعها ويستحلَ فرجها بخلاف الصدقات في قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا ﴾ [التوبة: ٦]، فالصدقات بفتح الدال تعطي للأصناف الثمانية المذكورة في الآية، والمعطي يده عليا والآخذ يده سفلى لكنّ الصدُقة وهي مهر المرأة يدفعها الزوج وتأخذها الزوجة فريضة على الزوج، أليست هي أسعد حظًا من الزوج؟ فهو يغرم وهي تغنم وكلاهما يستمتع المتعة الحلال.

وليس الإحسان إلى المرأة قاصرًا على بذل المال بل بذل الإحسان والعشرة الحسنة، فقد أسعدها الإسلام بأن رخص للزوج أن يكذب ليرضيها كما ورد في الصحيحة بسند صحيح عن أم كلثوم بنت عقبة أنها قالت: رخص رسول الله ﷺ من الكذب في ثلاث: في الحرب، وفي الإصلاح بين الناس، وقول الرجل لامرأته، وفي رواية: وحديث الرجل امرأته، وحديث المرأة زوجها.

[الصحيحة برقم (٥٤٥)]

وزيادة في إكرام الإسلام للمرأة جعل إكرام زوجها لها أمارة على كريم أصله وخيريته، لما رواه الترمذي وغيره عن عائشة قالت: قال رسول الله ﷺ: «خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلي». وللترمذي عن أبي هريرة قال ﷺ: «أكمل المؤمنين إيمانًا أحسنهم خلقًا، وخياركم خياركم لنسائهم».

[الصحيحة برقمي: ٢٨٥، ٢٨٤]

وحتى في حالة انتهاء العلاقة الزوجية بالطلاق أسعد الإسلام المرأة فأمر الزوج بالسكنى لها والإنفاق عليها إذا كانت عليها الرجعة لما رواه النسائي عن فاطمة بنت قيس قالت: قال رسول الله ﷺ: «إنما النفقة والسكنُ للمرأة إذا كان لزوجها عليها الرجعةُ». [الصحيحة برقم ١٧١١]

وإذا لم تنقضِ العدة فهي زوجة وله أن يمسكها ويراجعها بمعروف وإذا انتهت العدة وزهد فيها واستمر على فراقها فليكن التسريح أيضًا بمعروف لقوله تعالى: ﴿ وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَلاَ تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِّتَعْتَدُوا وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ وَلاَ تَتَّخِذُوا آيَاتِ اللَّهِ هُزُوًا ﴾ [البقرة: ٢٣١].

ثالثًا: الإسلام مع المرأة وهي أم:

فللحديث بقية إن شاء الله تعالى.



الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، و بعد:

فلا يزال الحديث موصولا حول هدي النبي ﷺ في التعامل مع المخطئين.

٤- الستر على المسلمين

الستر على المسلمين شأن الصالحين، فإن المؤمن يستر وينصح، والمنافق يهتك ويفضح.

عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: « لا يستر عبد عبدا في الدنيا إلا ستره الله يوم القيامة ».

[صحيح مسلم: ج٤ ص٢٠٠٢]

قال المناوي: من ستر أخاه المسلم في الدنيا في قبيح فعله، فلم يفضحه بأن يتحقق منه على ما يشينه في دينه أو عرضه أو ماله أو أهله فلم يهتكه ولم يكشفه بالتحدث للناس ستره الله يوم القيامة أي لم يفضحه على رؤوس الخلائق بإظهار عيوبه وذنوبه بل يسهل حسابه ويترك عقابه لأن الله حيي كريم. [فيض القدير: ج٦ ص١٤٩]

وقال ابن رجب رحمه الله: واعلم أن الناس على ضربين: أحدهما: من كان مستورا لا يعرف بشيء من المعاصي فإذا وقعت منه هفوة أو زلة فإنه لا يجوز هتكها ولا كشفها ولا التحدث بها وفي ذلك قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ..... ﴾

[النور: ١٩].

والمراد إشاعة الفاحشة على المؤمن فيما هو بريء منه كما في قضية الإفك. قال بعض الوزراء الصالحين لبعض من يأمر بالمعروف: اجتهد أن تستر العصاة فإن ظهور معاصيهم عيب في أهل الإسلام وأولى الأمور ستر العيوب، ومثل هذا لو جاء تائبا نادما وأقر بحده لم يفسره ولم يستفسر بل يؤمر بأن يرجع ويستر نفسه كما أمر النبي صلى الله عليه وآله وسلم ماعزا والغامدية وكما لم يستفسر الذي قال: أصبت حدا فأقمه عليَّ. جاء في الحديث عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «أقيلوا

•• الحلقة الثالثة ••

إعداد / محمد فتحي

ذوي الهيئات عثراتهم». خرجه أبو داود والنسائي من حديث عائشة والثاني: من كان مشتهرا بالمعاصي معلنا بها ولا يبالي بما ارتكب منها ولا بما قيل له هذا هو الفاجر المعلن وليس له غيبة كما نص على ذلك الحسن البصري وغيره.

[جامع العلوم والحكم ج١ ص٣٤٠]

وعن عامر قال: أتى رجل عمر فقال: إن ابنة لي كانت وئدت في الجاهلية فاستخرجتها قبل أن تموت فأدركت الإسلام فلما أسلمت أصابت حدا من حدود الله فعمدت إلى الشفرة لتذبح بها نفسها فأدركتها وقد قطعت بعض أوداجها فداويتها حتى برئت ثم إنها أقبلت بتوبة حسنة فهي تُخْطَبُ إلي يا أمير المؤمنين أفأخبر من شأنها بالذي كان؟ فقال عمر: أتخبر بشأنها! تعمد إلى ما ستره الله فتبديه؟ والله لئن أخبرتَ بشأنها أحدا من الناس لأجعلنك نكالا لأهل الأمصار بل أنكحها بنكاح العفيفة المسلمة.

[تفسير الطبري ج٦ ص١٥٠]

وعن محمد بن عبد الرحمن قال: قال أبو بكر الصديق: لو لم أجد للسارق والزاني وشارب الخمر إلا ثوبي لأحببت أن أستره.

[مصنف عبد الرزاق: ج١٠ ص٢٢٧]

أخرج البخاري في الأدب عن شبل بن عون قال: كان يقال: من سمع بفاحشة فأفشاها فهو فيها كالذي أبداها.

عن خالد بن معدان قال: من حدث بما أبصرت عيناه وسمعت أذناه فهو من الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا.

وأخرج ابن أبي حاتم عن عطاء قال: من أشاع الفاحشة فعليه النكال وإن كان صادقا.

[الدر المنثور: ج٦ ص١٦١]

دعي عثمان إلى قوم على [illegible] فانطلق ليأخذهم فتفرقوا فلم يدركهم فأعتق رقبة شكرا [illegible] تعالى أن لا

يكون جرى على يديه خزي مسلم.

[فيض القدير: ج٦ ص١٤٩]

وقال الفضيل بن عياض رحمه الله: المؤمن يستر وينصح والفاجر يهتك ويعير.

[جامع العلوم والحكم ج١ ص٨٢]

وقال ابن معين: (ما رأيت على رجل خطأً إلا سترتُه، وأحببت أن أزيِّن أمره، وما أستقبل رجلاً في وجهه بأمر يكرهه، ولكن أبيِّن له خطأه فيما بيني وبينه، فإن قبل ذلك، وإلا تركته).

[سير أعلام النبلاء ج١١ ص٨٣]

وحفظ الأسرار لدى أهل الإيمان من كمال الإيمان، فلا ينبغي للعبد أن يرى الصغير من عيوب الناس ويعيرهم به، وفيه من العيوب ما فيه، فإن ذلك من أقبح القبائح، وأفضح الفضائح، فرحم الله من حفظ قلبه ولسانه، ولزم شانه، وكف عن عرض أخيه، وأعرض عما لا يعنيه، فإذا رآه على قبيح لم يظهره للناس، وليس في هذا ما يقتضي ترك الإنكار عليه فيما بينه وبينه، أما إذا أنكر عليه ونصحه فلم ينته عن قبيح فعله ثم جاهر به؛ فللعبد أن يكشف الأمر لمن يقدر على إزالة المنكر، وليس هذا من الغيبة المحرمة، بل من النصيحة الواجبة، والذي يظهر أن الستر محله في معصية قد انقضت، والإنكار في معصية قد حصل التلبس بها.

وضابط المسألة كما مرَّ، أن الأخطاء والذنوب إذا اقتصرت على العبد، ولم يتحصل منها ضرر على الخلق، فإن باب النصيحة هو المتعين، وباب الستر متأكد، وأمر المذنب والمخطئ إلى ربه، إن شاء عاقبه وإن شاء عفا عنه.

٥- كف اللسان

من سره أن يسلم في الدنيا من أذى الخلق، وفي الآخرة من عقاب الحق، فليلزم الصمت عما لا يعنيه، ولا منفعة فيه، ليسلم من الزلل، ويقل حسابه، لأن خطر اللسان عظيم، وآفاته كثيرة، ولسلامة اللسان حلاوة في القلب، وبواعث من الطبع والشيطان، وليس يسلم من ذلك كله إلا بتقييده بلجام الشرع، ومن ملك لسانه فقد ملك أمره.

عن المغيرة بن شعبة قال: قال النبي ﷺ: «إن الله حرم عليكم عقوق الأمهات ووأد البنات ومنع وهات وكره لكم قيل وقال وكثرة السؤال وإضاعة المال».

وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «كفى بالمرء كذبا أن يحدث بكل ما سمع».

عن أبي سلمة عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «إن من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه».

قال ابن رجب: ودخلوا على بعض الصحابة في مرضه ووجهه يتهلل فسألوه عن سبب تهلل وجهه فقال ما من عمل أوثق عندي من خصلتين؛ كنت لا أتكلم فيما لا يعنيني، وكان قلبي سليما للمسلمين.

وقال مورق العجلي: أمر أنا في طلبه منذ كذا وكذا سنة لم أقدر عليه ولست بتارك طلبه أبدا قالوا: وما هو. قال: الكف عما لا يعنيني رواهما ابن أبي الدنيا.

عن حميد بن هلال قال: قال لي عبد الله بن عمرو: ذر ما لست منه في شيء ولا تنطق فيما لا يعنيك واخزن لسانك كما تخزن دراهمك.

وكان أبو العتاهية ينشد هذه الأبيات:

إن كان يعجبك السكوت فإنه
قد كان يعجب قبلك الأخيارا
ولئن ندمت على سكوتك مرة
فلقد ندمت على الكلام مرارا

عن حارثة بن أبي الرجال عن عمرة قالت: قالت لي عائشة: يا بنية لا تكلمي بالشيء الذي إذا عرفت به تعذرت فانه لا يتعذر إلا من القبيح.

وقال معروف: كلام العبد فيما لا يعنيه خذلان من الله عز وجل.

عن ابن عباس قال: ذكروا رجلا فقال: إذا أردت أن تذكر عيوب صاحبك فاذكر عيوبك.

عن سفيان بن حسين قال: كنت عند إياس بن معاوية وعنده رجل تخوفت إن قمت من عنده أن يقع في. قال: فجلست حتى قام فلما قام ذكرته لإياس قال: فجعل ينظر في وجهي ولا يقول لي شيئا حتى فرغت فقال لي: أغزوت الديلم؟ قلت: لا. قال: فغزوت السند؟ قلت: لا. قال: فغزوت الهند؟ قلت: لا. قال: فغزوت الروم؟ قلت: لا. قال: يسلم منك الديلم والسند والهند والروم وليس يسلم منك أخوك هذا؟ قال: فلم يعد سفيان إلى ذاك.

٦- قبول توبة التائبين:

أخبر الله تعالى أنه يقبل توبة التائب من الشرك والكفر: ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ إِن يَنتَهُواْ يُغَفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ﴾ [الأنفال: ٣٨] فضلاً عن المعاصي والسيئات ﴿وَالَّذِينَ عَمِلُواْ السَّيِّئَاتِ ثُمَّ تَابُواْ مِن بَعْدِهَا وَآمَنُواْ إِنَّ رَبَّكَ مِن بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [الأعراف: ١٥٣]، وقال جل ذكره وتقدست أسمائه: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [الزمر:٥٣].

فهو وحده التائب على من تاب إليه، والرحيم لمن أناب إليه، فهو التواب الرحيم، يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل، ينادي على عباده وهو الغني عنهم هل من تائب فأتوب عليه؟.

فباب التوبة مفتوح لكل من قصده ورام الدخول منه، وإذا كان الشرك وهو أعظم الذنوب وأشدها؛ تمحوه التوبة إلى الله، ويقبل من صاحبه، فكيف بما دونه من المعاصي؟.

قال ابن كثير: هذه الآية الكريمة دعوة لجميع العصاة من الكفرة وغيرهم إلى التوبة والإنابة وإخبار بأن الله تبارك وتعالى يغفر الذنوب جميعا لمن تاب منها ورجع عنها وإن كانت مثل زبد البحر.

[تفسير ابن كثير (ج٤/٥٩)]

عن الشعبي قال: التائب من الذنب كمن لا ذنب له ثم قرأ ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ ﴾.

قال القرطبي: وأجمعت الأمة على أن التوبة تمحو الكفر فيجب أن يكون ما دون ذلك أولى والله أعلم.

قال القرطبي: وإذا قبل الله التوبة من العبد كان العباد بالقبول أولى.

توبة ماعز بن مالك:

وهذا ماعز بن مالك رضي الله عنه لما رُجم كان الناس فرقتين فيه؛ قائل يقول: لقد هلك لقد أحاطت به خطيئته وقائل يقول: ما توبة أفضل من توبة ماعز، إنه جاء إلى النبي ﷺ فوضع يده في يده ثم قال: اقتلني بالحجارة قال: فلبثوا بذلك يومين أو ثلاثة ثم جاء رسول الله ﷺ فقال: استغفروا لماعز بن مالك قال: فقالوا: غفر الله لماعز بن مالك قال: فقال رسول ﷺ : «لقد تاب توبة لو قسمت بين أمة لوسعتهم».

وفي رواية أبي هريرة عند النسائي لقد رأيته بين أنهار الجنة ينغمس.

قال تعالى: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَى ظُلْمِهِمْ﴾.

تنبيه: وحظ العبد من ذلك لا يخفى وهو أن يعفو عمن ظلمه بل يحسن إليه كما يرى الله تعالى محسنا في الدنيا إلى العصاة والكفرة غير معاجل لهم بالعقوبة بل ربما يعفو عنهم بأن يتوب عليهم وإذا تاب عليهم محا سيئاتهم إذ التائب من الذنب كمن لا ذنب له وهذا غاية المحو للجناية.

إذا استقر عندك أن التائب من الذنب كمن لا ذنب له، وأن الله تعالى يحب التوابين، يقبل توبتهم، ويبدل سيئاتهم حسنات، كان عليك أن تقبل ممن قبل الله منه، وتعفو عمن عفا الله عنه، فالدنيا لا تقف عند زلة، ولا تنتهي بمجرد خطيئة، فلا يعير المخطئ بزلته، ولا يذكر بخطيئته.

٧- إلقاء السلام عليهم:

السلام أول أسباب التآلف، ومفتاح المودة؛ وفي إفشائه تحقيق للألفة بين المسلمين.

عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ : «لا تدخلون الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابوا، أَوَلاَ أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم؟ أفشوا السلام بينكم».

قال ابن العربي: من فوائد إفشاء السلام حصول الألفة فتتآلف الكلمة وتعم المصلحة وتقع المعاونة على إقامة شرائع الدين وإخزاء الكافرين وهي كلمة إذا سمعت أخلصت القلب الواعي الحقود إلى الإقبال على قائلها.

وما أجمل السلام إذا صاحبَتهُ طلاقة الوجه، وكمّل بالمصافحة، وقرن ذلك كله الإخلاص لله تعالى.

أما عبوس الوجه، وترك إلقاء السلام على المخطئين والمذنبين؛ فهذا منهج المنفرين الميئسين المقنطين من روح الله؛ وليس منهج المصلحين الداعين إلى الله وإلى دينه. وصدق النبي الكريم ﷺ حيث يقول: «يا أيها الناس إن منكم منفرين».

٨- زيارتهم وعيادة مرضاهم:

عيادة المريض سنة ماضية فعلها رسول الله ﷺ وأمر بها وندب إليها وأخبر عن فضلها بضروب من القول وذلك لما فيها من جبر الخاطر ومواساة الضعيف، وما يرجى من بركة دعاء العائد له. وفي فضل العيادة آثار كثيرة.

عن ثوبان مولى رسول الله ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ : «من عاد مريضا لم يزل في خرفة الجنة حتى يرجع».

قال البيهقي: والمعنى في هذا- والله أعلم- أنه يثاب بما يهتم به من أمر أخيه المسلم أن ينعم غدا بثمار الجنة... والمخرفة النخلة التي يجتنى منها.

قال ابن حجر: شبه ما يحوزه عائد المريض من الثواب بما يحوزه الذي يجتني الثمر.

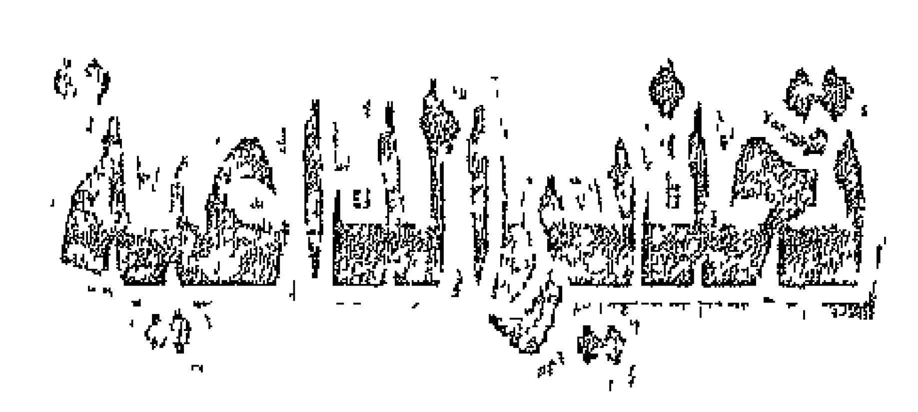
٩- تأليف قلوبهم بالهدية وقبول هداياهم:

الهدية مندوب إليها وهي مما تورث المودة وتذهب العداوة؛ إنها كالماء البارد يوضع على الحمى المتأججة فيذهب حرها بإذن الله؛ وحسبك أنه ﷺ قد أمر بها وكان يقبلها، فإن القلوب جبلت على حب من أحسن إليها. ومن فضل الهدية مع اتباع السنة أنها تزيل حزازات النفوس وتكسب المهدي والمهدى إليه رقة في القلوب والنفوس.

ولقد أحسن من قال: هدايا الناس بعضهم لبعض تولد في قلوبهم الوصالا، وتزرع في الضمير هوى وودا، وتكسهم إذا حضروا جمالا.

١٠- الإحسان إليهم:

نكمل ذلك في الحلقة القادمة إن شاء الله.





قصة اسم الصدر (أه)

نواصل في هذا التحذير تقديم البحوث العلمية الحديثية للقارئ الكريم حتى يقف على حقيقة هذا الاسم الذي جعلته المتصوفة اسمًا من أسماء الله الحسنى يدعون الله به ويذكرونه به، متخذين من هذه القصة الواهية دليلاً على ذكرهم باسم الصدر (اهـ).

إعداد
الشيخ/ علي حشيش

أولا: متن القصة:

رُوي عن عائشة أنها قالت: دخل علينا رسول الله ﷺ وعندنا عليل يئن، فقلنا له: اسكت فقد جاء رسول الله ﷺ فقال ﷺ: «دعوه يئن فإن الأنين اسم من أسماء الله يستريح إليه العليل».

ثانيا: التخريج:

هذه القصة أخرجها الرافعي في «التدوين في أخبار قزوين» (٢٧٢/٤) من طريق إسماعيل بن عياش عن ليث بن أبي سليم عن بهية عن عائشة به، وأوردها السيوطي في «الجامع الكبير» (ح١٤٠٤٩) وعزاها للرافعي عن عائشة.

ثالثا: التحقيق:

هذه القصة واهية وإسنادها مسلسل بالعلل:

الأولى: إسماعيل بن عياش.

١- أورده الإمام المزي في «تهذيب الكمال» (٤٦٦/٢٠٧/٢) وقال: «إسماعيل بن عياش بن سليم العنسي أبو عتبة الحمصي».

٢- أورده الإمام الذهبي في «الميزان» (٩٢٣/٢٤١/١) ونقل قول الإمام البخاري فيه: «إذا حدث عن أهل بلده فصحيح وإذا حدث عن غيرهم ففيه نظر».

قلت: ولقد قال الحافظ ابن حجر في «هدي الساري» (ص٥٠٤): «وللبخاري في كلامه على الرجال توق زائد وتحرّ بليغ يظهر لمن تأمل كلامه في الجرح والتعديل فإن أكثر ما يقول سكتوا عنه فيه نظر تركوه ونحو هذا». وقول الإمام البخاري في إسماعيل بن عياش: «إذا حدث عن غيرهم ففيه نظر». يفسره السيوطي في «التدريب» (٣٤٨/١) حيث قال في «التنبيهات»: «البخاري يطلق: فيه نظر وسكتوا عنه فيمن تركوا حديثه».

٣- وأورده الإمام ابن حبان في «المجروحين» (١٢٥/١) وقال: «إسماعيل بن عياش أبو عتبة الحمصي العنسي من أهل الشام لما كبر تغير حفظه، فما حفظ في صباه وحداثته أتى به على جهته، وما حفظ على الكبر من حديث الغرباء خلط فيه وأدخل الإسناد في الإسناد وألزق المتن بالمتن، وهو لا يعلم ومن كان هذا نعته حتى صار الخطأ في حديثه يكثر، خرج عن الاحتجاج به فيما لم يخلط فيه».

٤- أخرج ابن عدي في «الكامل» (٢٩١/١) (١٢٧/١٢٧) عن أحمد بن حنبل قال: «إسماعيل بن عياش ما روى عن الشاميين فهو صحيح، وما روى عن أهل المدينة وأهل

العراق ففيه ضعف، يغلط».

٥- ونقل الذهبي في «الميزان» (٢٤٣/١) عن مضرس بن محمد الأسدي قال: سألت يحيى بن معين عن إسماعيل بن عياش فقال: عن الشاميين حديثه صحيح، وإذا حدث عن العراقيين والمدنيين خلط ما شئت.

قلت: وهذه القصة من رواية إسماعيل بن عياش عن غير الشاميين فهي غير صحيحة ومتروكة وقد غلط وخلط.

والدليل على أن القصة من روايته عن غير الشاميين أن ليث بن أبي سلم أورده الإمام المزي في «تهذيب الكمال» (٥٦٠٣/٤٤٩/١٥) وقال: «ليث بن أبي سُليم بن زُنَيْم القرشي أبو بكر الكوفي». فهو كوفي عراقي.

العلة الثانية: ليث بن أبي سليم:

١- قال الإمام ابن حبان في «المجروحين» (٢٣١/٢):

«لَيْثُ بن أبي سليم بن زنيم الليثي: أصله من أبناء فارس، واسم أبي سليم أنس، كان مولده بالكوفة، وكان معلمًا بها، وكان من العباد ولكن اختلط في آخر عمره حتى كان لا يدري ما يحدِّث به، فكان يقلب الأسانيد، ويرفع المراسيل ويأتي عن الثقات بما ليس من أحاديثهم، كل ذلك كان منه في اختلاطه، تركه يحيى القطان وابن مهدي وأحمد بن حنبل ويحيى بن معين». اهـ.

٢- لذلك قال الحافظ ابن حجر في «التقريب» (١٣٨/١): «اختلط أخيرًا ولم يتميز حديثه فترك». اهـ.

٣- «لم يرو له مسلم احتجاجًا ولذلك ترجم له الإمام الذهبي في «الميزان» (٦٩٩٧/٤٢٠/٣) قائلاً: «الليث بن أبي سُليم (عو، م- مقرونًا)».

قلت: (عو) يظهر معناها من هذه القاعدة التي أوردها الإمام الذهبي في «مقدمة الميزان» حيث قال فيها:

«فقد استخرت الله عز وجل في عمل هذا المصنف، ورتبته على حروف المعجم حتى في الآباء، ليقرب تناوله، ورمزت على اسم الرجل مَن أخرج له في كتابه من الأئمة الستة: «البخاري، ومسلم، وأبي داود، والنسائي والترمذي وابن ماجه برموزهم السائرة، فإن اجتمعوا على إخراج رجل فالرمز (ع) وإن اتفق عليه أرباب السنن الأربعة فالرمز (عو) اهـ.

قلت: من هذا يتبين أن الإمام مسلم لم يرو له احتجاجًا بل مقرونًا لأن الأئمة تركوا الاحتجاج به يظهر ذلك مما رمز له الذهبي (عو، م- مقرونًا).

وفي «التهذيب» (٤١٩/٨) نقل الحافظ ابن حجر عن الحاكم إلى عبد الله أنه قال: «الليث بن أبي سليم، مجمع على سوء حفظه».

وقال الجوزجاني: يضعف حديثه.

وقال ابن معين: منكر الحديث.

وقال ابن أبي حاتم: سمعت أبي وأبا زرعة يقولان: ليث لا يشتغل به هو مضطرب الحديث.

وقال أبو زرعة: ليث بن أبي سليم لين الحديث لا يقوم به الحجة عند أهل العلم بالحديث.

وقال مؤمل بن الفضل: قلنا لعيسى بن يونس لمَ لمْ تسمع من ليث قال: «قد رأيته وكان قد اختلط وكان يصعد المنارة ارتفاع النهار فيؤذن».

العلة الثالثة: بُهيَّة:

أوردها الإمام الذهبي في «الميزان» (١٣٣١/٣٥٦/١) وقال: «بُهيَّة، عن عائشة وعنها أبو عقيل قال الأزدي: لا يقوم حديثها وقال الجوزجاني، سألت عنها كي أعرفها فأعياني». اهـ.

قلت: ولذلك قال الحافظ ابن حجر في «التقريب» (٥٩١/٢): «بُهيَّة بالتصغير لا تعرف». اهـ.

من هذا يتبين أن سند القصة مسلسل بالعلل من اختلاط وجهالة وترك ونكارة فالقصة واهية ولا تصح.

رابعًا: قال المناوي: «معنى «دعوه يئن» أي دعوا المريض يستريح بالأنين أي يقول: آه ولا تنهوه عنه: «فإن الأنين اسم من أسماء الله

«فإن الأنين اسم من أسماء الله تعالى» أي لفظ من أسمائه، لكن هذا لم يرد في صحيح ولا حسن، وأسماؤه تعالى توقيفية». اهـ.

قلت: هكذا بيَّن المناوي في تعليقه على هذا الحديث الذي جاءت به القصة أن اسم (اهـ) لم يرد في صحيح ولا حسن. ثم إن أسماء الله توقيفية.

خامسًا: القاعدة التوقيفية في الأسماء الحسنى:

قال الإمام ابن القيم في «بدائع الفوائد» (١٦٧/١) في القاعدة السابعة: «إن ما يطلق عليه في باب الأسماء والصفات توقيفي».

ولقد بين ذلك الشيخ ابن عثيمين رحمه الله في «القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى» (ص١٣) القاعدة الخامسة حيث قال:

«أسماء الله توقيفية لا مجال للعقل فيها، وعلى هذا فيجب الوقوف فيها على ما جاء به الكتاب والسنة فلا يزاد فيها ولا ينقص؛ لأن العقل لا يمكنه إدراك ما يستحقه تعالى من الأسماء فوجب الوقوف في ذلك على النص لقوله: ﴿وَلاَ تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً﴾ [الإسراء: ٣٦].

وقوله: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ٣٣].

ولأن تسميته تعالى بما لم يسم به نفسه أو إنكار ما سمى به نفسه جناية في حقه تعالى فوجب سلوك الأدب في ذلك والاقتصار على ما جاء به النص. اهـ.

سادسًا: خروج المتصوفة على القاعدة التوقيفية:

اسم الصدر (اهـ) لم يأت في الكتاب ولا السنة الصحيحة المطهرة، ولقد استدل أهل البدع بهذه القصة على اسم الصدر (اهـ) ولقد بينا أنها قصة باطلة لا تصح.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية في «مجموع الفتاوى» (١٩٥/٤): «فمن ندب إلى شيء يتقرب به إلى الله، أو أوجبه بقوله أو فعله، من غير أن يشرعه الله، فقد شرع من الدين ما لم يأذن به الله، ومن اتبعه في ذلك فقد اتخذ شريكًا لله شرع في الدين ما لم يأذن به الله، قال الله تعالى: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُم مِّنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَن بِهِ اللَّهُ﴾» [الشورى: ٢١].

سابعًا: حقيقة الإلحاد في أسماء الله:

قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٠].

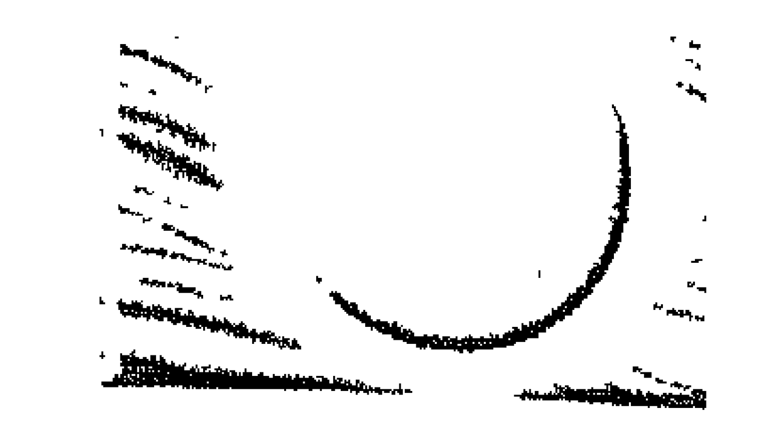
قال الإمام ابن القيم رحمه الله في «مدارج السالكين» (٣٠/١- تحقيق الفقي): «وحقيقة الإلحاد فيها: العدول بها عن الصواب فيها، وإدخال ما ليس من معانيها فيها، وإخراج حقائق معانيها عنها، هذا حقيقة الإلحاد، ومن فعل ذلك فقد كذب على الله، ففسر ابن عباس الإلحاد بالكذب، أو هو غاية الملحد في أسمائه تعالى، فإنه إذا أدخل في معانيها ما ليس منها، وخرج بها عن حقائقها أو بعضها فقد عدل عن الصواب والحق، وهو حقيقة الإلحاد». اهـ.

هذا ما وفقني الله إليه، وهو وحده من وراء القصد.

قرار إشهار

رقم (١١٨٠) بتاريخ ٢/٣/٢٠٠٥م

تشهد مديرية الشئون الاجتماعية بالدقهلية أنه قد تم إشهار جمعية أنصار السنة المحمدية بسلكا مركز المنصورة، وذلك طبقًا لأحكام القانون ٨٤ لسنة ٢٠٠٢ ولائحته التنفيذية.





تجيب عليها لجنة الفتوى بالمركز العام

الذنب يلحق فاعله

سؤال: زوجي اقترض قرضا ربويا ليشتري مسكنا للزوجة الأخرى، فهل يلحقني إثم؟

الجواب: الإثم على زوجك لا عليك، فقد قال تعالى: ﴿وَلاَ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾.

المرأة حرث لزوجها

سؤال: ما معنى قوله تعالى: ﴿نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ﴾؟

الجواب: أفادت هذه الآية إباحة وطء الرجل امرأته في موضع الولد من أي جهة كان، وعلى أي وضع أراد، وليس فيها ما يفيد وطء الزوجة في محل الغائط، فقد نهى النبي ﷺ عن ذلك، ولعن فاعله، ولا يجوز للمرأة أن توافق زوجها على ذلك، فإن وافقته فهي ملعونة أيضًا، وإذا أصرّ الرجل على ذلك فلها حق طلب الطلاق منه.

القيمة في كفارة اليمين

سؤال: هل تجزئ القيمة في كفارة اليمين؟

الجواب: كفارة اليمين إطعام عشرة مساكين كما قال رب العالمين، ولا تجزئ فيها القيمة، بل يجب الإطعام.

حياة عيسى وموته ﷺ

سؤال: هل سيدنا عيسى عليه السلام حي في السماء أم أماته الله ثم رفعه إليه؟ أرجو التوضيح بالقرآن والسنة؟

الجواب: الصحيح أن الله تعالى رفع عيسى عليه السلام حيًا إلى السماء حين همّ اليهود بقتله، فألقى الله شبه عيسى على أحد الحواريين ورفع عيسى إليه، فأخذوا الشبه فقتلوه وهم يظنون أنه عيسى، ثم تبجحوا فقالوا: ﴿إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ﴾ قال تعالى: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِن شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلاَّ اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا (١٥٧) بَل رَّفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾.

ثم أخبر سبحانه عن نزول عيسى ابن مريم في آخر الزمان فقال: ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلاَّ لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ﴾، وقد تواترت الأحاديث بنزول ابن مريم من السماء، ونصّ على ذلك أهل السنة في مؤلفاتهم في العقيدة، وإن شئت راجع تفسير الطبري وابن كثير، ومعارج القبول، ولوامع الأنوار البهية، كما أن لشيخنا العلامة محمد خليل هراس رسالة مهمة في ذلك فراجعها إن شئت.

التشهد بعد وفاة النبي ﷺ

سؤال: أفتى أحد الأئمة بأنه يجب أن يقال في التشهد: «السلام على النبي» ولا يقال: السلام عليك أيها النبي، حيث أن الصيغة الأخيرة، كانت تقال: «والنبي موجود بين الصحابة، أما الآن فنقول: السلام على النبي».

الجواب: ما ذكره هذا الإمام- وفقه الله- هو الصحيح، لما رواه البخاري (٦٢٦٥) عن أبي معمر قال: سمعت ابن مسعود يقول: «علمني رسول الله ﷺ- وكفي وبين كفيه- التشهد كما يعلمني السورة من القرآن: التحيات لله، والصلوات والطيبات السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته، السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين، أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، وهو بين ظهرانينا، فلما قبضه قلنا: السلام، يعني على النبي ﷺ».

وقد رجح ذلك الحافظ ابن حجر في (فتح الباري ١١/٥٦ و٣/٣١٤) فراجعه إن شئت.

كفالة اللقيط

السؤال: أخذت ولدا من الملجأ لأكفله إيمانا واحتسابا. فهل لي الأجر؟

الجواب: نعم لك الأجر إن شاء الله، ولكن احذر أن تنسبه إلى نفسك وزوجك، لأن هذا هو التبني الذي حرّمه الله.



الحمد لله الذي أكمل لنا الدين وأتم علينا نعمته ورضي لنا الإسلام دينًا وجعلنا من خير أمة أخرجت للناس، أمة تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر بالحكمة والموعظة الحسنة، أما بعد:

فيقول الله تعالى: ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَىٰ تَنفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الذاريات:٥٥].

وصية بالسعي لطلب الرزق الحلال

لقد أمرنا الله تعالى بالسعي لطلب الرزق الحلال في كثير من آيات القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنفِقُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ الْأَرْضِ﴾ [البقرة: ٢٦٧].

وقال سبحانه: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الجمعة: ١٠]، وقال جلَّ شأنه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ [البقرة: ١٧٢]، وحثنا النبي ﷺ على طلب الرزق الحلال فقد روى البخاري عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: «لأن يأخذ أحدكم حبله فيأتي بحُزمة الحطب على ظهره فيبيعها، فيكف الله بها وجهه، خير له من أن يسأل الناس أعطوه أو منعوه».

[البخاري: ١٤٧١]

وروى البخاري عن المقدام أن النبي ﷺ قال: «ما أكل أحدٌ طعامًا قط خيرًا من أن يأكل من عمل يده، وإن نبي الله داود ﷺ كان يأكل من عمل يده». [البخاري حديث ٢٠٧٢]

التحذير من أكل المال الحرام:

روى الشيخان عن أبي حميد الساعدي قال: «استعمل النبي ﷺ رجلاً من الأزد يُقال له ابن اللتبية على الصدقة، فلما قدم قال: هذا لكم وهذا أهدي لي، قال: فهلا جلس في بيت أبيه أو بيت أمه، فينظر أيُهدى له أم لا؟ والذي نفسي بيده لا يأخذ أحدٌ منكم شيئًا إلا جاء به يوم القيامة، يحمله على رقبته، إن كان بعيرًا له رغاء أو بقرة لها خوار أو شاة تيْعرُ (تصيح) ثم رفع يديه حتى رأينا عُفرة إبطيه (بياض ليس بالناصع) ثم قال: «اللهم هل بلغت (ثلاثًا)».

[البخاري: ٢٥٩٧، ومسلم ١٨٣٢]

معنى الرشوة

لغة: يُقال الرَّشوة- الرُّشوة- الرِّشوة: الجُعْلُ.

[لسان العرب ج٣ ص١٦٥٣]

شرعًا: ما يُعطى لإبطال حق أو لإحقاق باطل.

[شرح السنة للبغوي ج١٠ ص٨٨]

حكم الرشوة

الرشوة حرام بكتاب الله وسنة رسوله وإجماع علماء المسلمين قديمًا وحديثًا. [المغني ج١٤ ص٥٩- سبل السلام ج٤ ص٥٧٧]. قال تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٨٨].

قال الإمام الذهبي: أي لا تدلوا بأموالكم إلى الحكام ولا ترشوهم ليقطعوا لكم حقًا لغيركم وأنتم تعلمون أنه لا يحل لكم. [الكبائر ص١٤٣]

قال تعالى: ﴿سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّالُونَ لِلسُّحْتِ فَإِن جَاءُوكَ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ وَإِن تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَن يَضُرُّوكَ شَيْئًا وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ [المائدة: ٤٢].

قال ابن مسعود: السحت: الرشوة. وقال عمر بن الخطاب: رشوة الحاكم من السحت. [القرطبي ج٦ ص١٧٨]

وقال بعض أهل العلم: من السحت أن يأكل الرجل بجاهه، وذلك أن يكون له جاه عند السلطان فيسأله إنسان حاجة فلا يقضيها إلا برشوة يأخذها، ولا خلاف بين السلف على أن أخذ الرشوة على إبطال حق أو ما لا يجوز سُحت حرام.

[القرطبي: جـ٦ص١٧٨]

قال أبو حنيفة: إذا ارتشى الحاكم، انعزل في الوقت وإن لم يُعزل، وبطل كل حكم حَكَمَ به بعد ذلك.

[القرطبي ج٦ ص١٧٨]

٣- وقال سبحانه: ﴿يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الأَدْنَى﴾ [الأعراف: ١٦٩].

قال الإمام البغوي: أي يرتشون في الأحكام.

[شرح السنة: ج١٠ ص٨٧]

٤- وقال جلَّ شأنه: ﴿وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ (٣٥) فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَانَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَا آتَانِيَ اللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّا آتَاكُم بَلْ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ﴾ [النمل: ٣٥، ٣٦].

قال ابن كثير: قوله تعالى: ﴿أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَا آتَانِيَ اللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّا آتَاكُم بَلْ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ﴾ أي الذي أعطاني الله من الملك والمال والجنود خير مما أنتم فيه، وأنتم الذين تنقادون للهدايا والتحف وأما أنا فلا أقبل منكم إلا الإسلام أو السيف.

[ابن كثير جـ١٠ ص٤٠٦]

ثانيا: السنة:

. روى أبو داود عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: «لعن رسول الله ﷺ الراشي والمرتشي».

[حديث صحيح، صحيح أبي داود للألباني: ٣٠٥٥]

ثالثا: الإجماع: لقد أجمع الصحابة والتابعون وعلماء الأمة على تحريم الرشوة بجميع صورها.

أسباب الرشوة

إن أسباب الرشوة ودوافعها كثيرة، يمكن أن نجملها فيما يلي:

١- ضعف الإيمان عند الراشي والمرتشي والرائش وعدم الثقة في رزق الله.

٢- انخفاض مستوى المعيشة عند بعض الناس، والرغبة في الثراء السريع.

٣- الجشع والأنانية وعدم وجود الشعور الاجتماعي عند بعض الناس.

[جريمة الرشوة للدكتور حمد بن عبد الرحمن الجنيدل ص١٥: ١٧]

الآثار المترتبة على الرشوة

إن لجريمة الرشوة آثارًا خطيرة يمكن أن نجملها فيما يلي:

١- توسيد الأمر لغير أهله:

إن الإنسان قد يرتشي ليحصل على وظيفة تحتاج إلى شروط معينة لا تتوافر فيه، فيترتب على شغله هذه الوظيفة الكثير من المفاسد لأنه ليس أهلا لهذه الوظيفة.

ومن المعلوم أن وضع الرجل المناسب في المكان المناسب هو أساس الإصلاح في كل عمل.

قال تعالى حكاية عن ابنة العبد الصالح عن استئجارة لموسى: ﴿يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الأَمِينُ﴾ [القصص: ٢٦].

شروط من يتولى المناصب:

١- الفقه في الدين.

٢- العلم والخبرة في مجال العمل الذي يقوم به.

٣- مشاورة أهل الرأي.

[جريمة الرشوة لعبد الله بن المحسن الطريقي ص١٠]

٢- الرشوة تدمر الموارد المالية للمجتمع:

قد يقدم شخص ما رشوة ليحصل على ترخيص من الدولة لعمل مشروع ما، وهذا المشروع لا يكون فيه نفع حقيقي للمجتمع وإنما يُدِرّ الربح الوفير لصاحبه، فيستفيد من موارد الدولة المالية التي توفر له المرافق والخدمات الأساسية كرصف الطرق والكهرباء والمياه والهاتف وغيرها.

٣- الرشوة تدمر حياة أفراد المجتمع:

إن من آثار الرشوة الخطيرة تدمير صحة الكثير من أفراد المجتمع وحياتهم كما لو حدثت الرشوة في

إنتاج الدواء أو الغذاء أو المباني المخالفة التي يترتب عليها انهيار المباني وإزهاق أرواح الناس، وهذا واقع ومشاهد أمام أعين الجميع.

٤- الرشوة تدمر أخلاق الأفراد:

إن تفشي ظاهرة الرشوة في أي مجتمع من المجتمعات مُؤْذِنٌ بتدمير أخلاقيات هذا المجتمع وقيمه وتُفقِد الثقة بين أفراده، وتؤدي الرشوة إلى عدم المبالاة والتسيب وعدم الولاء والانتماء والإحباط في العمل وكل هذا يعتبر عقبة أمام عملية التنمية وما تتطلبه من جهد بشري أمين، فيه تعاون من الجميع. وإذا كانت الرشوة لها راش ومرتش ورائش، فإن معنى هذا أن ثلاثة من المجتمع قد نُزعت الثقة منهم واعتبرهم المجتمع من المفسدين فيه.

[جريمة الرشوة للدكتور حمد بن عبد الرحمن الجنيدل ص٩: ١٥]

حكم هدايا الموظفين والقضاة والعمال

روى الشيخان عن أبي حميد الساعدي قال استعمل النبي ﷺ رجلاً من الأزد يُقال له ابن اللتبية على الصدقة، فلما قدم قال: هذا لكم وهذا أُهْدي لي. قال النبي ﷺ فهلا جلس في بيت أبيه أو بيت أمه، فينظرُ أَيُهْدى له أم لا؟ والذي نفسي بيده لا يأخذ أحدٌ منكم شيئًا إلا جاء به يوم القيامة يحمله على رقبته إن كان بعيرًا له رغاء أو بقرة لها خوار أو شاة تيعر ثم رفع يديه حتى رأينا عفرة إبطيه ثم قال: «اللهم هل بلغت» (ثلاثًا). [البخاري: ٢٥٩٧- مسلم: ١٨٣٢]

فقه الحديث:

قال النووي: في هذا الحديث بيان أن هدايا العمال حرام وغلول لأنه كان في ولايته وأمانته، ولهذا ذكر في الحديث في عقوبته وحمله ما أُهدي إليه يوم القيامة، كما ذكر في مثله في الغال، وقد بين ﷺ في نفس الحديث السبب في تحريم الهدية عليه وأنها بسبب الولاية، بخلاف الهدية لغير العامل، فإنها مستحبة، وأما ما يقبضه العامل ونحوه باسم الهدية، فإنه يرده إلى مُهْديه، فإن تعذر، فإلى بيت المال. [مسلم بشرح النووي ج٦ ص٤٦٢]

قال عمر بن عبد العزيز: كانت الهدية في زمن رسول الله ﷺ هدية، واليوم رشوة.

[فتح الباري ج٥ ص٢٦٠]

قال القاضي أبو بكر بن العربي المالكي: الرشوة: كل مال دُفع ليبتاع به من ذي جاه عونًا على ما ل يحل، والمرتشي: قابضه، الراشي: معطيه، والرائش الواسطة، وقد ثبت حديث عبد الله بن عمرو في العبد الراشي والمرتشي. [فتح الباري جـ٥ ص٢٦١]

قال ابن بطال في هذا الحديث: هدايا العمال تُجعل في بيت المال وإن العامل لا يملكها إلا إذا طلبها له الإمام. [فتح الباري جـ٥ ص٢٦٢]

خطورة هدايا القضاة

روى أبو داود عن بُريدة أن النبي ﷺ قال: «من استعملناه على عمل فرزقناه رِزْقًا، فما أخذ بَعْدُ فهو غلولٌ». [حديث صحيح. (صحيح أبي داود ٢٠٥٥)].

قال الشوكاني: في هذا الحديث دليل على أنه لا يحلُّ للعامل زيادة على ما فَرض له من استعمله، وأن ما أخذ بعد ذلك فهو غلول. [نيل الأوطار جـ٤ ص٢٣٥]

وقال الشوكاني أيضًا: الظاهر أن الهدايا التي تُهدى للقضاة ونحوهم هي نوع من الرشوة لأن المهدي إذا لم يكن معتادًا للإهداء إلى القاضي قبل ولايته، لا يهدي إليه إلا لغرض، وهو إما للتَّقَوِّي به على باطله، أو للتوصل بهديته إلى شيء ليس له فيه حق، والكل حرام.

وأقل أحواله أن يكون طالبًا الاقتراب من الحاكم، ولا غرض له بذلك إلا الاستطالة على خصومه أو الأمن من مطالبتهم له فيحتشم منه من له حق عليه، ويخافه من لا يخافه قبل ذلك. وهذه الأغراض تئول إلى ما آلت إليه الرشوة. [نيل الأوطار جـ٨ ص٣٧٥]

تحذير من قبول العمال للهدايا أثناء العمل

قال الشوكاني: ليحذر الحاكم المتحفظ لدينه، المستعد للوقوف بين يدي ربه من قبول هدايا من أهدى إليه بعد توليه للقضاء، فإن للإحسان تأثيرًا في طبع الإنسان، والقلوب مجبولة على حبِّ من أحسن إليها، فربما مالت نفسه إلى المُهْدي إليه ميلاً يُؤثرُ على الحق عند عروض المخاصمة بين المُهْدي وبين غيره، والقاضي لا يشعر بذلك ويظن أنه لم يخرج عن الصواب بسبب ما قد زرعه الإحسان في قلبه والرشوة لا تفعل زيادة على هذا.

[نيل الأوطار جـ٨ ص٣٧٥]

متى يجوز للعامل قبول الهدية؟

يجوز لولاة الأمور والعُمَّال قبول الهدية ممن كان يهدي إليهم قبل توليتهم مناصبهم، كهدية من قريب

أو صديق بشرط أن لا تزيد قيمة هذه الهدية عما كان يُهْدى إليهم قبل تولي مناصبهم ولا تكون لها أيَّة علاقة بأعمالهم.

[المغني بتحقيق التركي ج١٤: ٥٩، سبل السلام ج٤ ص٥٧٧]

متى يجوز دفع الرشوة؟

قال البغوي وهو يتكلم عن حكم الرشوة: أما إذا أعْطى المعطي ليتوصل به إلى حق أو يدفع عن نفسه ظلمًا، فلا بأس به. [شرح السنة جـ١٠ ص٨٨]

قال القرطبي: رُوي عن وهب بن منبه أنه قيل له: الرِّشوة حرام في كل شيء؟ فقال: لا، إنما يكره من الرِّشوة أن ترشي لتُعطى ما ليس لك أو تدفع حقًا قد لزمك، فأما أن ترشي لتدفع عن دينك ودمك ومالك فليس بحرام.

قال أبو الليث السمرقندي الفقيه: وبهذا نأخذ؛ لا بأس بأن يدفع الرجل عن نفسه وماله بالرشوة. وهكذا كما رُوي عن عبد الله بن مسعود أنه كان بالحبشة فَرَشا دينارين، وقال: إنما الإثم على القابض دون الدافع.

[القرطبي: ج٦ ص١٨٧، البيهقي ج١٠ ص١٣٩، المحلى لابن حزم ج٩ ص١٥٧]

روى عبد الرزاق عن جابر بن زيد والشعبي قالا: «لا بأس أن يُصانع الرجلُ عن نفسه وماله إذا خاف الظلم». [احكام القران للجصاص ج٢ ص٤٣٢، ٤٣٣]

وروى الطبراني عن ثوبان أن النبي ﷺ قال: «رفع عن أمتي الخطأ والنسيانُ وما استكرهوا عليه». [حديث صحيح: صحيح الجامع للألباني ج١ حديث ٣٥١٥]

كيف نقضي على الرشوة؟

يمكن القضاء على جريمة الرشوة بطريقتين: وقائية وعلاجية.

أولاً: الطريقة الوقائية:

١- وتكون بترسيخ عقيدة التوحيد وأن الله وحده هو الرزاق في قلوب الناس، قال تعالى: ﴿ وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الأَرْضِ إِلاَّ عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾ [هود: ٦].

وقال سبحانه: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ (٥٦) مَا أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ (٥٧) إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو القُوَّةِ المَتِينُ﴾، وقال سبحانه: ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ (٢٢) فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ﴾ [الذاريات: ٥٦- ٢٣].

لقد رسَّخ النبي ﷺ هذه العقيدة في قلوب أصحابه، فكان لها أثر كبير على سلوكهم، وذلك من خلال الكثير من أحاديثه الشريفة.

روى الترمذي عن عمر بن الخطاب أن النبي ﷺ قال: «لو أنكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصًا وتروح بطانًا».

[صحيح. صحيح الترمذي: ١٩١١]

وروى أبو نعيم في حلية الأولياء عن أبي أمامة أن رسول اللَّه ﷺ قال: «إن روح القدس نفث في رُوعي أن نفسًا لن تموت حتى تستكمل أجلها وتستوعب رزقها، فاتقوا الله وأجملوا في الطلب، ولا يحملن أحدكم استبطاء الرزق أن يطلبه بمعصية الله، فإن الله تعالى لا يُنال ما عنده إلا بطاعته».

[حديث صحيح: صحيح الجامع للألباني ج١ حديث ٢٠٨٥]

ثانيًا: الطرق العلاجية:

لقد سلك الإسلام في علاجه للرشوة طرقًا أدت إلى القضاء على جريمة الرشوة، وقد وَكَلَ ولاة الأمور أن يجتهدوا في اختيار العقوبة المناسبة، وذلك لأنَّ علاج الرشوة لم يرد به في الشريعة الإسلامية حَدٌّ معين، فهو من قبيل التعزيرات، وأمر التعزير متروك لاجتهاد ولي الأمر بما يراه مناسبًا، **ومن تعزيرات عقوبة الرشوة ما يلي:**

١- **التعزير بالمال:** من المعلوم أن المال حبب إلى النفس، والمرتشي لم يرتكب هذه الجريمة إلا من أجل المال، فإذا انتزع منه هذا المال، ووضع عليه ولاة الأمور عقوبة مالية أخرى، كان هذا من أفضل الطرق العلاجية للقضاء على الرشوة.

٢- **الحبس:** إذا رأى ولي الأمر أن الحبس عقوبة مناسبة للمرتشي فله ذلك ولا حرج، فإذا علم المرتشي أن هذه الرشوة سوف تحرمه من الحرية، حاسب نفسه وتوقف عن الرشوة.

٣- **العزلُ من الوظيفة**، يمكن لولي الأمر أن يعزل المرتشي عن وظيفته إذا أساء استخدامها بالحصول على الرشوة وأكل أموال الناس بالباطل، وهذا العزل فيه تشهيرٌ لكل من تسول له نفسه بقبول الرشوة، ويكون عبرة لغيره ممن يتولون المناصب ويأكلون أموال الناس بالباطل.

[جريمة الرشوة للدكتور حمد بن عبدالرحمن الجنيدل ص١٨: ٢٣]

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد.

من روائع الماضي

صناعة الكرامات

لفضيلة الشيخ أبي الوفاء درويش رحمه الله

أجَلْ، وإنها لصناعة- لو تعلمون- رائعة بارعة، خلابة للعقول، جلابة للمال، مسخرة للرجال.

وإنها لصناعة دقيقة لا يتاح إتقانها لكثير من الناس، إنما يحذقها الأذكياء الموهوبون الذين أوتوا من الذكاء حظًا عظيمًا، ومن الدهاء قسطًا موفورًا، ومن الفراسة نصيبًا غير منقوص، والذين امتازوا بمرونة الأعضاء، وسرعة الحركة، والقدرة على العبث بالألباب.

وصناعة الكرامات كصناعة إحضار الأرواح لا تمارس في أي زمان، ولا في كل مكان ولا في كل حال، إنما تمارس في أمكنة خاصة، وفي أزمنة موائمة، وفي أحوال مناسبة.

وخير الأمكنة لمزاولة هذه الصناعة عقر الدار، وعلى كثب الأستار، ومستقر الأسرار، وعلى مقربة من الأداة والعتاد، والأجهزة الشداد.

وأنسب الأوقات، حين تتكاثف الظلمات، ومن دون ذلك وقت الغَلَس، إذا خبا القَبَس، وانطوى النهار، وغابت الأنوار.

أما أحسن الأحوال: فحال شهود الأطهار الطيبين، والأخيار الغافلين، وغيبة الأذكياء النابهين، والفطناء الفاهمين، إذ لا شيء يفسد الكرامات ويذهب بروعتها، كما يفسدها الوقوف على حقيقة أمرها، والاطلاع على مكنون سرها، والأذكياء خبثاء، لا يقنعون بظواهر الأشياء، ويأبون إلا أن يفسدوها بالتغلغل في خفاياها، والتوغل في طواياها.

وصناعة الكرامات إنما تبلغ قمة النجاح بشرطين متضادين: ذكاء وخبث في صانعها، وغباء وطيبة في شاهدها، فإذا فقد الشرطان أحدهما أو كلاهما فسدت الصناعة، وذهبت البراعة.

وصُنَّاع الكرامات لا يمارسون صناعتهم إلا حين يعتقدون أن الظروف كلها مواتية، وشروط النجاح موفورة، واحتمال الفشل بعيد.

ومن دون الشرطين السابقين شرطان آخران: المواطأة والإيمان.

أما المواطأة فأن يكون صانع الكرامات متواطئًا مع شريك يعرف سره، ويدبر أمره يتحداه أمام الحضور، وقد هيّا له الأمور.

أما الإيمان فأن يكون جميع الحاضرين مؤمنين بقدرة الشيخ على إحداث الكرامات كما يشترط في روّاد غرفة التحضير أن يكونوا جميعًا مؤمنين بقدرة الوسيط على

إحضار الأرواح، فإن كان بينهم من يشك أو يرتاب وأدرك الشيخ ذلك بفراسته لم يحاول ممارسة الكرامة، لئلا يفتضح أمره وينكشف سره.

وقد فشت هذه الصناعة وذاعت في آخريات القرن الثاني الهجري وما تلاه من القرون، وظن العلماء الطيبون الذين يرون الأشياء بعيون طباعهم الخيرة أنها كرامات حقًا، وراحوا يتلمسون العلل والأسباب لكثرتها المروعة، فقالوا: «إن الكرامات قد تكون بحسب حاجة الرجل، فإذا احتاج إليها ضعيف الإيمان أو المحتاج أتاه منها ما يقوي إيمانه ويسد حاجته، أو يكون من هو أكمل منه ولاية مستغنيًا عن ذلك فلا يأتيه لعلو درجته وغناه عنها، لا لنقص ولايته، ولهذا كانت هذه الأمور في التابعين أكثر منها في الصحابة».

وهذا كلام لا يقره المنطق، ولا يسيغه عقل، فإن الكرامة الحق، وهي من إكرام الله تعالى للصالحين من عباده يختص بها أقوياء الإيمان لا ضعافه، فإن المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف.

والتعليل الصحيح أن ما ذاع وشاع وملأ الوهاد والتلاع ليس كرامات حقيقية، وإنما هو من قبيل الكرامات الصناعية، وكانت كثرتها لقلة الإيمان وضعف اليقين، وفساد الضمائر، وخراب الذمم، فأقدم على ممارستها عمدًا من لا يخاف الله، ولا يرجو له وقارًا، فعلوها خداعًا وتمويهًا وعبثًا بعقول الناس، ليقنعوهم بأنهم أولياء فيمنحوهم أموالهم، والله يعلم إنهم لكاذبون.

ترامت أنباء كرامات «الحلاج» وبلغت مسامع بعض الأذكياء فأراد أن يقف على حقيقتها، فركب إليه، ولما صار في حضرته قرأ الحلاج في معارف وجهه أمارات الإنكار، فقال: يغشون دارنا، ليعترضوا علينا، ويسيئوا إلينا، يا هذا اطلب ما شئت يأتك بإذن الله، قال الشاب الذكي: أريد سمكًا طريًا، وكان الحلاج في ذلك الوقت في بعض بلاد الجبل البعيدة التي ليس فيها بحر ولا نهر، وظن الشاب أنه أعجزه إلى آخر الأبد، وأخمده مدى الدهر، ولكن الحلاج ابتسم ابتسامة ذات معنى وقال: ما أيسر ما طلبت! ثم دخل حجرة في داره وأغلق بابها وعاد بعد ساعة، وقد حسر عن ساعديه، وكشف عن ساقيه، وبيده سمكة حية تضطرب، وقال: إني دعوت الله فأمرني أن أذهب إلى الأهوار، وأن آخذ هذه السمكة من ملتقى الرافدين، فأخذتها، وجئت بها إليك، لتنزع ما في صدرك من شك.

قال الشاب: أتدعني أدخل هذه الحجرة، فإن لم يسفر لي وجه الحيلة آمنت بك؟ قال: شأنك وما تريد.

قال الشاب: فدخلت الحجرة فلم أجد فيها شيئًا، ثم حانت مني التفاتة فرأيت بابًا في الجدار لا يكاد يظهر إلا للمدقق المتأمل، لأنه بلون الجدار ومساواته فدفعته ففتح، فدخلت فإذا أنا بحديقة لا يبلغ البصر غايتها، فيها صنوف الفاكهة والثمار والأزهار، ومنها ما ليس في وقته ولكنه محفوظ بحيل صناعية، وفي هذه الحديقة خزائن فيها ألوان الأطعمة الناضجة والمواقد المعدة لإنضاج ما يطلب لساعته، ثم رأيت في وسطها بركة ماء مملوءة سمكًا، فأخذت واحدة وخرجت بها فرميت بها في وجهه وصدره، وأردت الهرب فأمسك بي وهمس في أذني قائلاً: لئن حدثت بها أحدًا لأقتلنك ولو كنت وراء سبعة أبحر أو سبعة جبال، ثم عاد يقول لجلسائه: هذا ولي من كبار الأولياء جاء ينافسنا في كراماتنا!!

قال الشاب: ولم أجد بدًا من الكتمان، فلم أخبر بذلك إلا بعد مقتل الحلاج حذرًا أن يغري بعض المفتونين به فيغتالني.

هذا والمؤمن الصادق كيّس فطن، لا ينبغي أن تجوز عليه الحيل، أو يقع في الأحابيل، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل(*).

(*) هذا الاحتيال هو جانب من صناعة الكرامات، وثمة جانب آخر وهو صناعتها عن طريق السحر والتعامل مع الشياطين، فبهم يستعين الساحر في إظهار أشياء وتسليط الحيات والأفاعي، قال تعالى: ﴿ سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاءُوا بِسِحْرٍ عَظِيمٍ ﴾ [الأعراف:١١٦]. [التحرير]

تعجيل المنفعة بتحريم الغناء

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده... وبعد:

فإن الله سبحانه وتعالى خلق الخلق وأمرهم بطاعته ونهاهم عن معصيته وأبان لهم عاقبة الطاعة وأوضح لهم سبيلها، وحذرهم من المعصية ومآل أمرها، وقد علم إبليس- عليه لعنة الله- أن مدار الأمر على القلب، فإن صح واستقام استقامت الأعضاء على طاعة ربها، وإن اعوج وزاغ زاغت الأعضاء إلى طريق الردى، فالقلب ملك، والأعضاء جنوده، فإن طاب الملك طابت جنوده، وإن خبث الملك خبثت جنوده.

واعلم رحمني الله وإياك أن مما عمت به البلوى وأشد ما ابتليت به القلوب هو حب الغناء والموسيقى، فصار عند كثير من الناس استماع الأغاني أحب إليهم من استماع سور القرآن، لو سمع أحدهم القرآن من أوله إلى آخره لما حرك له ساكنًا، حتى إذا تليت عليه الأغاني وقرعت نغماتها الأسماع اهتز لها القلب واضطرب، فسبحان الله من هذا المفتون الذي أضاع حظه من القرب من الله ورضي بنصيبه من إغواء الشيطان.

وهذه الكلمات هي صيحة إنذار ونصيحة مشفق نطوف فيها معًا ننظر في الكتاب والسنة طريق الهدى وسبيل الرشاد.

ثم ننظر أقوال أهل العلم في هذا الغناء الذي هو مزمار الشيطان.

قال تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [لقمان: ٦].

قال العلامة ابن كثير في تفسيره لهذه الآية: يذكر حال الأشقياء الذين أعرضوا عن الانتفاع بسماع كلام الله وأقبلوا على استماع المزامير والغناء بالألحان وآلات الطرب كما قال ابن مسعود في قوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾ قال: هو الغناء والله الذي لا إله إلا هو. يرددها ثلاث مرات.

ونقل العلامة ابن كثير أيضًا قول الحسن البصري نزلت هذه الآية في الغناء والمزامير. اهـ.

وكذلك قوله تعالى: ﴿وَاسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ﴾ [الإسراء: ٦٤].

قال ابن كثير: قال مجاهد: باللهو والغناء، وقال القرطبي: عن ابن عباس ومجاهد: الغناء والمزامير واللهو. وقال الضحاك: صوت المزمار.

وأما السنة فقد جاء في صحيح البخاري معلقًا بصيغة الجزم أن النبي ﷺ قال: «ليكونن من أمتي قوم يستحلون الحِرَ والحرير والخمر والمعازف». وهو يدل دلالة واضحة على تحريم آلات العزف والطرب وذلك من وجوه:

١- قوله يستحلون، فإنه صريح بأن المذكورات ومنها المعازف هي في الشرع محرمة فيستحلها أولئك القوم.

٢- قرن المعازف مع المقطوع بحرمته الزنى والخمر ولو لم تكن محرمة ما قرنها معها، وصدق رسول الله ﷺ فيما قاله، فقد استدار الزمان وأصبح المنكر معروفًا والمعروف منكرًا، واستحسن الناس ما حرم الله ورسوله وأنكروا على من عاب ذلك.

وروى ابن ماجه والطبراني عن سهل بن سعد عن النبي ﷺ أنه قال: «يكون في أمتي خسف وقذف ومسخ». قيل: يا رسول الله، متى؟ قال: إذا ظهرت المعازف والقينات واستحلت الخمر. صححه الألباني في السلسلة الصحيحة (١٧٨٧).

والمعازف: هي آلات اللهو المحرمة، والقينات: جمع قينة وهي المغنية.

أما الأئمة الأربعة فأقوالهم في ذلك معروفة،

والمعازف عند الأئمة الأربعة

إعداد

صلاح عبد المعبود

لكل من نظر في كتبهم وطالع كلامهم.

قال أبو حنيفة رحمه الله: الغناء حرام وهو من الذنوب، بل صرح أصحابه بتحريم الملاهي- آلات اللهو- كلها، وصرحوا بأنه معصية يوجب الفسق وترد به الشهادة، وأبلغ من ذلك أنهم قالوا: إن السماع- الغناء- فسق والتلذذ به كفر.

وأما الإمام مالك رحمه الله: فقد سُئل عما يرخص فيه أهل المدينة من الغناء فقال: إنما يفعله عندنا الفساق، وقال: إذا اشترى رجل جارية فوجدها مغنية كان له أن يردها بالعيب.

وأما الشافعي رحمه الله: فقد صرح أصحابه العارفون بمذهبه بتحريمه بل تواتر عنه أنه قال: خَلَّفتَ ببغداد شيئًا أحدثته الزنادقة يسمونه التغبير يصدون به الناس عن القرآن، والتغبير هو شعر يزهد في الدنيا يغني به أحد المغنين على نغمة ضرب على طبلة ونحوها. فسبحان الله كيف يصرح الشافعي بأن من يفعل هذا هو زنديق، فكيف لو سمع غناء اليوم الذي سعى به أولياء الشيطان حتى أسمعوه الناس رضوا أم أبوا، وكيف لو سمع الشافعي ما أحدثه بعض من ينتسبون إلى مذهبه اليوم وهم يقولون بجواز استماع الغناء وعدم تحريمه وأنه شِعرٌ حسنه حسن وقبيحه قبيح يلبسون على الناس أمور دينهم وكأنهم أتوا من كوكب آخر ولم يعرفوا الغناء الموجود اليوم.

قال الشافعي رحمه الله: وصاحب الجارية إذا جمع الناس لسماعها فهو سفيه ترد شهادته. وقال في ذلك قول عظيمًا. فقال: هي دياثة.

وأما الإمام أحمد رحمه الله: فقد قال ابنه عبد الله: سألت أبي عن الغناء فقال: الغناء ينبت النفاق في القلب، لا يعجبني، ثم ذكر قول الإمام مالك إنما يفعله عندنا الفساق.

فهاهم الأئمة الأربعة أئمة العلم قد اتفقوا على تحريم الغناء وصرحوا بذلك، بل قد نقل غير واحد من علماء المسلمين الإجماع على ذلك، ورحم الله ابن القيم إذ يقول في الغناء: فاستماع ذلك حرام عند أئمة المذاهب وغيرهم من علماء المسلمين، ولا ينبغي لمن شم رائحة العلم أن يتوقف في تحريم ذلك، فأقل ما فيه أنه من شعار الفساق وشاربي الخمر. اهـ.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: اعلم أنه لم يكن في القرون الثلاثة المفضلة الأولى ولا بالشام ولا اليمن ولا بمصر والمغرب والعراق وخراسان، من أهل الدين والصلاح والزهد والعبادة من يجتمع على مثل سماع المكاء والتصدية ولا بدف ولا بكف ولا بقضيب وإنما كان هذا بعد ذلك في أواخر المائة الثانية فلما رآه الأئمة أنكروه. اهـ.

وقال الشيخ الألباني رحمه الله في السلسلة الصحيحة (١/١٣٩): ولا تغتر أيها القارئ الكريم بما قد تسمع عن بعض المشهورين اليوم من المتفقهة من القول بإباحة آلات الطرب والموسيقى فإنهم- والله- عن تقليد يفتون، ولهوى الناس اليوم ينصرون، ومن يقلدون؟ إنما يقلدون ابن حزم الذي أخطأ فأباح آلات الطرب والملاهي، لأن حديث أبي مالك الأشعري لم يصح عنده، وقد عرفت أنه صحيح قطعًا، وليت شعري ما الذي حملهم على تقليده هنا دون الأئمة الأربعة، مع أنهم أفقه منه وأعلم وأكثر عددًا وأقوى حجة.

لو كان الحامل لهم (أي هؤلاء المفتون المشهورون) على ذلك إنما هو التحقيق العلمي فليس لأحد عليهم من سبيل، ومعنى التحقيق العلمي كما لا يخفى أن يتتبعوا الأحاديث كلها الواردة في هذا الباب ويدرسوا طرقها ورجالها ثم يحكموا عليها بما تستحق من صحة أو ضعف، ثم إذا صح عندهم شيء منها درسوها من ناحية دلالتها وفقهها وعامها وخاصها، وذلك كله حسبما تقتضيه قواعد علم أصول الحديث وأصول الفقه، لو فعلوا ذلك لم يستطع أحد انتقادهم ولكانوا مأجورين، ولكنهم والله- لا

يصنعون شيئًا من ذلك، ولكنهم إذا عرضت لهم مسألة نظروا في أقوال العلماء فيها، ثم أخذوا ما هو الأيسر أو الأقرب إلى تحقيق المصلحة زعموا، دون أن ينظروا موافقة ذلك للدليل من الكتاب والسنة، وكم شرعوا للناس- بهذه الطريقة- أمورًا باسم الشريعة الإسلامية، يبرأ الإسلام منها- وإلى الله المشتكى.

فاحرص أيها المسلم على أن تعرف إسلامك من كتاب ربك وسنة نبيك ولا تقل قال فلان فإن الحق لا يعرف بالرجال بل اعرف الحق تعرف الرجال. اهـ.

وقال الألباني أيضًا: (ردًا على قول من قال ولا بأس بأن يصحب الغناء الموسيقى غير المثيرة). وقال القيد نظري غير عملي ولا يمكن ضبطه لأن ما يثير الغريزة يختلف باختلاف الأمزجة ذكورة وأنوثة، شيخوخة وفتوة، وحرارة وبرودة كما لا يخفى على اللبيب. اهـ [تحريم الطرب ص٧].

فها هي أقوال الأئمة ناطقة بالحق ناصحة لعباد الله، ولو تأمل متأمل في هذا الغناء الذي قرع أسماعهم فنطقوا فيه بهذا المقال وقسته على غناء اليوم لعلمت علم اليقين حكمه، وقد قال رجل لابن عباس رضي الله عنه: ما تقول في الغناء؟ أحلال هو أم حرام؟ فقال: أرأيت الحق والباطل إذا جاءا يوم القيامة، فأين يكون الغناء؟ فقال الرجل: يكون مع الباطل، فقال له ابن عباس: اذهب فقد أفتيت نفسك.

فها هو ابن عباس رضي الله عنه قد ألزم هذا الرجل الحجة، وقضى الرجل بنفسه على نفسه، فهو أمر بالفطرة معلوم وإن كان كتاب الله والسنة قد نطقا به والقليل من ذلك يغني المنصف.

فاعلم يرحمك الله، أن الغناء والقرآن لا يجتمعان في القلب أبدًا، فإن القرآن ينهى عن اتباع الهوى ويأمر بالعفة والفضيلة، والغناء يأمر بذلك فيهيج النفوس إلى الهوى ويحركها إلى كل قبيح، وإنك لا تكاد ترى أحدًا مال إلى الغناء إلا وفيه ضلال عن طريق الهدى، وفيه رغبة عن استماع القرآن إلى استماع الغناء، لو استمع لآيات من القرآن ثقلت عليه ومرت عليه كأنها الجبال ورأى فيها الثقل والملال، ولو استمع للغناء للساعات الطوال طابت له نفسه وزينها له الشيطان، قال تعالى: ﴿وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا وَلَّى مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِي أُذُنَيْهِ وَقْرًا﴾ [لقمان: ٧]. قال ابن كثير رحمه الله: أي هذا المقبل على اللهو واللعب والطرب إذا تليت عليه الآيات القرآنية ولى عنها وأعرض وأدبر.

ورحم الله أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز، حيث كتب إلى مؤدب ولده: ليكن أول ما يعتقدون من أدبك بغض الملاهي، التي بدؤها من الشيطان وعاقبتها سخط الرحمن، فإنه بلغني عن الثقات من أهل العلم أن صوت المعازف واستماع الأغاني واللهج بها ينبت النفاق في القلب كما ينبت العشب على الماء.

فالزم رحمني الله وإياك طريق الهدى والطاعة، واعلم أن من فارق سبيل المؤمنين فقد ألزم نفسه الخسارة وحقت عليه الضلالة، فكن على درب سلفك الصالح الذين شهد الله لهم بالرضى سائرًا ولا تبغ غيرهم- أئمة وأعلامًا للهدى-: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ [النساء: ١١٥].

والله من وراء القصد.

قرار إشهار

رقم (١١٩٧) بتاريخ ١٢ / ٤ / ٢٠٠٥م

تشهد مديرية الشئون الاجتماعية بالدقهلية أنه قد تم إشهار جمعية أنصار السنة المحمدية بكفور البهايته مركز / ميت غمر، وذلك طبقا لأحكام القانون ٨٤ لسنة ٢٠٠٢ ولائحته التنفيذية.

التوحيد الخالص والاعتقاد السليم

إعداد/ د. محمد يسري

إن توحيد الله تعالى وإفراده بالعبادة هو غاية خلق العالمين، وهو أصل دعوة الرسل أجمعين، وهو أول ما يخاطب به الناس من أمور الدين، وهو سبب العصمة في الدنيا والنجاة في الآخرة، وهو الشرط لصحة وقبول سائر الطاعات.

أما إنه غاية خلق العالمين، فلقوله تعالى ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات:٥٦]، وأما إنه دعوة الرسل أجمعين فلقوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلاَّ نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء:٢٥]، وقال سبحانه: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل:٣٦]، فالتوحيد حق الله على العبيد.

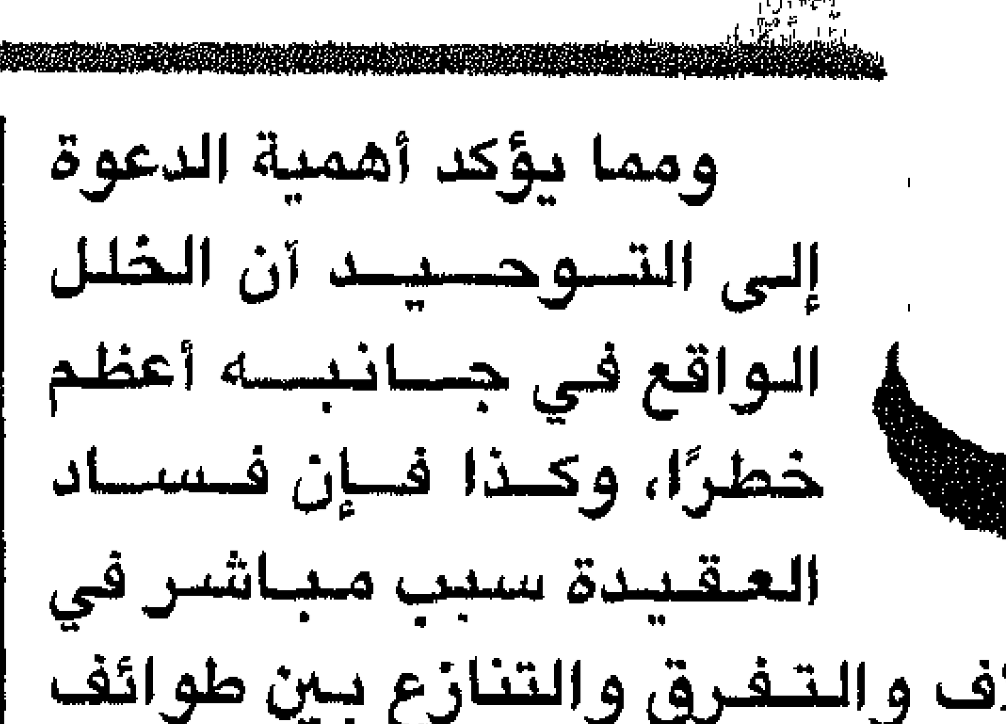
وأما إنه أول ما يخاطب به الناس من أمور الدين فلقوله تعالى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللَّهَ وَلاَ نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلاَ يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ﴾ [آل عمران:٦٤]، ولقوله ﷺ لمعاذ رضي الله عنه حين أرسله إلى اليمن: "يا معاذ: إنك تقدم على قوم أهل كتاب، فليكن أول ما تدعوهم إليه عبادة الله عز وجل، فإذا عرفوا الله فأخبرهم أن الله فرض عليهم خمس صلوات في يومهم وليلتهم" الحديث[١].

وأما إنه سبب العصمة في الدنيا فلأن الإقرار بالتوحيد يعصم الدم والمال، ويثبت عقد الإسلام، كما قال ﷺ: "أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله، فمن قال: لا إله إلا الله عصم مني ماله ونفسه، إلا بحقه، وحسابه على الله"[٢].

وأما إنه سبب النجاة في الآخرة فلقوله تعالى: ﴿إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾ [المائدة:٧٢]، ولقوله ﷺ حين سئل: وما الموجبتان؟ فقال: "من مات لا يشرك بالله شيئًا دخل الجنة، ومن مات يشرك بالله شيئًا دخل النار"[٣].

وأما إنه الشرط لصحة وقبول سائر العبادات، فلقوله تعالى في حق المؤمنين العاملين: ﴿وَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلاَ يُظْلَمُونَ نَقِيرًا﴾ [النساء:١٢٤]، ولقوله جل وعلا عن أعمال الكافرين: ﴿وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنثُورًا﴾ [الفرقان: ٢٣]. فالشرك محبط لجميع الطاعات، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [الزمر:٦٥]، فكما لا تقبل صلاة بغير وضوء، لا تقبل عبادة بغير توحيد.

فالتوحيد أول ما يتعلمه الداعية، قال تعالى: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ﴾ [محمد: ١٩]، وأوجب ما يدعو الناس إليه، قال تعالى على لسان أنبيائه: ﴿يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ [الأعراف:٥٩]، فهو عمدة الأصول التي ينطلق منها الداعية في دعوته إلى الله، وخلافته لرسول الله ﷺ خاصة، ولرسل الله عامة، وهو أصل كل صلاح في هذه الحياة، كما أن الشرك ومعصية الرسول أصل كل فساد، يقول ابن تيمية رحمه الله: "فأصل الصلاح: التوحيد والإيمان، وأصل الفساد: الشرك والكفر"[٤].



ومما يؤكد أهمية الدعوة إلى التوحيد أن الخلل الواقع في جانبه أعظم خطرًا، وكذا فإن فساد العقيدة سبب مباشر في حدوث الاختلاف والتفرق والتنازع بين طوائف الأمة، فتحقيق كلمة التوحيد هو السبيل لوحدة الكلمة.

فالداعية الحق يجعل الدعوة إلى العقيدة الصحيحة، والتوحيد الخالص أولاً ودائمًا، وقبل كل شيء، ومع كل شيء، يدل على ذلك:

-أن الإيمان عند الإطلاق في الكتاب والسنة لا يقتصر على اعتقاد القلب؛ بل يشمل إقرار اللسان وعمل الأركان كما هو اتفاق أهل السنة والجماعة.

-ارتباط الأحكام والأمر والنهي بالاعتقاد بذكر الوعد والوعيد، وختم آيات الأحكام بذكر صفات الله عز وجل المناسبة للمقام، وافتتاح بعضها بنداء الإيمان؛ لشدة ارتباط هذه الأحكام باعتقاد القلب.

-أن جميع المخالفات- سواء أكانت تركًا أم فعلاً- إما قادحة في أصل الدين وناقضة للإيمان؛ كالشرك الأكبر والبدع المكفرة، وإما قادحة في كماله الواجب- وإن لم يكفر مرتكبها-؛ كالشرك الأصغر وسائر المعاصي.

وعلى هذا فإن الدعوة إلى الاستقامة على جميع تكاليف الإسلام هي في حقيقتها دعوة لترسيخ التوحيد وتحقيق العقيدة.

"وحري بالدعاة أن يوجهوا جهودهم إلى تبصير الناس كيف يوحدون ربهم، وكيف يخلصون دينهم لله، وعليهم أن يجعلوا ذلك هو الأصل والأساس كما كان الرسل من قبل"(٥).

وانطلاق الدعوة من التوحيد الخالص والعقيدة الصحيحة التي حملها أهل السنة عن سلف الأمة يشمل ثلاثة جوانب أساسية، بيانها كالتالي:

أولاً: الأثرية:

-ومفهوم الأثرية يعني أن العقيدة التي تتبناها الدعوة الراشدة هي التي تقوم في أصلها وأساسها على المنقول والمأثور من كتاب الله تعالى وصحيح السنة والأثر، وهي عقيدة الصحابة والتابعين، وسلف الأمة الصالحين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وهي الوسطية المحمودة، والسلفية المقصودة.

ومن أثرية العقيدة: تلقي النصوص بالتسليم والتعظيم:

فالتسليم والتعظيم إنما هما لقول الله تعالى أولاً، ولبيان الرسول ﷺ ثانيًا، قال تعالى ﴿وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى﴾ [لقمان:٢٢]، وذلك من غير تعرض لنصوص الوحيين بتحريف الغالين، أو تأويل الجاهلين، أو انتحال المبطلين.

ومن التسليم والتعظيم مجانبة الجدال والمراء في نصوص العقيدة وقواعدها الكلية، إذ هي عقيدة سهلة واضحة، ميسرة بيسر هذا الدين، "إن هذا الدين يسر"(٦).

والتسليم والتعظيم يعين على تجاوز الخصومة المفتعلة- ظلمًا أو جهلاً- بين صحيح النقل وصريح العقل، فإن بدا ما ظاهره التعارض بين العقل والنقل فمرده إلى الوهم في قطعية أحدهما ثبوتًا أو دلالة، فإن العقل الصريح لا يناقض النقل الصحيح ولابد "فمن الله عز وجل العلم، وعلى الرسول البلاغ، وعلينا التسليم"(٧).

وكما قال بعض السلف: "قدم الإسلام لا تثبت إلا على قنطرة التسليم"(٨).

ومن أثرية العقيدة: توحيد مصدر التلقي:

وذلك بتجريده عن كل شوب كلامي مردود، أو فلسفي مذموم، أو مسلكي مبتدع، بالاعتماد على الكتاب والسنة في تلقي العقيدة والدين كله بفهم

الصحابة المرضيين، والثقات الأثبات من علماء خير القرون رضي الله عنهم أجمعين، والتعويل على إجماعهم واتفاقهم في هذا الباب، فهم أعمق علمًا بمعانيها، وأدق فهمًا لمراميها، وأقل تكلفًا في العمل بما فيها، وأبعد عن الخلاف والافتراق في أصولها وقواعدها، فما أجمعوا عليه فهو الحق ولابد، وما اختلفوا فيه فإن الحق لا يجاوز أقوالهم؛ فمن آمن بمثل ما آمنوا به فقد اهتدى، قال تعالى: ﴿فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنتُم بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوا﴾ [البقرة:١٣٧].

قال ابن مسعود رضي الله عنه: "ألا لا يقلدن رجل رجلاً دينه فإن آمن آمن وإن كفر كفر، فإن كان مقلدًا لا محالة فليقلد الميت ويترك الحي، فإن الحي لا تؤمن عليه الفتنة"(٩).

ومن أثرية العقيدة: تحقيق توحيد العبادة:

وذلك بإفراده سبحانه وتعالى بالعبادة، والبراءة من كل ما عُبد من دونه، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل:٣٦]، وقطع ذرائع الشرك كافة، فـ"مَن تعلَّق تميمة فلا أتم الله له"(١٠)، و"من أتى عرافًا فسأله عن شيء فصدَّقه، لم تُقبل له صلاة أربعين يومًا"(١١)، و"مَن حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك"(١٢)، كما ثبت النهي عن اتخاذ القبور مساجد، واعتقاد العدوى، والتطيّر، والتصوير وغير ذلك من أسباب الشرك وذرائعه.

ومن تحقيق توحيد العبادة اعتقاد تفرده تعالى بالأمر والحكم كما تفرد بالإيجاد والخلق، قال تعالى: ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ﴾ [الأعراف:٥٤]، فلا حلال إلا ما أحله الله على لسان رسوله ﷺ، ولا دين إلا ما شرعه الله على لسان رسوله ﷺ.

ومن أثرية العقيدة: اعتقاد أن الإيمان قول وعمل، يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية:

وأن أصل الإيمان تصديق الخبر والانقياد للشرع، وكماله الواجب بفعل الأركان والواجبات، وترك الكبائر والمحرمات، وكماله المستحب بفعل المندوبات وترك المكروهات والورع عن الشبهات.

وقصر الإيمان على التصديق وإخراج الأعمال من الإيمان بالكلية تفريط مذموم، وإدخال جميع الأعمال في أصل الإيمان إفراط مذموم، والحق وسط بين الغالي فيه والجافي عنه.

ومن أثرية العقيدة: الأثرية في مصطلحاتها:

وذلك باعتماد ألفاظ ومصطلحات الكتاب والسنة عند تقرير مسائل الاعتقاد وأصول الدين، والتعبير بها عن المعاني الشرعية، وفق لغة القرآن وبيان الرسول ﷺ؛ فإن "الأحسن في هذا الباب مراعاة ألفاظ النصوص، فيثبت ما أثبته الله ورسوله باللفظ الذي أثبته، وينفي ما نفاه الله ورسوله كما نفاه"(١٣)، مجانبة لكلام أهل الأهواء، ومفارقة لمصطلحات المتفلسفة بالآراء، وإيثارًا لمرجعية مقالات وكتب أهل السنة، وتعويلاً على اتفاقهم وإجماعهم، وتلقيًا عن أشياخهم والأثبات من علمائهم.

ومن أثرية العقيدة: توقيفية العبادة:

وذلك بالتأكيد على كون العبادة توقيفية، وسد ذرائع الابتداع والإحداث في الدين، ورد جميع ما خالف سنة سيد الأنبياء والمرسلين ﷺ، فمستند المشروعية- أبدًا- هو موافقة الشريعة المطهرة، بفهم وتطبيق الصحابة البررة، وأهل الحديث المهرة، و"من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد"(١٤).

والأسوة الحسنة لهذه الأمة هو رسول الله ﷺ، فإذا صحت سنته بلا معارض، فلا يحل لأحد ردها لقول أحد من الخلق، قال سبحانه: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور:٦٣].

ومن أثرية العقيدة: تمام العناية بعلومها العينية:

وذلك بالتفريق لدى دراستها بين معرفة ضوابطها وحدودها الخارجية التي تحمي جناب التوحيد من ابتداع المبتدعين، وترد انحرافات الضالين، وذلك من جنس رد البدع الكلامية والفلسفية، وخوض المعارك والمناظرات مع أهل المقالات الردية؛ فإن العلم بها من فروض الكفايات، وهو على المتخصصين، وبين علوم العقيدة ومعارفها وقضاياها العينية، المتعلقة بمعرفة الله تعالى وتعظيمه مع التحقق بقول القلب واللسان، وعمل القلب والجوارح بالإيمان.

إذ الغاية العظمى هي تحقيق توحيد الربوبية والألوهية والأسماء والصفات علمًا وعملاً، وسلوكًا وأخلاقًا.

ومن أثرية العقيدة: محبة السلف الصالح أجمعين:

قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ وَلاَ تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلاً لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحشر:١٠].

وشعار أهل السنة الترضي عن أصحاب نبينا أجمعين، ومحبة علماء السلف من السابقين، وتابعيهم من أهل العلم والدين، فلا يذكرون إلا بالجميل، ومن ذكرهم بسوء فهو على غير السبيل، قال تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبة:١٠٠].

ومن المحبة الواجبة محبة أهل بيته ﷺ وموالاتهم وموادتهم، قال تعالى: ﴿قُل لاَّ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلاَّ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾ [الشورى:٢٣].

ومن أثرية العقيدة: التثبت عند إطلاق الأحكام عامة:

وتمام الاحتياط والتحفظ من تكفير وتبديع المخالف من أهل القبلة، والعوامِّ من أهل الملَّة، فضلاً عن علماء أهل السنة، وذلك عند التأويل والاشتباه، أو الجهل والغفلة، والتفريق بين القول وقائله، والفعل وفاعله، فمن تلبَّس بكفر أو بدعة أو فسق لم يحكم عليه به في الدنيا حتى تتحقق شروط إجراء الأحكام وتنتفي موانعه، وعصاة الموحدين أمرهم إلى الله في الآخرة، إن شاء عذبهم بعدله، وإن شاء غفر لهم بفضله.

وللحديث بقية بإذن الله تعالى.

---

(١) أخرجه البخاري (١٤٢٥)، ومسلم (١٩).
(٢) أخرجه البخاري (١٤٠٠، ٦٩٢٤، ٧٢٨٥)، ومسلم (٢٠، ٢١)، واللفظ لمسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.
(٣) أخرجه مسلم (٩٣) من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما.
(٤) مجموع الفتاوى لابن تيمية (١٨/١٦٣).
(٥) التوحيد محور الحياة لفضيلة الشيخ الدكتور/ عمر الأشقر ص.٣٢
(٦) أخرجه البخاري (٣٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.
(٧) من كلام الزهري. انظر: السنة للخلال (٣/٥٧٩).
(٨) انظر: شرح سنن ابن ماجه للسندي حديث (١٩٨)، والعين والأثر في عقائد أهل الأثر لعبد الباقي إبراهيم ص.٦٢
(٩) انظر: سنن البيهقي الكبرى (١٠/١١٦).
(١٠) أخرجه أحمد (١٦٩٦٩)، والحاكم (٧٥٠١)، وصححه ووافقه الذهبي من حديث عقبة ابن عامر رضي الله عنه.
(١١) أخرجه مسلم (٢٢٣٠)، وأحمد (١٦٢٠٢، ٢٢٧١١) عن حفصة رضي الله عنها.
(١٢) أخرجه الترمذي (١٥٣٥)، وأبو داود (٣٢٥١)، والحاكم (٤٥) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما. وقال الحاكم: صحيح على شرط الشيخين، وحسّنه الترمذي.
(١٣) التفسير الكبير لابن تيمية (٦/٤٠٨).
(١٤) أخرجه البخاري (٢٦٩٧)، ومسلم (١٧١٨) من حديث عائشة رضي الله عنها.

أنصار السنة تدين التفجيرات التي تستهدف أمن مصر

لا... للإفساد في الأرض وترويع الآمنين

في الوقت الذي نحتاج فيه إلى التضافر والتعاضد والتماسك صفًا واحدًا لرّد الصفعات والضربات التي تُوجّهُ إلينا من أعداء مصر مستهدفين تفتيت كيان مصرنا الحبيبة وفي الوقت الذي نحتاج فيه إلى وقفة حاسمة بكل فئات الشعب دحرًا للمؤامرة، رأينا أيادٍ أخرى آثمة امتدت إلى داخل مصر باستهدافها من خلال التفجيرات الإرهابية المرفوضة من كل طوائف الشعب.

إن ترويع الآمنين، وتهديد أمن المسلمين، هدف منشود لأعداء الدين، لا يخدم مصلحة المسلمين، ولا يمكن تبريره بعاطفة مستثارة أو قصور إدراك وجهل أو أوضاع مخالفة؛ لأن هذا المعول الفاسد يُنتج مجتمعًا من الفوضى والانفلات الاجتماعي والأمني، واستباحةً لما أمر الله عز وجل بحفظه من الدماء والأنفس، وجعله من مقاصد هذا الدين القويم.

فإراقة الدماء وإزهاق الأنفس وإضاعة الأموال بدافع افتراءات أو شبهات لا ترتقي أبدًا إلى درجة اليقين إلا عند أصحاب الهوى، يُعد من الحرب لله ورسوله والسعي في الأرض بالفساد والتخريب.

وجماعة أنصار السنة المحمدية بفروعها على مستوى الجمهورية إذ تُدين هذه الأحداث الأليمة، تستنكر كذلك الدعايات المُضلّلة والنداءات المُغرضة التي من شأنها إثارة الفتن وتهديد الأمن، كما تدعو الجماعة شعب مصر الواعي بكل فئاته في هذه الفترة الحرجة إلى التصدي لتلك الهجمة الخبيثة، وذلك ببيان الحق المستنير من خلال العقيدة الصحيحة ومنهج الدين القويم ليندحر الباطل الآثم فإذا هو زاهق.

وبينما تستنكر جماعة أنصار السنة المحمدية هذه الحوادث تدعو الشباب إلى الإقبال على طلب العلم، الذي ينوّر لهم الطريق، وأن يحرصوا على مجالس العلماء الربانيين الذي يفقهونهم في الدّين، ويعلمونهم الحلال والحرام، ويأمرونهم بالمعروف وينهونهم عن المنكر.

وجماعة أنصار السنة المحمدية والتي تقف ضد العنف والتطرف والغلو والإرهاب بجميع صوره وأشكاله لا تقبل أي مبرر من المبررات لقتل الأبرياء الآمنين انطلاقًا من مبادئ الشريعة الإسلامية التي تكفل حرية الإقامة لمن يستظلون براية الإسلام، والإسلام يدعو إلى الحق والخير والعدل وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي وقتل النفس التي حرّم الله قتلها إلا بالحق.

اللهم اجعل مصرنا آمنة مطمئنة وسائر بلاد المسلمين.

المركز العام لجماعة أنصار السنة المحمدية

وفروع الجماعة بالجمهورية